الدرة البيضاء

في

رد البدع والأهواء

تأليف

المرشد المجدد حسن حلمي بن محمد القحي

الشاذلي النقشبندي القادري الأويسي

سامحه الله من فرطاته

(١٢٦٨-١٣٥٦هـ)

دار الحكمة

الدرة البيضاء

في

ردّ البدع والأهواء

تأليف

المرشد المجدد حسن حلمي بن محمد القحيّ

الشاذلي النّقشبنْدي القادريّ الأويسيّ

سامحه الله من فرطاته

(١٢٦٨-١٣٥٦هـ)

دار الحكمة



الإدارة الدينية لمسلمي داغستان

١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٤م



داغستان - محاج قلعة

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة المؤلف

الشيخ حسن حلمي بن محمد الداغستانِي رحمه الله تعالى

« ١٢٦٨ - ١٣٥٦ هـ »

هو العلّامةُ الرَّبّاني قطبُ الإرشادِ ، وشيخُ مشايخنا حسن حلمي بنُ محمدِ بنِ حسين القَحِيُّ النَّقشبَنديُّ الخالديُّ الشّاذليُّ الدَّاغستانيُّ ، قَدس الله سرَّه وأفاض علينا من فيوضاتِه ، آمين .

مولدُه :

وُلدَ في قريةِ « قَحِبْ » من قُرى مِنْطقةِ شمويل لجمهوريّةِ داغستان ، سنةَ ثمانٍ أو تسعٍ وستّينَ ومائتَينِ وأَلفٍ « ٩ - ١٢٦٨هـ »

نشأتُه :

وكانَ ابناً مسعوداً ، وطفلاً محموداً ، مباركاً ميموناً ، ذا أَحوالٍ حميدةٍ ، وشمائلَ جميلةٍ ، ذا عقلٍ وفطنةٍ قريحةٍ ، يَغبطُه كلُّ مَن رَآه ، ويُحبُّه كلُّ مَن لَاقَاه ، وكانَ ذا أَدب بلا تَأديبٍ ولا مؤدّبٍ ، وإنّ أباه الحاج محمد كانَ رجلاً فاضلاً ، وعالما تَقيّا عاملا ، وقد ماتَ وهو في المهدِ في سفرِ الحجّ في بلدةِ جِدّة وقتَ الإيابِ ، ودُفنَ فيها قربَ قبرِ أُمّنا وأُم بَني آدم حوّاء رضي الله عنها ، وصارَ رحمه الله تعالى يَتيما في تربيةِ الوالدةِ جَزاها الله تعالى خيراً التي رَبّتْه بأكمل تربيةٍ ، وتَرعرَعَ في نظرتِها الحسنةِ العفيفة .



تَلقّيه العلوم :

فلَمّا بَلغَ سبعَ سنينَ ابتدأ بقراءةِ القرآنِ بنفسِه بلا داعٍ ولا موجّه إليها ، فبعدَ إتمامِ فرائضِها وتصحيحِها ابتَدأ بطلبِ العلمِ ، واختارَ للتَّدريسِ العالمَ الورعَ المخلصَ والدَ صاحبتِه القاضي حسن بيك ، وكانَ يقرأُ الدَّرسَ معه صَبيحةَ كلِّ يومٍ ، ويَذهبُ إلى الفضاءِ راعيا للأنعام ، ويَأخذُ الكتابَ معه ، ثمَّ إذا رَجعَ إلى البيتِ لا يَخرجُ مع أقرانِه إلى الأسواقِ ، ولا يضيعُ أوقاتَه بالتَّعطيلِ مع الصِّبيانِ ، وكان يكتب الدرس الذي يقرأ له في الصباح ، وكان له خطٌّ جسيم حسن جداً ، وكتب كلّ ما قرأه من الكتب بخطه .

وكانَ لا ينامُ إلّا قليلاً ، ويَسهَرُ اللَّيالي كثيراً ، وكانَ لا ينامُ تحتَ اللّحافِ واللّفافِ ، بل يَضطجعُ في حالةٍ يكونُ نصفُ جسدِه عارياً ؛ كي يسهلَ له القيامُ في السَّحرِ .

وإنّه أَيضاً طَلبَ العلمَ من العلماءِ الأَجلّةِ المخلصينَ ، فصارَ ماهراً حاذقاً ؛ بحيثُ يَعترفُ له فحولُ العلماءِ والعقلاءِ لذكاءِ فهمِه وعلمِه وعقلِه

طريقُ سلوكِه :

ثمَّ بَدا له داعيةُ الدُّخولِ في سلكِ ساداتِ الصّوفيّةِ ، وانْبعثَ من باطنِه شوقُ صحبةِ الأَولياءِ الكرامِ والمشايخِ العظامِ ؛ أَهلِ الطريقةِ المحمّديّةِ ذَوي الاحترامِ ، ففي يوم ذَهبَ لَدى واحدٍ من مريدِي الشّيخِ المرشد الحاج عبدِ الرَّحمنِ العَسَلي لتعليمِ الدَّرسِ ، فوَجَدَه يَذكرُ الله تعالى بالذِّكرِ الخفيّ القلبيّ ،

وقالَ له : إن شئتَ أَدلُّك إلى مَن يُرشدُك إلى هذه المرتبةِ ، فاشتاقَ بفضلِه تعالى إلى لقائِه وقَصدَ الترحّلَ إلى حضرتِه ، ففي تلك اللَّيلةِ استخارَ الله تعالى في حقِّ ذَهابِه لديه ، فبعدَ صبحِ ذلك اليومِ خَرَجَ باكراً زائراً إلى جنابِ حضرةِ الخليفةِ من ساداتِ الصُّوفيّةِ قطبِ الإرشادِ الحاج عبدِ الرَّحمن العَسلي ، ولَاقاه بالفرحِ والمباشرةِ ببَسطِ الوجهِ ، وقالَ الشّيخُ قُدّسَ سرُّه : لم أفرحْ في عمرِي أَزيدَ من هذا اليومِ ؛ لاطّلاعِه على أحوالِه الباطنيّةِ والظَّاهريّةِ ، إنّ الله يُعطي الحكمةَ مَن يشاءُ ، وما أَحسنَ وأَعجبَ فراسةَ الشّيخِ ؟! قد عَلِمَ من أَوّلِ رُؤيتِه قَدْرَه وجلالتَه ، وعَلّمَ الرَّابطةَ الشَّريفةَ والاستغفارَ والصّلاةَ علَى كيفيّةِ النَّقشبنديّينَ ، فبعدَ أيّامٍ قلائلَ ذَهبَ ثانياً لدى حضرةِ الشّيخِ ، ولَقّنَه الذِّكرَ القلبيَّ ، وكانَ المرشدُ العَسلي قُدّسَ سرُّه يُربّيه أَحسنَ تربيةٍ ويُلاطفُه .

فبعدَ مدّةٍ أَجازَه بالإجازةِ المطلقةِ في الطَّريقةِ النَّقشبنديَّةِ الصّدّيقيّةِ في مجمعٍ للعلماءِ والعارفينَ من مريدِيه ، وأَظهرَ علوَّ مقامِه وكرامتَه في هذا المجلسِ مع كونِه علَى خَجلٍ ووَجلٍ ، وكانَ خائفاً كارهاً أمرَ الإرشادِ والخلافة ، لكونِه رَأى فيه عدمَ الأهليّةِ لذلك المنصبِ العظيم ، وكانَ يقولُ : فلولا أنّ أَمرَ الشَّيخ من واجبِ الاقتداءِ لما أَجبتُه لذلك ، ولا قبلتُه ، بيدَ أنه لم يصحَّ ردّ ما أَلزمَه الشَّيخُ ، فقبلَه علَى استحياءٍ شديدٍ ، فأَمضى من بعدِه زمناً مديداً نحوَ سبعِ سنينَ بإخفاءِ هذا التَّصدّرِ عن الناسِ ، وتَزهّدَ في ذلك الزمنِ ولم يَطلبْ من الدُّنيا إلا قدراً يسيراً ؛ بحيثُ يسدُّ الرَّمق ، ونَهى النفسَ عن الهوى ، وانعزلَ عن الناسِ ولازمَ البيتَ ، وكانَ هو فقيراً ذا عيالٍ ، وعَلِمَ

الشيخُ حقيقتَه ودَعاه لديه فقالَ : إني جَعلتُك خليفتِي وخليفةَ الرسولِ صلى الله عليه وسلم ، وسلطانَ السّلاطين وأَميرَ الأمراءِ ، وأَعطيتُك الدُّنيا والآخرةَ ، فأَمرَ بالإرشادِ وأَكّدَ الأَمرَ به ، واسْتعفى كرَّاتٍ ومرّاتٍ وكانَ يردُّه ، وقالَ : يا أُستاذي لو رَددتَ عنّي هذا الأَمرَ العظيمَ لكنتُ في كهفٍ خالٍ عن الناسِ مع العيالِ بتركِ العقارِ والمنقولِ ، وأَكّدَ الأمرَ ثانياً ؛ بحيثُ لا يكون له بدٌّ لردّه ، وامْتثلَ أَمرَه ، وقَبِلَ ذلك المنصبَ العظيمَ ، فبعدَ ذلك ابتدأَ بإِرشادِ الخلقِ ، وقَعدَ علَى سجادةِ الخلافةِ مستعيناً بالله العظيم ، ومستفيضاً من الرسولِ الكريمِ ، ومتوسّلاً بالسّاداتِ الكرامِ ، أَهلِ الطَّريقةِ ذَوي الاحترامِ .

واشتهرَ أَمرُه ، وارْتحلَ إليه كلُّ مَن أَرادَ السلوكَ إلى سبيلِ الحقّ حتَّى من أَقصى البلادِ ، فبعدَ ذلك قد كَثرَ المريدونَ الوافدونَ ، وسَعى إليه الطَّالبون من كلِّ جانبٍ ، وجاؤُوا من القُرى البعيدةِ والبلادِ الشَّاسعةِ حتى صارَ الوافدونَ في كلِّ يوم جمّاً غفيراً ، واجتهدَ لهدايةِ مَن لاقَاه من الطَّالبينَ السّالكين وتربيتِه لله تعالى ولأجل رسولِه صلى الله عليه وسلم امتثالاً لقوله تعالى : ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ﴾ .

فبعدَ تَرصُّدِه علَى هذا المنصبِ العظيم ذَهبَ الشّيخُ الحاج عبدُ الرَّحمن العَسلي قُدّسَ سرُّه إلى الحجّ ، وفَوَّضَ أَمرَ الإرشادِ إليه ، ومات هو رحمه الله في جدة بعدَ تمامِ الحجِّ ، ودُفنَ فيها عندَ قبرِ حوّاء .

ثمَّ بعدَ انتقالِه إلى جوارِ ربِّ البريةِ ذَهبَ لدى الشّيخِ الحاج شعيب أَفندي الباكِني قُدّسَ سرُّه ، وقبلَه بالتَّحيّةِ والإكرامِ ، وربّاه بأحسنِ تَربيةٍ ، فلقّنه مراقبة

« خفي » و « أخفى » وأَذنَ له بالإذنِ الصَّحيحِ ، وأَجازهُ بالإجازة المطلقةِ ، وكَتبَ له صكَّ الإجازةِ في الطَّريقة النَّقشبَنديَّةِ العليّةِ ، ثُمّ بعدَ انتقالِ الشّيخِ الباكني إلى جوارِ ربِّ العزّةِ ذَهبَ لدى حضرةِ القطبِ المستور مِير سيف الله النَّقشبَندي الشَّاذلي القادري الأُويسي الحسينيّ النرْبكري الغازي الغُمُوقي قُدّسَ سرُّه العزيز ، وقَبلَه قبولا حسنا ، وصبَّ ذلك القطبُ الأَعظمُ والشّيخُ الأَكبرُ ما في صدرِه إلى صدرِ الشّيخِ حسن حلمي أَفندي ، وقالَ : صَببتُ ما في صدرِي إلى صدرِك ، وأَجازَ له في الطَّريقةِ الصدّيقيَّةِ العليّةِ ، والشَّاذليّةِ السنيّةِ ، والقادريّةِ الجليّةِ ، وفي جميع العلوم الظاهرة والباطنة ، والأحزاب المأثورة من أئمة الصوفية ، وفي « صحيح البخاري » و« مشكاة المصابيح » ، وفي « الحزب الأعظم والورد الأفخم » ، وفي « دلائل الخيرات » و« الطريق العالية من البردة الشريفة » ، والأحزاب المنسوبة إلى العارف الشاذلي ، و« حزب الإمام النووي » و« حزب الدور الأعلى » للشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي ، وسائر الفنون النقلية والعقلية ، وكتب الأحاديث الصحيحة المسلسلة ، وفي الطريقة العلية من طريق الحسن ؛ كما هو مذكور في الثبت ، وفي سائر العلوم والأحاديث ؛ حتى لكتابة التمائم والأسباب فيما لا يحصى عدُّه ، وأوصله إلى الدرجة العلية والمراقبات الأقربية ، وصار هو كائناً بائناً ، عرشياً فرشياً ، فانياً باقياً .

فبعدَ انتقالِ الشَّيخ الأَكبرِ سيف الله قُدّسَ سرُّه من هذه الفانيةِ إلى الدّارِ الأَبديّةِ الباقيةِ . تَفرّدَ في ديارِ داغستانَ في المشيخةِ الصّادقةِ الصِّديقيّةِ ، وتَوحّدَ في الطَّريقةِ الشَّاذليّةِ الحسنيّةِ العليّةِ ، ولكن لم يُظهرِ الطَّريقةَ القادريّةَ



الجليّةَ ؛ لعدمِ وصولِ صكِّ الإجازةِ من الشّيخِ المذكورِ المرحومِ المغفور له وإن كانَ مجازاً فيها بالإجازةِ الصَّحيحةِ المطلقةِ ، وذلك لشدّةِ إنصافِه وصفائِه في الطَّريقةِ النَّبويّةِ ، وإنّ الوثيقةَ وصكَّ الإجازةِ ولُبسَ الخرقةِ ممّا جَرتْ به عاداتُ ساداتِ الصّوفيّةِ .

أَخلاقُه :

وكانَ يَتكلّمُ مع مَن جاء لديه بالمداراةِ ، ويُحسنُ أَخلاقَه ؛ بحيثُ يُوافقُ حالَه ومـآلَه ، وكان وَرِعاً لم يُرَ منه ما يُخالفُ الشَّريعةَ ولو أَدنى شيءٍ ، وكانَ ذا أَخلاقٍ حميدةٍ ومناقبَ سديدةٍ ، وطبع حليم وحياءٍ جسيم ، بارعاً حاذقاً في جميعِ العلوم نثراً ونظماً ، عربيّاً وعجميّاً ، وكانَ بسيطَ الوجهِ نشيطَ النّطقِ ، يُحبُّه كلُّ من رآه ، وقوراً حليماً ، سخيّاً جواداً ، مطابقاً مسمّاه باسمِه ، معرضاً عن حبِّ الدُّنيا وحبِّ الجاهِ .

وكانَ شديدَ المنَّةِ ، كثيرَ العفّةِ ، وكانَ يزجرُ الأَولادَ والأحبابَ عن قبولِ الهدايا والإحسانات ، ويقولُ لهم : إنّي أُريد أَن أكونَ كالتّيسِ ولا أُريد أن أَكونَ كالمعزِ ، الإنسانُ عبدُ الإحسانِ

ومن كراماته:

إقرار العلماء الأعلام . وكان علماء عصره راجعين على عتبة بابه ، داخلين في دائرة تربيته ، طالبين منه الإجازة للتدريس في العلوم الظاهرة كما هو مذكور في مصنّفاته ببيان أسمائهم ، وكان لا يخالف الشريعة الأحمدية

ومن أعظم كراماته كونُه خليفةً ومأذوناً من السادات المذكورين قبلُ ، وإن القطب المستور السيد الأمير سيف الله النژبكري قدس سره قد أثنى له بالعبارات التي تدهش العقول بسماعها ، وتتحير الأفكار بتفكّرها ، وتنشق القلوب بقراءتها ، وأنه قدس سره كتب إليه مكاتيب عديدة بحيث لا تحصى بالنظم والنثر ؛ ثناءً عليه ، وقال :

يا حبيبَ القلبِ بالي في الخطوبِ ... في أُمورٍ ليس لي غيرُ الصُّعوبِ
يا أَنِيسَ الروحِ ما لي مؤنسٌ ... غيرُكَ المرجوّ في خطبِ الكروبِ
طيفُك الميمونُ في قَلبي سَرَى ... سيرك المحمود علّامُ الغيوبِ
أَنتَ نعمَ الخِلُّ يا نجمَ الهدى ... أَنت سري أَنتَ مفتاحُ القلوبِ
كيف لا أنت سرورُ الفقرَا ... يا وصيَّ القطبِ مفتاح الشُّعوبِ
عجباً كيف أَتَى تاريخُكم ... جاء فيَّاضاً لإحياءِ القلوبِ
سيفُك المفلولُ ساهٍ بالضّنى ... يا حبيبَ القلبِ بالي في الخطوبِ

مؤلَّفاتُه :

وأنه رحمه الله تعالى شيّد مصنّفاته بالمآخذ والنقول من الكتب المعتمدة المأثورة من أئمة الفقهاء والصوفية ، لكن لم يشر عليها بالمطالعة على الكتب ، بل بما فتح الله له من العلم اللدني

وقد تَركَ مؤلَّفاتٍ عديدةً ، منها :

١ تنبيه السالكين إلى غرور المتشيّخين بالعربية والعجمية منظوماً ومنثوراً

٢ تلخيص المعارف في ترغيب محمد عارف



٣ خلاصة الآداب لمن أراد فتح الأبواب بالعجمية منظوماً

٤ البروج المشيّدة بالنصوص المؤيّدة

٥ السفر الأسنى في الرابطة الحسنى

٦ سراج السعادات في سير السادات

٧ الدرّة البيضاء في ردّ البدع والأهواء

٨ جهد المقلّ في ردّ شطحات المنكر المضلّ

٩ فيض الرحمن في ذكر كلام عبد الرحمن

١٠ وسائل المريد في رسائل الأستاذ الفريد

١١ الجوهرة النفيسة في إعانة الطريقة النقشبندية

١٢ الأجوبة القحية لأسئلة الإهلي

١٣ زبدة فضائل صلاة الفاتح

١٤ تلخيص الكلام الحسن من مقالات حسن أفندى القحي

١٥ مختصر نفائس السانحات في تذييل الباقيات الصالحات

١٦ رسالة إلى العالم الفاضل محمد الحركلي

١٧ مجموعة فتاوى أهل التحقيق في مسألة جمع الثلاث من التطليق

١٨ الملتقطات القحية من رشحات عين الحياة

فبسبب تلكم المصنفات النفيسات اشتهرت طريقته في البلاد ، وتواترت أخباره بالإرشاد ، وتنوّر العالم بيُمْن توجُّهاته العلية وأحواله السنيّة ، وزالت ظلمات الجهل والبدع بظهور تأليفاته المستطابات بعد ما غشيت الأقطار والبلاد بالأهواء والمخترعات في الطرق المنيرات المصطفويات بزخارف المعاندين المنكرين المبتدعين المتشيّخين المارقين ، وببركة علومه وآثار أنوار معارفه قلّت البدعات وانهدمت المبطلات .

وفاته :

توفِّي رحمه الله سنة ست وخمسين وثلاث مائة وألف (١٣٥٦) للهجرة (١٩٣٧)م

رحمه الله رحمة واسعةً ، وأسكنه فسيح جنته .

والحمد لله رب العالمين .



مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله خير الأسماء ولله الحمد والثناء والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله المجتبى .

أما بعد فيقول الحقير الفقير حسن ابن العالم الحاج محمد القحي خادم فقراء الزاوية السالك في سلك أصحاب الشيخ العالم الرباني والعارف الصمداني الحاج عبد الرحمن العسلي قدس الله سره ورزقه العافية في الدارين آمين .

لما وجدنا أهل هذه الطريقة النقشبندية العلية وقعوا في هذه الديار الداغستانية غرباء بواسطة شيوع البدعة فمن ذلك اخترع أبعاض أهالي هذه السلسلة بواسطة قصور نظرهم بدعات وجذبوا قلوب الناس إلى جوانبهم بعلاقات ارتكاب تلك البِدَعَات وظنوا هذا العمل منهم تكميلاً لهذه الطريقة حاشاه وكلاّ

بل هؤلاء الجماعة يجتهدون في تخريب هذه الطريقة وتضييعها ولم يدركوا حقيقة معاملة أكابر هذه الطائفة هداهم الله تعالى إلى كل ما فيه صلاحهم في الدارين آمين .

وسمعنا أن أكثر المتشيخين سامحهم الله تعالى عنهم يجرّون مريدي الأغيار إلى جوانبهم بالأقوال المموّهات والحيل الباطلات عياذاً بالله تعالى

عن هذه الغرورات خصوصاً لجرّ الأغنياء لمجرّد غناهم أو لتكثير سواد مريديهم ليشتهر بهم اسمهم بين الناس وأكثرهم يزعمون بالمشيخة مع عدم سلوكهم في الطريقة من شيخ كامل وليس في أيديهم صكّ الإجازة المقبولة بل ليس أشياخهم في دعواهم سالكين ومأذونين من شيخهم بيقين لكنهم تصدروا للإرشاد بأنفسهم .

ومنهم من يزعم أن مشيخته من النبي عليه السلام وأنه أخذ منه عليه السلام بلا واسطة .

ومنهم من يزعم أن روحانية الكامل أذن له في المنام .

ومنهم من يقول إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل أحد وإن ما يفعله من تلقين الأذكار وتعليم أمور الشرع يجوز ولا مانع منه .

وبعضهم يقول إن تلقين الذكر القلبي على قاعدة النقشبندية حرام للعوام ولا يجوز ذلك إلا لمن صارت نفسه مطمئنة ويكفي الذكر اللساني للعوام . ولا يُجَوِّزُ لأحد الدخول فى الطريقة إلا له[١] ومع ذلك يلقن هو للمريدين الأذكار اللسانية ويسمّيها شريعة ويسمّي الذكر القلبي طريقة ويمنعه .

ومنهم من يلقن الذكر اللساني ثمّ إذا أنكر عليه الطائفة النقشبندية يقول إن تلقينه هذا لمجرد حصول الاستعداد للمريدين ولا يدعي على أصل الطريقة وأذكارها بل يقرّ عليها وعلى جواز تلقين الذكر القلبي وما

(١) أي لمن صار نفسه مطمئنة

بعده بعد حصول الاستعداد وهذا القول من هذا البعض قول صادق مقبول عند النقشبندية ولا يلقنونه ابتداء لكل واحد بل يستعدون بعض الطالبين نحو شهر أو أكثر أو أقل على اختلاف مراتبهم بتعليم الرابطة والصلاة والاستغفار ويلقنون لهم بعد ذلك الذكر القلبي لكن إذا ردّ عليه كيف لا يتمّ الاستعداد ولو لواحد من المريدين وفيهم من مضى مذ زمن أخذ الطريقة عشر سنين أو أكثر وفيهم المأذون للإرشاد فلا يجد له جواباً بل يسكت ويخرس كما يأتي إن شاء الله تعالى .

ومنهم من يزعم بأن في يده إذن من سادات القادرية مع أن شيخه في زعمه نقشبندي .

ومنهم من استعمل الأذكار على جميع اللطائف بنفسه وادّعى حياتها فتصدر هو بنفسه للتلقين والإرشاد .

ومنهم من تشيّخ بلا دليل مقبُول . وسبب مشيخته هذه أنّ هذا المسكين سمع أن شيخه مات ثم ذهب إلى قريته للتعزية فتفحّص عن المأذون له فلم يوجد ثم قيل له سمعنا أن في ناحيتكم من هو مأذون له من طرفه ولم يعيّنوا فظنّ هذا المسكين أن هذا الذي أذن له شخصه ونفسه ثمّ شاور مع عالم من علماء ناحيته في حقه فمنعه ذلك العالم من ذلك فلم يستمع على قوله فتصدّر لإرشاد الناس وتلقين ما أراده واختاره على خلاف ما كان عليه شيخه النقشبنديّ .

ومنهم من يجوز أن يتصدّر للإرشاد بلا خلاف لأنّه كان عالماً متبحّراً ومأذوناً له من قبل شيخه لكنه لم يمش على ما مشى عليه شيخه النقشبندي وتبدّل الأذكار وتغيّر قواعد الأوراد قائلاً إنه لا يستطيع أن يتوجّه لكلّ من جاءه من المريدين كما هو شرط في الطريقة النقشبندية فإن منعهم رجعوا آئسين وإن لقن لهم ذكر اللسان رجعوا طامعين مسرورين ظانين أنهم مقبولون وصاروا بذلك مريدين فيتركون المعاصي ويلازمون الأوامر .

ومنهم من يرسل الأوراد إلى البعداء ويلقن الأذكار بخلاف ما كان عليه أهل الإرشاد الصلحاء .

ومنهم من تشيخ بلا حجة مقبولة عند العلماء وسبب مشيخته هذا أوصى واحد وقت احتضاره لولد شيخه عصاه وعباءه ثمّ قيل له إنّه أذن له للتلقين وتلك الوصية أمارة على ذلك ولم يكن هذا الولد وقتئذ داخلاً في الطريقة وعالماً بكيفية التلقين فاهتمّ هذا واغتمّ ثمّ اعتزل عن الناس وراض نفسه وجوّع بطنه وتهيّأ للتصدر والإرشاد فجاء واحد لديه ليطلب منه ورداً فتحيّر وتردّد ولم يعلم ما يلقّنه وجهل ما يفعله فسأل أخاً له في الدين أيّ شيء أعلّمه وأيّ ورد ألازمه فقال قل له اذكر لا إله إلا الله كذا وكذا مرة واستغفر الله كذا وكذا مرة وصلّ على النبي عليه السلام كذا وكذا مرة ثم عوّل هذا المسكين أمر تلقين التوبة إلى هذا الأخ المذكور ولقن لهذا الجائي وذهب هو إلى مكانه مسروراً وبعد ذلك اشتهر مشيخته فى النواحي والتجأ إليه الأبعاض من أطراف البوادي واعتقد الناس فيه وظنوا أن ليس على وجه

الأرض شيخ مثله هكذا أخبرني من كان معه حين إعطاء العصا والعباءة إلى يده وهذا هو الذي شاوره هذا البعض في حق التلقين وعوّل إليه أمر تلقين التوبة لمريده . انتهى .

ومنهم من يلقن الأذكار كما ذكرت ويقول إذا قيل له لقّن الأذكار السلوكية على قاعدة النقشبندية لا إذن لي فى ذلك ولا رخصة ولا يجوز أن أفعل ما لا رخصة لي . انتهى .

فهذا هو أحسنهم قولاً وإن كان فى صنيعه شَيْناً هداه الله تعالى إلى ما يرضاه . آمين

ومنهم من تصدر بلا إذن من الكمّل وأظهر من نفسه الكشف والكرامة ليتوجّه إليه وجوه الناس بالوقارة ويعتقدوا فيه بالخصوصية[1] مع أنه فى الحقيقة لم يشمّ رائحة من الخلوصية حتى قال بعض من الثقات فى هذا الزمان أنه كانت له زوجة وكانت تخرج من البيت إذا جاء لديه مريد أو غيره فتمنعه من الدخول عليه فجأة قائلة إنه على ورده فيجب الإمهال إلى فراغه . فتسأله عن اسمه واسم قريته وعن كونه عالماً أو جاهلاً ثم كانت تدخل إلى بيت فى جانب حجرته وتخبره مطّلعة من الكوّة أن هذا الرجل الجائي اسمه هذا واسم قريته هذا وأنه عالم أو جاهل ثم يأذن للدخول يقول له مرحباً يا فلان من قرية فلانية و يذكر اسمه واسم قريته ويلاقيه

---

(١) الخصوصية ظهور الكرامة على يد واحد من الناس . والخلوصية الخلوص من شوائب الذمائم القادحة في العبادة والاتصاف بصفة الإخلاص بلا حظّ من الحظوظات . (منه رحمه الله إفلاسه)

بوجه طلْق فيظنّ هذا أن ذلك علم بكشفه ولا يعلم ما فعلَتْ زوجته فيعتقده ويذكره فى المحافل والمجامع . فهذا أسوؤهم حالاً وأغرّهم ناساً إنا لله وإنا إليه راجعون . فما أعظم ما حلّ بهذه الأمّة المحمّديّة في هذه الديار الداغستانية بانتشار هذه البدعات والاختراعات كيف لا وقد قال تعالى ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ الآية .

وفي تفسير السلمي في تفسير قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ قال يوسف بن الحسين **أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة من ادّعى في الله ما لم يكن له ذلك أو أظهر من أحواله ما هو خال عنها** . وفي الحديث « من غشنا فليس منا »

فبظهور هذه الدعاوي من هؤلاء المتشبهين فى هذه النواحي مع أن أكثرهم فى العلوم متبحرون وفي العبادات مجتهدون وعلى الرياضة مطيقون امتنع الصلحاء الأبرار من أخذ الطريق الحقّ من السادات النقشبندية الأخيار وانقطعوا عن المنافع الحاصلة لمريديهم كطرد الغفلة من قلوبهم ودوام الحضور مع مولاهم ظنّاً منهم أن ما أخذوه من هؤلاء المتشيخين هو عين الطريقة النقشبنديّة أو القادريّة أو غيرهما وأنّ من أخذ من شيخ لا يجوز له الأخذ من آخر مع أنهم لم تحصل النتيجة بما أخذوه منهم ولو كانوا يذكرون الله ليلاً ونهاراً

أردنا أن نؤلّف كتاباً يعين لإزالة هذه البدعات والمنكرات بنصوص أئمة الطرقات ليرتفع بها الإنكار عن قلوب المعاصرين بحيث لا يقع بعده

الإشكال فى ظنون الناظرين وقد كثّرت[1] فيه النقول لردّ جميع ما ذكر من البدعات نصحاً للعباد أهل الريبات وحفظاً من الدخول فى وعيد المداهنات وقد قال تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً ﴾ وليكون نصيحة لمحدث البدع في دين ربّ العالمين لكي لا يدوموا على منهاج الشيطان الغرار ويخرجوا عن طريق الأئمة الأخيار ما لم يكونوا مكتوبين على ذلك الوصف في لوح الجبار شعر

نظمت لؤلؤة بها الهداة لهم ... بالاقتباس من النصوص والحجج
إن حافظوا ضوأها قعر الصّماخ فهم ... في رَحْبَة ليس فيها الشوك والعوَجُ
وداوموا نفعها بها العروج لهم ... إلى المقام العلى من جُمَع النَهج
فالفكر فيها لهم رَغْمٌ لأنوفهم ... لازمْ على خزنها إن كنت ذا عَلَج

ولقد ورد في الأحاديث الصحيحة « من أحيا سنة ميتة فله ثواب مائة شهيد » كذا في « الدرر المكنونات »

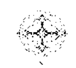
وسميته بـ « الدرّة البيضاء في ردّ البدع والأهواء » وقصدت أن أنقل لإبطال أقوال وأفعال ومستندات كل من أولئك المذكورين ولإزالة البدعات والمنكرات عن أمثالهم المغرورين مآخذ صريحة وأقوالاً صحيحة متفحّصاً عن كتب المعتمدين وأقوال العلماء المرشدين .

---

(١) وفي نسخة وقصدت أن أحرر الأجوبة بردّ جميع ما ذكر من البدعات .

وقال البيضاوي في تفسير قوله تعالى ﴿وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ الآية لأنّ مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الأعداء بالسيف . انتهى .

وورد « أن الساكت عن الحق شيطان أخرس » فلعل الناظر أن ينظر إليه بعين الإنصاف متجنّباً عن الاعتساف ويعتبر المقول لا القائل ولعل الله الملك القادر يحمله إذن أن يقول إنه زبدة نصوص الأئمة الأخيار وحاصل محصول أقوال المجتهدين الأبرار . جعله الله تعالى نافعاً وهادياً إلى الحق بلا عناد إنه هو الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب وهو وليّ العصمة والتوفيق . فبالنظر إلى أصناف أهل الدعوى وشطحاتهم الفاسدة وجب أن يرتب الكتاب على أبواب



الباب الأول

في عدم جواز التصدّر على مقام المشيخة لمن لم يأذن له الشيخ الكامل ووجوب الاعتراض على حاله

قال الغوث الأفخم والقطب الأعظم محمود أفندي قدس سره في « المكتوبات » في الفصل السادس قالوا المشائخ أي ما يطلق عليه اسم الشيخ ثلاثة . منهم من ليس في يده تصرف في المريد وتأثير فيه فهم كالعوام بل هم أضلّ من الأنعام ليس فيهم المشيخة إلا اسمه ورسمه كما هو حال أكثر مشائخ الزمان .

وقال مولانا خالد السليمان مجدد المائة السابقة ويجب الاعتراض على حالهم والإنكار عليهم لأنّهم ضاعوا وأضاعوا الناس لحبس الناس عن ذهاب أهل الكمال ومنعهم عنه ولكونهم سبب حرمانهم عن الكمال وفيهم الوعيد خصوصاً إذا كانوا جاهلين بأمر الدين . انتهى .

وقال خاتمة المرشدين محمد بن عبد الله الخاني قدس سره في « البهجة السنية » قال الرازي رحمه الله تعالى ولا يخفى أن من تصدّر للمشيخة من غير إذن فما يُفْسده أكثر مما يصلحه وعليه إثم قاطع الطريق فإنه بمعزل عن رتبة المريدين الصادقين فضلاً عن المشائخ العارفين . قال وإياك أن تصحب أحداً من المدعين للطريق بلبس الزيّ أو تدعهم يأخذون عليك العهد فإنهم آذى من الثعبان وذلك لأنّك تشهد الأذى من الثعبان فتأخذ منه حذرك ولا هكذا من ظهر مظهر الصلاح وهو في الباطن شيطان في زيّ إنسان . انتهى .

وقد كان الجنيد ﷺ يقول **لا تلتفتوا قطّ لشخص ولو تربع في الهواء إلا إن رأيتموه تقيّد بالشريعة أمراً ونهياً** . انتهى

وورد إلي كتاب من طرف أخينا العالم الأوحدي السيد الشريف الأمير سيف الله الحسيني النقشبندي الغازي الغموقي سليل شيخ باشلار الداغستاني قدس سره . ومن جملة ما كان فيه من النصائح هذه العبارات وأوصيكم أيها الأخ وإن لم أكن أهلاً لذلك فأنت له أهل أن لا تعاشر مع أكثر مشائخ هذا العصر ومريديهم والمجادلة معهم **ولقد سافرت أقصى البلاد وعاشرت أصناف العباد فما رأت عيني ولا سمعت أذني أشرّ ولا أقبح ولا أبعد من جناب الله تعالى من طائفة تدّعي أنهم من كمل الصوفية وتنسب أنفسهم إلى الكمل وتظهر بصورتهم ومع هذا لا تؤمن بالله ورسله واليوم الآخر** ولا تتقيد أنفسهم بالتكاليف الشرعيّة ولقد رأيت كثيراً منهم في ديار الداغستان يزعمون المشيخة مع عدم سلوكهم من شيخ كامل زاعمين أنهم أخذوا الإذن من الروحانية أو في النوم وليس هذا إلا افتراء منهم لعن الله جميعهم **فالله الله يا أخي لا تسكن في قرية فيها واحد منهم** لقوله تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ ﴾ وليس لهم همة واعتناء إلا جمع الحطام لأجل هذه الفانية عياذاً بالله منهم . انتهى من خطه .

وورد إليّ رسالة أخرى من طرفه قدس سره ومن جملتها هذه العبارات وإياك إياك النظر إلى مشائخ هذا العصر ومريدي الدهر والحذر من الجلوس معهم فذلك والله هي الفتنة الظاهرة وملاقات الشيطان أسلم من ملاقاتهم . انتهى من خطه .

وقال في « البهجة » قال الرازي ويجب على الطالب الصادق في بدايته أن لا يصحب أكثر مدعي المشيخة في هذا العصر إلا بظهور أمارات الصدق **بإلهام من الله تعالى للطالب أو بشهادة الصادقين من أهل الطريق لذلك الشيخ** وكذلك لا ينبغي للشيخ أن يصحب أولاد المشائخ المتشيخين بالآباء والجدود ولبس الزيّ من غير علم ولا عمل . فإنّ التعب مع هؤلاء ضائع . انتهى .

وقال الشعراني في « المدارج » من لم يعلم آباءه وأجداده في الطريق فهو أعمى وربما انتسب إلى غير أبيه فيدخل في قوله ﷺ « لعن الله من انتسب إلى غير أبيه » . وقال سيدي عمر الفارض

نسب أقرب في الشرع الهوى بيننا من نسب من أبوي

وهكذا بل عينه في « المتممات » . وصرح في « القول المتين في فضل الذكر والتلقين » إن ذكر سند التلقين مقدم عليه . انتهى من « تحفة السالكين » من ٦٤

وقال أحمد ضياء الدين قدس سره في « جامع أصول الأولياء » وقد أجمع السلف كلهم على أن من لم يصح له نسب القوم ولا أذن في أن يجلس للناس لا يجوز له التصدر إلى إرشاد الناس ولا أن يأخذ عليهم عهداً ولا أن يلقنهم ذكراً ولا شيئاً من الطريق **إذ السر في الطريق إنما هو ارتباط القلوب بعضها ببعض إلى رسول الله عليه السلام إلى حضرة الحق جل جلاله** فمن لم يدخل سلسلة القوم فهو غير معدود منهم . انتهى .

وقال الشعراني في « المدارج » وأجمعوا كلهم على أن من لم يصح له نسب القوم فهو لقيط في الطريق لا أب له ولا يجوز له التصدر والجلوس

لإرشاد المريدين إلا بعد أخذه آداب الطريق من شيخ كامل مجمع على جلالته وخبرته بالطريق ثم يؤذن له صريحاً بأن يرشد ويلقن[١] .الخ . انتهى .

لا يجوز دعوى الإذن من الروحانية في المنام

قوله (صريحاً) إشارة إلى أنه لا يجوز قبول دعوى الإذن من الروحانية في المنام أو في الواقعة فليتدبره والله أعلم .

ولقد أشكل العالم الأوحدي خلّ أحمدلو العرادي هداه الله إلى ما يرضاه ورزقه متابعة نبيه عليه السلام في الأفعال والأقوال والأحوال أي بما في « سلسلة الخواجكان »بهذه العبارات ومن تخلق بمجموع هذه الأخلاق .الخ فصحّ له دعوة الخلق إلى الشريعة وهداية السالكين إلى الحقيقة . انتهى . وبما في « سلك العين » من بيت

والإذن فتح ببسط القلب يفهم ما   يلقى عليه من أسرار السنيات

أي فقال ذلك العالم فلو سلك واحد في سلسلة الشيخ النقشبندي وسعى بما أمره الشيخ وفتح عليه من الرحمن . .الخ ولم يأذن له الشيخ أو كان الشيخ على قصد إعطاء الإذن له ففاجأه الموت فمات الشيخ قبل الإذن له مع كاغذ الإجازة ألا يمكن له إرشاد الخلق واتخاذ المريدين وتعليم الأوراد لهم أم لا وإن لم يمكن فما معنى قول خواجكان والخ . هذا حاصل ما كتبه رحمه الله مستجيباً منّا .

فأردت أن أجيب عنه وأدخله في هذا الموضع تتميماً للفائدة وتعليماً للحقيقة بإذهاب الإشكال في تلك الدقيقة .

---

(١) وفي نسخة الزيادة ويلبس الخرقة على شروط ما كان عليه السلف .

فأقول وبالله التوفيق لا يجوز إرشاد الخلق وتعليم الأوراد لمن لم يأذن له الشيخ الكامل ولو مشى على جميع مقامات الطريق بالتفصيل وفتح عليه بلا ترديد وتخلق بالأخلاق المحمودة بلا تعطيل لأنّ الله تعالى أجرى عادته في كشف أسرار أسمائه أن يكون بتلقين عارف يعرف أسرارها مأذون من قبل شيخه الكامل المأذون له من قبل شيخه وهكذا إلى أن يتصل نسبته إلى النبي عليه السلام . والسر في ذلك ارتباط القلوب بعضها ببعض إلى رسول الله عليه السلام . فلو جلس للإرشاد واحد مثلاً بغير إذن من شيخه لا يجاوبه أرواح المشائخ ولا يجذبونه إلى الله ولا يحفظونه من وسواس الشيطان بل يقطعون عنه المدد ولا يفيضون عليه شيئاً من الفيوض ويطردونه طرداً بليغاً فكيف يصل الفيض والمدد لمن تبعه من مريديه حاشا ذلك وكلا ولا شك أن الشيخ واسطة بين الله وبين المريد ومتى طرد الواسطة لم يبق للمريد سبيل للاتصال بشيء من فيض الموسوط وإذا ذهب الواسطة ذهب الموسوط . فحاصل كلام أئمة الطرق أن اسم الولاية يطلق على من تخلى من الأخلاق المذمومات وتحلى بالمحمودات ويطلق في اصطلاحهم على الأول[١] أنه فانٍ وعلى الثاني[٢] أنه باق ولا يحصل الفناء والبقاء إلا بالسير الآفاقي والأنفسي وبحصوله يحصل نفس الولاية والكمال والاسترشاد ثم إن حصل للسالك بعد ذلك سيْرٌ رجوعيّ وهو السير عن الله بالله وكذا السير الذي يقال له في اصطلاحهم سير في الأشياء بالله فذا لأجل التكميل والإرشاد ويقال لمن

---

(١) أي على من تخلى من الأخلاق المذمومات .

(٢) أي على من تحلّى بالمحمودات .

حصل له السيران الأولان وَاصِلٌ وَاقِفٌ ولمن حصل له السيران الأخيران واصلٌ راجعٌ إلى دعوة الخلق إلى الحق .

وهكذا الفتح اثنان ظلمانيّ ونورانيّ وفي الظلماني يشترك أهل الباطل وأهل الحق وأكثره شيطانيّ كما وقع ذلك لكثير من الأولياء حتى لقطب الأقطاب غوث الثقلين عبد القادر الكيلاني قدس سره .

ولا يخفى أن الوصول والوقوف أو الرجوع وكذا الفتح بالفتح النوراني الرباني الخاص بأهل الحق أو بالظلماني لا مجال لمعرفتها إلا من شيخ كامل مكمّل قد خبر الطريق وعرف بالمهالك والمقاطع شيطانية كانت أو نفسانية فلا يجوز لأحد أن يثق الوقائع إلا بشهادة الكامل المكمل العارف الخبير وليس له إلا بها نصيب من مقام الإرشاد فيقف في مقامه من حضرة الوصول ولا يرجع إلى دعوة الخلق **فإن رجع هلك هو ومن تبعه** والعياذ بالله وتصدر غير المأذون له للإرشاد مما أجمع القوم على عدم جوازه . فعُلِمَ مما ذكرناه أن الاطلاقات التي في نحو « سلسلة الخواجكان » **محمولة إلى هذه المقيدات وإلا فيخرق بها إجماع القوم كما هو معلومٌ لدى من مارس كتبهم** وتقييد البعض مقدّم على إطلاق القوم إذا فرع عليه أو كان له دليل كما هو مفهوم ما في « الشهاب » من أوله في ١٢

وفي « ح م ر »[(١)] يجب العمل بإطلاقهم حتى يوجد المقيّد بل ظهر لنا ما يخصص ذلك العام بالإجماع كما مر راجع « المدارج » و« المواهب

---

(١) حاشية محمد الرملي .



البريقة » و« جامع الأصول » و« المتممات » و« درر الغواص » و« البهجة » و« الحدائق الوردية » و« الإبريز » فالكلام المذكور منقول منها من مواضع متفرقة والله الهادي إلى سبيل الرشاد مع أن التقييد في هذا الذي كلامنا فيه من المجمع عليه فيما بين القوم لا من بعضهم .

وفي « الأنوار » وشرح « الروض » ويرجح أيضاً بالكثرة فلوجزم مُصنّفان بشيء وثالث مُسَاوٍ لأحدهما بخلاف رَجّحناهما عليه . انتهى .

وفي « القيلوبي على شرح التحرير » وكثرة النَقَلة تفيد الترجيح فلا يُعَارضه تصحيح الأقلّ لمقابله . انتهى .

وفي « حاشية زكريّا » على « الجوامع » من بحث التواتر إنّ ما عليه الأكثر هو الحق . انتهى .

وفي « ابن حجر » من أوائله الخطأ إلى القليل أقرب منه إلى الكثير . انتهى . فهذا والسلام والوصية بالدعاء لهذا الملام واللسان يقصر عن البيان لمن لم يسلك الطريق إذ من لازمه استشكال الأحكام بعضها بعضاً ولو أنه سلك الطريق لم يجد حديثاً ولا أثراً ولا قولاً للأئمة يناقض آخر كما قال كذلك الإمام الشعراني قدس سره[1]

---

(١) وفي نسخة زيادة في هذا المكان وفى « البهجة السنية » ذكر أن واحداً كان فى بدايته عظيم المحبة والاعتقاد فى غوث العالم عبد القادر الجيلاني . قال وكان يظهر له أحياناً ويبشرني بأمور ويعينني بمهماتي فقال لي يوماً فى الواقعة إنك أخذت مدداً عظيماً ولكن لا بدّ من شيخ ظاهر انتهى باختصار على المراد .

الباب الثاني
في المجذوب المجرّد

لا يجوز له أن يتشيخ ولا أن يكون مربّياً للخلق لأنّه في قبضته سبحانه وتعالى مسلوب الاختيار عن نفسه وإذا كان مسلوب الاختيار عن نفسه فلا يَصْلح أن يكون مُربّياً للغيرلأنّ التصرّف في غيره يستدعي ولاية التصرّف في نفسه وهذا الوليُّ مجذوب في نفسه مسلوب التصرُّف في نفسه فكان مسلوب التصرُّف في غيره ألا ترى في عرف الشرع **أنّ مَنْ ثبتت له الولاية على نفسه ثبتت له الولاية على غيره ومن لا فلا** وأنه[1] كالأعمى فلا يجوز أن يكون دليل الأعمى أعمى فافهم وراجع « جامع أصول الأولياء » وفي

وفى زيل ترجمة « الرشحات » إن الإستفادة من أهل القبور غير واقع انتهى . وكذا الإجازة لا تقبل لأنه لو قُبِلَتْ يدعى كل واحد أن واحداً من الكمل أذن له فى المنام فيتصدّر للإرشاد والله أعلم . راجع « الفتاوى الحديثية » لابن حجر وفيه ما يؤيّد هذا

وفى « المتممات » و« البهجة » إن الكشف قد يخطأ ويتلون فلا يعمل به عند القوم راجعهما وفى الطريقة أمور لا يهتدى إليها إلا بالمشافهة والمكالمة ولا يتجاوز المريد عن مقام بلا شيخ راجع « الرشحات » و« المنن الكبرى »

فاندفع بهذه المنقولات دعوى المشيخة لمن ليس له أهلاً ولمن لم يؤذن له صريحاً حين حياة شيخه وظهر بها أن الأخذ من الروحانية لمن لم يكن له قبل ذلك شيخ فى الظاهر لا يكفي ولا يجوز أن يعتمد عليه والله أعلم .

وفى « فتاوى » ابن حجر رأى الفقهاء والأصوليون أن المصلحة للناس المتكلفة بسلامتهم من تغرير الشيطان والوقوع فى هفوة الطغيان قطعهم عن الاحتجاج بالإلهامات وأنّ ذلك باب يجب سدّه على الناس لئلا يترتب على فتحه لهم من المفاسد ما لا يحصى . انتهى .

(١) أي المجذوب .



« الأجوبة المرضية » و« المواهب البريقة » ما حاصله هذا إن المجذوب لا يصلح أن يكون مسلكاً للمريدين لجهله بتحقيق مقامات الطريق فحكمه كمن خطف من مصر في الهواء فوجد نفسه بمكة فإذا سئل من مناهل الطريق ومراحلها ربما جهل شيئاً منها بخلاف من سافر مع دليل الحجاج . فافهم . انتهى راجعهما

الباب الثالث

في جواز مشيخة من له شيخ كامل لو كان بيده

مكتوب الإجازة الصحيحة أو أذن له بمشهد الجماعة العدلاء المتواترة

فيجوز له أن يلقّن ويعلّم ولو كان هو ناقصاً لم يبلغ إلى درجة الكمال لأنّه قد يعطي الكامل للناقص الإجازة لتعليم الطريقة وهذا ليس بمناف للإفادة والاستفادة لأنّ يدَ الناقص يَدُ الكامل وتربيته تربيته لأنّه واسطة في الجملة في ارتباط السالك له هكذا في « المكتوبات » للغوث الأعظم محمود أفندي قدس سره لكن الإمام الرباني شرط في إذن الناقص تأثير المريد في صحبته راجعه .

وفي « البهجة » وأما الإذن لهم من جناب حضرة شيخنا خالد شاه قدس سره بالإرشاد مع نقصانهم فهو جائز من الكامل المكمل كما صرح به الغوث الصمداني قدس سره في بعض مكتوباته أيضاً بقوله وربما يجيز الكامل ناقصاً بتعليم الطريقة للطالبين وغرضه من ذلك أن يبلغ كتابه الأجل باجتماع أهل الذكر عليه كما أجاز بهاء الدين نقشبند ليعقوب الچرخي قدس سره قبل الوصول لدرجة الكمال وقال يا يعقوب ما وصل مِنّي إليك فليَصِلْ منك إلى الناس ثمّ تكمّل بعد ذلك على يد حضرة الشيخ علاء الدين العطاري . انتهى .

وينبغي أن يعلم أنّ النقص وإن كان ينافي الإجازة لما فيه من ضرر الطالبين لكن لَمَّا صدر من كامل مكمّل يكون هذا نائباً منابه ويكون يدُه يدَه فلا يتعدّى ضرره والله سبحانه وتعالى أعلم . انتهى مع اختصار على المراد .

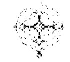
فإن كانت الإجازة من كامل مكمل فيجيز لتعليم الطريقة وتلقين الأذكار لا لتبديل أصولها واختراع البدعات في أذكارها وأورادها . فيجب على من أجيز أن يعلّم كما علّم ويلقن كما لقن من غير تغيير ولا تبديل في طريقة شيخه فإن خالف وبدل فقد ارتكب كبيراً واستحق وعيداً ودخل في هذا الحديث دخولاً « من أحدث في أمرنا » وفي رواية « ديننا هذا ما ليس منه فهو رد » أي مردود على فاعله لبطلانه وعدم الاعتداد به . وأخرج أبو داود عن حذيفة « كل عبادة لم تفعلها الصحابة رضي الله عنهم فلا تفعلوها »

وروي عنه عليه السلام أنه قال « عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة »

وروى مسلم « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا » أي حكمنا وإذننا « فهو ردّ » أي مردود عليه وإن لم يكن هو المحدث له . الأحايث من عينه « فتح المبين » لابن حجر فليتدبره المخالف والمبدّل لطريقة شيخه الكامل لأنّها وصلت إليه معنعنة مسلسلة من غير زيادة ولا نقصان من رسول الله ﷺ ومَنْ غيّرها فقد أساء الأدب مع شيخه وشيخ شيخه إلى رسول الله عليه السلام ومن أساء الأدب معهم فإنه ينقطع ترقِّيه وربّما رجع إلى حالة هي أنقص

ممّا كان عليه قبل صحبته له **لأن الأدب مع الشيخ سُلّم للأدب مع الحق جلّ وعلا فمن لم يتأدب مع الوسائل لا يشمّ رائحة من الأدب مع المقاصد** وأقلّ ما يحصل من الهلاك لمن خالف أستاذه الاشتغال بالدنيا والإدبار عن الآخرة . انتهى من « المنن الكبرى » مع تغيّر واختصار من عبارته عياذاً بالله من تلك المخالفة إنه ولي التوفيق . وإن لم يكن الإجازة من الكامل المكمّل فأمره معلوم ولا يجوز لذلك المجاز له التصدر للإرشاد لئلا يضيع ويُضَيِّعَ ويَضلّ ويُضلّ . وفي « جامع أصول الأولياء » إنّ ذكر الأسانيد في كلّ طرق إلى رسول الله عليه السلام واجب . انتهى .

وقد سألت واحداً من هؤلاء المتشيخين مَنْ شيخك فقال فلانٌ فقلتُ من شيخه فانتسب إلى عبد القادر الكيلاني قدس سره وجهل من بينه وبينه . وقال لي السيد الشريف سيف الله الحسيني قدس سره في حق هذا البعض لم أر أحداً على وجه الأرض ألعب بالطريق من هذا .انتهى . حتى أني رأيته يصلّي ولم أجد بين صلاته وصلاة الرعات فرقاً ما . وسمعته يقرأ فلا يحسن ولو آية بل يلحن لحناً جلياً . وقال السيد الشريف سيف الله المذكور إنّ هذا المتشيخ طلب منه كتابة صك الإجازة لأولاده مع أنهم لا يعلمون ما الطريق فقال له وهل ذلك مال لتقسمه بين أولادك بحسب الإرث ومنع هو من الكتابة . انتهى . وبعد ذلك استكتب ذلك من واحد من العلماء فكتبه وأراني ذلك المكتوب وقلت له هل أولئك الأولاد آخذون منك الطريقة وعالمون أورادها فقال لا فتحيّرتُ وسكتُّ سامحه الله تعالى وإيانا بفضله . وهذا الشيخ عند الورى كالقطب الأعظم . هذا مما لم يسمع إلى الآن من السلف الصالحين



والمشائخ الكاملين **فوجب على كل من انتسب إلى النقشبندية في ولايتنا الداغستانية أن يتفطنوا لهذا المطلب المذكور** لئلا يكونوا من ﴿ٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ ولينظروا إلى « الآداب المرضية » لجمال الدين الغموقي قدس سره فإنه هو الأصل في مشائخهم ولا يجوز لخلفائه وخلفاء خلفائه أن يغيروا ما كان عليه ويبدّلوا ما كان السلف الصالحون من مشائخه كيف وقد قال رئيس هذه الطريقة خالد شاه من غيّر أصول طريقتنا فليس منا كذا في « مجوعة الرسائل » لسليمان الزهدي قدس سره .

الباب الرابع

في أن دعوى من يقول إن شيخه هو النبي عليه السلام

وإنه أخذ منه بلا واسطة من المشائخ الكمل باطل مردود

ولا تظنّ أنّ أحداً من هذه المتشيّخين وضع قدماً واحداً في أوّل مقامٍ ارتقى إليه المشائخ الكمل فضلاً في مقام يأخذ عن رسول الله عليه السلام . قال الشعراني في « مِننه » وكان سيدي ياقوت العرشي رحمه الله تعالى يقول إن ادعى أنه يأخذ عن رسول الله عليه السلام الأدب والعلم فاسألوه عن كيفية ما وقع له فإن قال رأيت نوراً ملأ المشرق والمغرب وسمعت قائلاً يقول لي من ذلك النور في ظاهري وباطني لا يختص بجهة من الجهات اسمع لما يأمرك به نبيٌّ ورسولٌ . فصدّقوه وإلا فهو مفتر كذاب . انتهى . فعلم أنّ مقام الأخذ عن رسول الله ﷺ بلا واسطة مقام عزيز لا يناله كلّ أحد .

وقد سمعت سيدي عليّاً المرصفي رحمه الله يقول بين الفقير وبين مقام الأخذ عن رسول الله عليه السلام بلا واسطة مئتا ألف مَقام وسبعة وأربعون ألف مقام وتسعمائة وتسعة وتسعون مقاماً وأمّهاتها مائة ألف مقام وخاصّتها ألف مقام فمن لم يقطع هذه المقامات كلها فلا يصحّ له الأخذ المذكور . انتهى .

وقال فيه في موضع آخر فإن غالب فقراء الزمان اليوم صاروا يجلسون بلا إذن من شيخهم وبعضهم مات شيخه ولم يأذن له فادّعى أنه جاءه في المنام

فقال له ابْرِزْ للناس . وبعضهم ادّعى أنّ رسول الله ﷺ أذن له وهو بعيد فإنّ بين مقام الأخذ عن رسول الله ﷺ كذا وكذا ألف مقام ما أظنّ أن هذا حصّل منها مقاماً واحداً كما مرّ تقريره في المقدّمة . انتهى .

وقد ذكرنا قواعد أهل الطريق في رسالة خاصة فمن اطلع إليها وجد بعض المشائخ اليوم لم يبلغ درجة مريد . انتهى .

وفي « الفتاوى الحديثية » لابن حجر وفي « المدخل » لابن الحاج المالكي رؤيته ﷺ في اليقظة باب ضيّق وقلّ من يقع له ذلك إلا من كان على صفة عزيز وُجُودُهَا في هذا الزمان بل عدمت غالباً مع أننا لا ننكر منْ يقع له هذا من الأكابر الذين حفظهُمُ الله تعالى في ظواهرهم وبَواطنهم . انتهى ٢١٨ فليتأمله المنصف الغير المتعصّب فإن الإنسان بصير على نفسه عليم بحاله وإن استمر هذا المدّعي على دعوى قطعه هذه المقامات فيقال له ما المقام الأول منها فلعله يجهل ولا يتكلم بل يبهت ويسكت ويتحيّر فلا يجيب ويفتضح فيخجل .

وأما دعوى أن النبي عليه السلام رؤي في المنام وأذن له للتلقين والإرشاد فهو غير مقبول والله أعلم لما في « الرملي » من الصيام ولا اعتبار بقول من ادّعى رؤيته عليه السلام وأنه أخبره في النوم بأن غداً من رمضان ولا يصح الصوم به إجماعاً لا لشك في رؤيته وإنما هو لعدم ضبط النائم . انتهى ٣٠٨

وهكذا في « ابن حجر » . قال الشَّبْرَامُلَّسِي في « ح ر م » زاد حجر وفيه وجه بالوجوب ككلّ ما يأمر به ولم يخالف ما استقر في شرعه لكنه شاذ

فقد حكى عياض وغيره الإجماع على الأول أي وهو عدم العمل بقوله . فلا يعمل به من حيث أنه أخبر ﷺ به ثم إن كان له وجه مجوّز للعمل به لكونه نفلاً مندرجاً تحت ما أمر به الشارع أو جوّزه جاز العمل وإلا فلا انتهى ٣٠١

وفي « البجيرمي على شرح المنهج » ولا عبرة برؤية نائم له عليه السلام قائلاً له إن هذا من رمضان أو نحوه من سائر المرائي لأنّ النائم لا يضبط وإن كان الرؤيا حقّاً . « زي » . انتهى .

وفي « الشهاب » للقيلوبي ولا يجوز الصوم بإخبار غير المعصوم في النوم لعدم ضبط النائم أفعاله . انتهى .

وفي « مغني المحتاج » للخطيب الشربيني قدس سره من الآذان نظير ما مرّ فراجعه . وأما دعوى الإذن بالإلهامات والوقائع فبطلانه أشهر من أن يذكر .

قال ابن حجر في « كتاب الردة » ما حاصله إن الإلهام ليس بحجّة عند الأئمة إذ لا ثقة بخواطر من ليس بمعصوم . راجعه . وسيأتي في الباب السابع عشر ما قاله الإمام المعصوم من **أن الإجازة لتعليم الطريقة أمر عظيم لا تثبت بالواقعة** . انتهى ومرّ في الباب الأول ما له تعلق بهذه المذكورات فليلاحظه هنا .



الباب الخامس
في أن الأمر بالمعروف لا دخل له في أمر التلقين والتعليم

فأما قول من قال إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب صادق صاف لا غبار فيه لكن له شروط وللآمرين مراتب منهم من يغيّر المنكر بيده وهم الأمراء والسلاطين . ومنهم من يغيره بلسانه وهم العلماء فيغيرونه بسياسة ولطف لا بعنف وتكبّر ومنهم من يغيره بقلبه وهم المشائخ المتصرفون والأولياء الكاملون . **ومن تصدر لتغيير المنكر والأمر بالمعروف قبل فطامه على يد شيخ كامل فما يفسدُه أكثر مما يصلحه** لأنّه لا يهتدي إلى دسائس النفس الأمارة ومكائد الشيطان ذي الغواية فيأمر لحظّ نفسه ويغيّر لا لأجل خالقه سبحانه .

وفي « الرشحات » جاء شخص عند واحد من الأكابر وقال إني أريد أن اشتغل بالوعظ فبأيّ نية أشتغل به فقال له ذلك الشيخ جواباً عجيباً إنّ النية ليست بنافعة في المعصية . وهذا الجواب صحيحٌ فإنّ الوعظ والنصيحة قبل أوانهما معصية . انتهى عينه .

وقال[1] بعضهم يجوز الكلام والتكلّم في وقت بلغ المتكلم فيه درجة كان لسانه نائب عن قلبه وقلبه عن الحق سبحانه . انتهى . فإن كان ذلك الآمر والمغيّر ممن تخلّص عن قيد الوجود وانفلت إلى ميدان الإخلاص فلا مانع

(١) إذا سئل متى يكون وقت الكلام (منه)



له عن شيء يفعله ويختاره وإن كان ممّن هو أسير في يد نفسه ومقيد بأنانيّة فكل شيء يفعله فهو عيب وشيْن عليه ومن أراد أن يحقق هذا فليطّلع إلى « الإحياء » من كتاب الغرور .

والتلقين أمر مخصوص بأهله لا يجوز أن يباشره أحدٌ بقوله إنه آمر بالمعروف . لسرّ في التلقين يعرفه أهله مع أنه في قرانا قضاة نصبوا في المساجد ليعلموا الناس أمور الشرع الشريف فأيّ فرق بينه وبينهم ولا نعلم في حقه سرّ الخصوصية إلا أنه أحبّ الرياسة في معرض الخير والإصلاح وذا[1] آخر ما يخرج من قلوب العارفين وأنّى يتخلّص منه من سداه ولحمته أنانية .

---

(١) أي حب الرياسة



الباب السادس
في بطلان دعوى حرمة تلقين الأذكار القلبية
على قاعدة النقشبندية للعوام

وليس لمن يدّعي عليها نقل من الكتب بل النقل على خلافه فاستمع لما يتلى عليك إن كنت منصفاً واترك التعصّب والدعوى لعلّ الله ينزل عليك شيئاً من الرحمة الهابطة ويخرجك من مواعيد قطاع طريق الله سبحانه .

قال العالم العلامة البحر الفهّامة يوسف أفندي شوقي الطرابزوني الأوفي الحنفي النقشبندي الخالدي قدس سره في كتابه « هدية الذاكرين وحجة السالكين » وأما تعليم الذكر للعوام فلعموم قوله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ وقال تعالى ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ الآية . وراجع إن شئت الزيادة .

وقال الغوث الأعظم والقطب الأفخم أحمد ضياء الدين قدس سره في « المتممات » واعلم أن تلقين الذكر لبعض أهل الدنيا من ذوي المناصب والأشراف والمكاسب ثابت من السلف والخلف ومجتهدي الطرق على طريق التبرّك والمحسوبيّة لا بإرادة السلوك والتربية قبل ترك الدنيا والمناصب وتبسّطهم في الملابس والمفارش وتلبّسهم بالمخالفات .

فنقول تلقين الذكر لبعض أهل المناصب والأشراف والمكاسب والصنائع والملاح والتجار والراعي والقروي على طريق التبرك وطرد الغفلة عن القلب

القاسي وتكفير الذنوب وتخليص البلايا والنجاة من أنواع المكاره والسوء والنقمة حتى يتصقّل فيخشع وينيب إلى دار الخلود ويتجافى عن دار الغرور فيترقى بالتدريج إلى التوبة فما فوقها وليسارق الشيخ نفسه الأمّارة الآبية بالتدريب والتوطين لئلا تنفر وتملّ وتيأس من الإصلاح وتقطع الرجاء فتصرّ على المعاصي أَمْرٌ حَسَنٌ وهو من سياسات الإرشاد ولو قال له أوّل الأمر اترك الدنيا واخرج من كل المظالم وصحّح التوبة وإلا فلا ألقّنك الذكر ولا يكون لك قبولٌ ينتج الهداية لَنَفَرَ لاستصعابه كلّ ذلك ويحرم تلك الفائدة وربّما يصل إلى حدّ اليأس وهذه السياسة موروثة من فعل الرسول ﷺ مع الأشراف والرؤساء والكبار فإن بعضهم قال أدخل الإسلام بشرط سقوط الصبح وبعضهم بشرط غير ذلك فقبل منهم سرّاً ليدرّجهم على تمام الهداية تدريجاً فتدرّجوا عليها كما هو مستفيض .

وأوحى الله إلى داود عليه السلام لمَّا أَنِفَ من مجالسة بعض الفُساق ونهاهم عن مجلس وعظه يا داود إن المستقيم لا يحتاج إليك والمعوّج إذا لم تُقِمْه فلِمَ أُرْسِلْتَ فأدخلهم في سلك جلسائه وجماعة[1] إفادته فليت شعري هل من قائل بكفر الظلمة والفساق حتى يطردوا باليأس من علاج أمراضهم

(١) وصار يجالس عصاة بني إسرائيل ويحسن إليهم ويتخولهم بالموعظة الحسنة بشفقة ورحمة فانقادوا له كلهم إلا من حقت عليهم كلمة العذاب . وعلم مما قرّرناه أن محل قولهم يحرم إيناس العصاة ومجالستهم . ما إذا لم يكن لغرض شرعي . فافهم انتهى من « المنن »

ومن شرط الفقير أن يتواضع لإخوانه المسلمين ويرى نفسه دون كل فاسق على وجه الأرض . انتهى (منه) وفي شرح « شعب الإيمان » للقصري لا يكمل العارف حتى يرى مرتبته تحت مرتبة الأرضين السفليات انتهى من « المنن » (منه رحم الله إفلاسه)

القلبية وهل وضع الإرشاد والسياسة إلا للمعوّج الضال وهل يلزم أن يكون جميع المُلَقَّنِينَ بالذكر أهلاً للتبرك والتجريد والاستقامة أم منهم الواصل ومنهم المخلص المتوسّل ومنهم المتبرّك المتخلّف الساقط . وهذه السياسة الحسنة مشى عليها المشائخ والسلف والمرشدون وأطبق عليه المتأخرون لغلبة رأفتهم وتموّج رحمتهم على عامّة المسلمين وإن كنت في شكّ مما بيّناه فارجع في « الإحياء » و« المنن الكبرى » من الجزء الأول في ١٥٤ و« طبقات الصوفية » للشعراني .

وقد كان العارف أبو الحسن الشاذلي قدس سره يقول ينبغي للشيخ أن لا يأمر المريد برمي الدنيا إلا بعد أن يمهّد له بساطاً قبل ذلك يذكر له فيه ما يحصل له من أنواع القربات الإلهيّة واللطائف الربانية والعلوم اللدنية وهناك يتنبّه المريد لطلب ما يدعوا الشيخ إليه ويبادر لامتثال أمره وتهبّ عليه ريح التوفيق فلا يصير يقف مع شيء يَحْجُبُهُ عن حضرة ربّه عز وجلّ .

قلنا والبساط المذكور يختلف باختلاف استعداد المريدين طولاً وقصْراً فمنهم من يمهّد له بمدّة قليلة ومنهم من لا يتمّ تمهيده له إلا بمدّة طويلة بحسب تفرّس الشيخ فيهم وتفاوت معالجتهم . وقالوا لا بأس بتناول بعض الشهوات المباحة للنفس إذا ضَعُفت عن القيام بالعبادة كما أنّه لا بأس بلبس الثياب الفاخرة إظهاراً لنعمة الله تعالى وكما أنّه لا بأس بأكل الطعام اللذيذ وشرب الماء اللذيذ البارد لأجل استجابة الأعضاء للشكر بعزم وقوّة كما عليه السادت الشاذلية . فقد كان العارف الشاذلي يقول لأصحابه كلوا من أطيب

الطعام واشربوا من ألذ الشراب وناموا على أوطأ الفراش والبسوا ألين الثياب وأكثروا من ذكر ربّكم فإذا فعل أحدكم ذلك وقال الحمد لله يستجيب كلّ عضو فيه للشكر بخلاف ما إذا لم يفعل ذلك فإنه يقول الحمد لله وعنده اشمئزاز وبعض سخط على مقدور الله .

وقال علي القاري ليذكرنّ الله أقوام في الدنيا على الفرش الممهّدة يُدخلهم الله الجنات العلى . وفيه دليل على أن الملوك والأمراء ومن يجري مجراهم لا تمنعهم حشمتهم ورفاهيتهم عن ذكر الله تعالى وهم في ذلك مأجورون مثابون يدخلهم الله برحمته الجنان العلى وفيه إيماء إلى طريقة بعض السادات الصوفية كالنقشبندية والشاذلية والكبروية . انتهى كلام « المتممات »

وفي « الرشحات » قال بهاء الدين النقشبند كُل الطعام جيّداً واشتغل جيّداً . وهذا القدر يكفي للعارف . انتهى كلام « المتممات » ١٨٤ وقال جامع القطبتين الشيخ الفاني محمد ذاكر في كتابه « تبصرة المرشدين » ثم يلقّن الذكر باسم الذات من غير فرقٍ بين مريد ومريد على ما اختاره الإمام الرباني في الأخير على ما قرّر في مكتوب العروة الوثقى الإمام محمد معصوم الفاروقي . الخ . انتهى . وقال الشيخ محمد مراد في « الدرر المكنونات » إن تعليم الطريقة بعد الاستخارة والتوجهات أيّاً من كان مُناسِبٌ بل لازم . انتهى من ١٤٧

وفي رسالة العالم الرباني سيف الله الحسيني الغازي الغموقي قدس سره وقال شاه خالد قدس سره في بعض مكاتيبه مجيباً لمن شكى إليه من عدم استقامة الطالبين وتبرّدهم في هذا الطريق وأكثر الطالبين كذلك وأنّى يوجد

الصادقون أجاب ينبغي إذا طلبوا تعليمهم الطريقَ بعد الاستخارة من أرواح السادات الأعيان وحصول الاطمئنان فإن استقاموا فازوا وإلا فالضرر راجع إليهم لا إليكم . انتهى من خط خطه .

فكيف يجوز أن يطرد العاصي لعصيانه من ذكر الله فربما يجوز أن يكون ذلك العصيان خيراً له من طاعته . وقد قال ابن عطاء الله في « تاج العروس » فالمعصية مع الذل والافتقار خير من الطاعة مع العز والاستكبار . انتهى . قال ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » رزقنا الله نصيباً من علومه وسئل نفع الله تعالى به هل لقول تاج ابن عطاء الله في « حكمه » رُبّ معصية أورثت ذلاً وانكساراً خيرٌ من طاعة أورثت عزاً واستكباراً أصل من السنة وكيف يطلق خير على معصية . فأجاب بقوله نعم له أصل من السنة وهو ما أخرجه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب « الثواب » بسنده إلى النبي عليه السلام أنه قال قال الله عز وجل « لولا أن الذنوب خير لعبد المؤمن من العجب ما خليت بين عبد المؤمن وبين الذنوب » رواه الديلمي في « مسند الفردوس » بلفظ « لولا أن المؤمن يعجب بعمله لعصم من الذنب حتى لا يهمّ به ولكن الذنب خير له من العجب » وأخرج ابن أبي الدنيا وقال غريب تفرد به من اختلف في توثيقه الحديث القدسي المشهور المذكور في تفسير سورة الشعراء من تفسير البغوي وفيه « وإنّ من عبادي المؤمنين لمن يسألني الباب من العبادة فأكفه عنه أن لا يدخله عجب فيفسده ذلك » وإذا تأملت أن الخيرية في ذلك نسبيّة من حيث الثمرات والغايات المترتبة على ذلك لم يبق عندك الإشكال في إطلاقها على المعصية من رعاية ذلك الأمر النسبيّ فتأمله . انتهى ٢١٧

وفي « الفتاوى العمرية » قال الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ ولم يقل يا أيها الصالحون وكذا الخطاب في ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ ولا يترك أفعال الخير لأجل كثرة الذنوب فربما يحصل له أجر جزيل . وفي الحديث « إن أهل ذكر الله ليجلسون إلى ذكر الله وإن عليهم من الآثام مثل الجبال وإنهم ليقومون وما عليهم منها شيء » رواه أحمد بن حنبل في « الزهد » انتهى . **يقول** الفقير ذو العجز والتقصير إذا أطلق الذكر يعمّ القلبيّ واللساني بل إطلاق الذكر على اللساني مجازي فإن حقيقة الذكر طرد الغفلة فافهم وراجع « تفسير السلمي » و« تصديق المعارف » و« الفتاوى » للشيخ عمر الميرطي قدس سره .

وفي « روض الفائق » في ٢٥٨ ما نصه وعن أبي الأسود الدؤلي إن أبا ذر ﷺ حدثه أنه قال أتيت النبيّ ﷺ وهو نائم وعليه ثوب أبيض ثم أتيته ثانياً فإذا هو نائم ثم أتيته ثالثاً وقد استيقظ فجلست إليه فقال « ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنّة . قلت وإن زنى وإن سرق قال وإن زنى وإن سرق قلت وإن زنى وإن سرق ثلاثاً ثم قال في الرابعة على رغم أنف أبي ذر . فخرج أبو ذرّ وهو يقول على رغم أنف أبي ذر » انتهى .

وفيه أيضاً في ٢٥٧ وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ يعني لمن يقول (لا إله إلا الله) ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾ لمن يقول (لا إله إلا الله) (شديد العقاب) لمن لم يقل (لا إله إلا الله) . انتهى . وفي كتاب « السير والسلوك » **وأعظم أسباب الندم المداومة على ذكر بكلمة (لا إله إلا الله)** لأنّه

إذا داوم عليها أوقد الله في قلبه مصباحاً ملكوتياً فتزول به ظلمة الباطن فيظهر ما فيه من النجاسات والآفات القاطعة عن نيل السعادة وهو وإن كان يعلمها من قبل لكن ذلك العلم ليس معه نور فلا يفيد وأما مع تلاوة الاسم فيحصل الندم الذي هو التوبة .

وقد روى سلطان الأولياء وقدوة الأصفياء القطب الرباني والغوث الصمداني سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس سره أنه كان يأتيه الرجل فيشكو ترك الصلاة والتهاون في أدائها فيقول له أكثر (لا إله إلا الله) ويأتي آخر ويشكو له الزنا مثلاً أو شرب الخمر أو غيرهما من القبائح فيأمر بالذكر المذكور فما جاءه أحد يشتكي من ترك مؤمور أو فعل منهي عنه إلا أمره بالذكر . انتهى .

فهذه السياسة الحسنة هي التي مشى عليها المشائخ قديماً وحديثاً وهي المعالجة الكبرى من أصحاب الطبّ الروحاني رضي الله عنهم . قال الشيخ زاده في شرحه على « البردة » في ٣٩٠ فإن تزكية النفس لا تتيسر إلا بنظر نبيّ أو وليّ ذي تجربة في هذا الشأن . انتهى .

وقال الخربوتي في « عصيدة الشهدة شرح قصيدة البردة » في ٢٩ إن للمرشد إرشاد كلّ من استغرق في الهوى ولم يعلم ذلك إلا النبيّ أو الوليّ وبه يكون أكثر الفاسقين صالحاً وأوفر العاصين زاهداً بل كل رجل يلزم له أن ينيب إلى مرشد كامل . انتهى . ولا شكّ أن ما يستعمله مشائخ الطريقة لشفاء العِلَلِ المعنوية أوالحسية هو الذكر الكثير ولذا قال الشعراني في « الجواهر »

وسُئِلْتُ عن الدواء الذي إذا استعمله العبد زال عنه الرياء والإعجاب بنفسه . فقلت الإكثار من ذكر الله حتى يتجلى في قلبه التوحيد الحقيقيّ ويرى أعماله خلقاً لله وحده جملة ليس لعبد فيها غير النسبة فهناك لا يصير عنده رياء ولا إعجاب ولا تكبّر على أحد من العصاة لأنّ العبد لا يرائي قطّ بعمل غيره ولا يعجب فيه بنفسه ولا يحصل عنده دعوى .

فإن قيل فهل له دواء غير التوحيد من الأعمال **قلت** لا أعلم له دواء أسرع من التوحيد وهو الذي وضعه جميع أهل الطريقة للمريدين فَطَوَوْا به الطريق وقد أخطأ ذلك طائفة من العباد الذين أشغلوا نفوسهم بتلاوة القرآن والصلاة والصوم وماتوا على ريائهم ورؤية أعمالهم ولم يخلصوا في شيء منها كما يشهد لذلك حديث العابد الذي يقول له الحق تعالى « ادخل جنتي برحمتي » فيقول يا ربّ بل بعملي . وذلك لعدم فهمهم أن القرآن يتوقّف على جلاء القلب فحكم الذكر كالحصى للنحاس المصديّ[1] وحكم غيره كالصابون . انتهى . وهكذا في « المتممات »

وفي « المواهب البريقة » وقد ورد أن عابداً عبد الله في جزيرة سبعين سنة وفي رواية خمسمائة سنة وإن الحق تعالى يقول له يوم القيامة ادخل الجنة برحمتي . فيقول يا ربّ بل بعملي فلو أن هذا العابد كان سلك الطريق على يد عارف لعرف من أوّل ما دخل في الطريق أن العبد لا يدخل الجنة إلا برحمته تعالى دون عمله وإن كان لزم الأدب مع الله تعالى في جميع أحواله . انتهى .

---

(١) وفي نسخة الصديء

وقال الشعراني في « لواقح الأنوار القدسية » في ٣١٢ وسمعتُ سيدي علياً الخواص رحمه الله يقول مراد الشارع عليه السلام ومشائخ الطريق من مريديهم إذا أكثر من ذكر اللسان والقلب أن يحصل له الأنس ويصيرَ قلبه لا يغفل ولا يتكلّف للذكر بل يكون الحق مشهودَه على الدوام تارة يشهد بقلبه وتارة يشهد هو أنه في حضرة الله وأنّ الله يراه وكلا الحالين إذا دام يمنع العبد من وقوعه في المعاصي وسوء الأدب مع الله تعالى **وما لم يكثر العبد من ذكر الله عز وجلّ لا يحصل له هذا الأنس** بل يقع في كل معصية كالبهائم السارحة .

وسمعته مرة أخرى يقول من خاصيّة تمكّن الذكر من القلب أن يهذّب أخلاق صاحبه فمن لم يتهذب فكأنه لم يذكر فهذا مقصود الشارع والأشياخ بأمرهم المريد بإكثاره من الذكر والله عليم حكيم . انتهى .

وفي « تصديق المعارف » في تفسير قوله تعالى ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ من سورة العنكبوت أي أكبر في نفي الكبر والخيلاء ومحو الأوصاف الذميمة الفاحشة كلها وذلك مجرّب عند المشائخ ولاسيّما ذكر الله بكلمة لا إله إلا الله فإني جرّبتها شيئاً عظيماً ورأيت الأوصاف الذميمة عند ذكرها ينقلب من البدن كانقلاب الطير من قبضة الصياد على صفة السباع والدواب والهوام والطيور عند صولة هذه الكلمة فافهم . انتهى .

وفي « السير والسلوك » فالسالك إذا كان في المقام الأوّل يعني نفس الأمارة وتلقن الاسم الأوّل من السالك وداوم على تلاوته مع الإكثار آناء

الليل والنهار جهراً وسرّاً قياماً وقعوداً أوقد الله تعالى في باطنه ببركة هذا الاسم مصباحاً ملكوتيّاً فيرى بعين قلبه القبائح التي هو منطوٍ عليها كارهاً متنكراً اتّصافها متحسّراً على ما فاته من الأوقات بعد ما كان في غفلة لا يعرف القبيح من الحسن إلا باللسان فيتشمّر حينئذ ويَسْعى على الخلاص مما فيه من القبائح الظاهرة كشرب الخمر والزنا ولبس الحرير وغير ذلك وعلى إخراج ما فيه من القبائح الباطنة كالكبر والحقد والشحناء وأمثال ذلك وكلما زاد من الذكر وداوم عليه زادت كراهته الأفعال القبيحة وزاد سعيه في الخلاص منها وهذا الأمر متحقّق لا ينكره إلا من لا يجرِّبُهُ . وهذا أوّل كرامة يكرم بها الله تعالى هذا السالك يستعينُ على قطع الطريق وله في كل مقام كرامة بل كرامات ليثبت والمصباح المذكور هو أول الجذبة الرحمانيّة وكل ما داوم السالك على الذكر مع المجاهدة قوي الجذب حتى يصل إلى أعلى درجات الكمال فيقوي على حمل الأمانات وعلى المتجلّيات . انتهى .

وفيه في ٣ أيضا ما حاصله أنه لا بدّ للسالك من سلاح وهو الأسماء ليُهْرب عَدُوَّيْهِ وهما الشيطان والنفس . انتهى .

وقال الإمام اليافعي في « نشر المحاسن » وقال بعضهم ذكر الله تعالى بالقلب سيف المريدين به يقاتلون أعدائهم وبه يدفعون الأفات التي تقصدهم .

وقيل إذا تمكن الذكر من القلب فإن دنا منه الشيطان صَرَع كما يَصْرَعُ الإنسان إذا دنا منه الشيطان فيجتمع عليه الشياطين فيقولون ما لهذا فيقال قد مسَّه الإنسُ . انتهى .

فيقول هذا الفقير أخذاً من هذه المذكورات آنفاً ومما يأتي في الباب الخامس عشر نقلاً من « الإبريز » وغيره إذا كانت الأسماء الإلهية للسالك كالسلاح فإن أخذها من شيخ عارف مأذون يكون معها نورها فتكون حُجُباً يمنع بها الشيطان ومؤثّرة تنكسر بها النفس الأمارة الآبية فيقوى السالك على الشيطان وعلى النفس ويَضْعُفَانِ كما يقوى المقاتل الذي معه سلاحٌ جيّدٌ وسيف قاطعٌ حادٌّ على العدوّ المحارب وإن أخذها من غير عارف مأذون تكون الأسماء خالية عن الأنوار فلا يقوى بها على الشيطان الغرّار ولا تصير تلك الأسماء حُجُباً بينه وبينه ولا تكون مؤثّرة لانكسار النفس وهواها بل يتسبّب الشيطان في إهلاكه بإيقاعه له في العجب والرياء بحيث يظن أنه على شيء حسن من العبادة ولو بعد حين .

وفي « المواهب البريقة » نقلاً عن الشعراني فربما كان الذي لا شيخ له على عبادة الثقلين ثم وقع في العجب في آخر عمره فحبط عمله كلّه فكان حكمه كحكم النحل إذا أشرف على ختام الخلية فسرح على شجر الحنظل سرحة ثم مَجَّ ذلك على الخلية فأفسد كل ما فعله تلك السنة . انتهى .

وقد سألني بعض العلماء منكراً على شيخنا قطب الأولياء بركة الزمان ذي الجناحين الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره هل يجوز تعليم الذكر للعِرّيف .

فقلت له إذا أراد الكافر أنْ يسلم فأيّ شيء يجب عليه أولاً فقال أن يقول (لا إله إلا الله) فقلت له فهل يكفي له أن يذكره باللسان بلا تصديق بالقلب

ولا إذعان أم لا فقال يجب عليه أن يذكره باللسان مع موافقة القلب فقلتُ إذاً يُعْلم بالطريق الأولى جواز الذكر بكلا نَوْعين لمسلم نشأ في الإسلام . فتحيّر وتدبّر ولكن قال هل يجوز أن يذكر الله بتلقين شيخ مع رابطة فقلت نعم إنما وضع الإرشاد لأجل المعوجّ والأذكار الملقّنة أشدّ تأثيراً وأكثر نفعاً وبها يصير المعوجّ مستقيماً . فسكت مَلِيّاً ثم أورد عليه ما في « الإحياء » قبيل بيان الدواء النافع في حضور القلب في ١٣٠ من الجزء الأول .

وروي أن الله تعالى أوحى إليه يعني إلى موسى عليه السلام « قل لعُصاة أمتك لا يذكروني فأنّي آليْتُ على نفسي أنّ من ذَكَرَنِي ذكرْتُهُ فإذا ذكروني ذكرتُهُمْ باللعنة » انتهى . فقال فما تقولون في هذا فقلت لعلّ ذلك في حقّ قوم مخصوصين قد ذكروا الله تعالى استهزاءً وسخريّاً مع إصرارهم على المعاصي وعدم مبالاتهم بارتكاب المناهي وقد كان الله تعالى شدّد لأمم بعض الأنبياء بأشياء لا طاقة لهم وقد رفع ذلك التشديد عن هذه الأمة المحمديّة المرحومة كما هو مفهوم قوله تعالى ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ الآية وإلا فيعارض كلام « الإحياء » على كثير من الأحاديث والآيات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ .

وقد أمر الله تعالى بإقامة الصلاة على كلّ مؤمن عاصياً كان أو مطيعاً . والصلاة ذكرٌ بدليل قوله تعالى ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ الآية فلو كان الله تعالى يلعن الذاكر العاصي وأمره بعدم ذكره إيّاه لما جاز للعصاة والفساق من

المؤمنين أن يقيموا الصلاة ولم يقل به أحدٌ من الأئمة مع أن المشائخ قدس الله أسرارهم لا يلقنون الذكر إلا بعد تلقين التوبة وتعليم الإنابة احتياطاً فإن استقام المريدون فازوا ونالوا وإلا فالضرر راجع إليهم لا إلى المشائخ فأيّ رجل خرج من العِصْيان مع أنّ العصمة من خصائص النبوّة . انتهى . وبعد ذلك لم يورد إليّ سؤالاً ما فلا أدري أَرَضِيَ بالجواب أم لا . فالحمد لله رب العالمين .

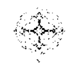
قال الشعراني في « لواقح الأنوار » أخذ علينا العهد العام عن رسول الله ﷺ أن نحفظ لساننا في كل مجلس نجلسه عن كلام اللغو ما أمكن وإن وقعنا في ذلك فلا ننصرف حتى نذكر الله تعالى بما ورد أنه يكفّر ما وقع في ذلك المجلس وذلك أنّ الملك لا يكتب ما عمله العبد من السيئات إلا بعد ساعة أو ثلاث ساعات كما ورد فإن استغفر لم يكتبها وإن لم يستغفر يكتبها وهذا من جملة رحمة الله تعالى بعباده من حيث كون رحمته وحلمه سبق غضبَهُ وانتقامَهُ . فإذا وقع العبد في معصية تسابق إليه أسماء الرحمة والانتقام ومعلوم أن أسماء الرحمة أسبق فتأتي أسماء الانتقام فتجد أسماء الرحمة قد سبقتها إلى محل الانتقام فرجعت أسماء الانتقام بلا تأثير والحمد لله رب العالمين .

وقد كان الشيخ محي الدين العربي يقول إذا عَصَيْتَ الله تعالى في الأرض فلا تفارقها حتى تعمل فيها خيراً كقولك (لا إله إلا الله) أو (سبحان الله) أو(الحمد لله) فكما صارت البقعة تشهد عليك كذلك صارت تشهد لك يوم القيامة والله يحفظ من يشاء كيف يشاء .

وروى أبو داود والترمذي واللفظ له والنسائي وابن حبّان في « صحيحه » والحاكم وقال الترمذي حديث حسن مرفوعاً « من جلس مجلساً كثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهُمَّ وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك » . انتهى ٣١٦

ولقد أمر الله تعالى في مواضع عديدة من القرآن بالاستغفار والاستغفار ذكرٌ وأمثال هذه كثيرة وكلها يعارض كلام الإحياء المذكور فتدبّر .

فالحاصل أن العبد مأمور بتقوى الله في سرّه وعلانيته لكن لا بدّ أن يقع منه أحياناً تفريطٌ في التقوى إمّا بترك بعض المأمورات أو فعل بعض المنهيات ومع ذلك لا ينافي وصفه بالتقوى كما دلّ عليه سياق أيات ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ إلى أن قال في وصفهم ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ الخ فلذا أمر ﷺ بأن يفعل العبد ما يمحو به ما فرّط منه بقوله عليه السلام « وأتبع السيئة الحسنة تَمْحُها » كما قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي فلا تعجزن أيها الإنسان إذا فرطت منك سيّئة أن تتبعها بحسنة من نحو صلاة أو صيام أو ذكر وفي الحديث « كنت جالساً عند رسول الله ﷺ فجاءه رجل فقال يا رسول الله إني أصبت حدّاً فأقِمْهُ عليَّ فأعرض عنه ثم كرّر ذلك مراراً وهو يعرض عنه فقال يا رسول الله إنه أتتني امرأة أجنبيّة تشتري منّي تمراً فأدخلْتُهَا البيتَ فأصبت منها ما يصيب الرجل من امرأته غيرَ أني لم أجامعْهَا فقال له رسول الله ﷺ توضأ وضوءاً حسناً فتوضأ وصلّى مع النبي عليه السلام فنزل قوله تعالى ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ أي عظة لمن اتّعظ فقال معاذ يا رسول الله هذا له خاصة



أم للناس عامة فقال « بل للناس عامة » . انتهى من « فتح المبين » ملخصاً . وبالمعنى من الحديث الثامن عشر ١٤٦ راجعه إن أردت البسط الزائد .

وأمثال هذه المذكورات الدالة على جواز ذكر الله لكلّ واحدٍ من المؤمنين من غير فرق بين صالح وفاسق كثير في الكتب والمشائخ هم الأطباء بالطب الروحاني معالجون المرضى بالأمراض المعنوية بأدوية الأذكار الواردة عن سيد البشر عليه الصلاة والسلام كما قال صلى الله عليه وسلم ذكر الله شفاء القلوب أخرجه الديلمي في « الفردوس » عن أنس رضي الله عنه

والقول بعدم جواز إنزال الدواء على موضع الداء مما لا يقبله عقل ولا نقل ولا يشترط في مقام الإتباع له عليه الصلاة والسلام عدم الوقوع في المعصية وإنما الشرط عدم الإصرار كذا في كتاب « الجواهر والدرر » ١٤٩ راجعه فها أنا يا أخي طويت لك في هذه الألوكة[١] عدّة منافع فعليك الاستغفار لهذا المذنب الخاطئ واشكر مولاك وهو الغني الحميد .

فصل

في بيان رفق المشائخ وملاطفتهم لضعفاء المريدين ومسامحتهم لمن لا يقدر منهم العزيمة

قال في « الحديقة الوردية » العمل بالعزيمة في هذا الزمان صعبٌ جدّاً لفساد المعاملات وعدم إمكان تطبيقها على قواعد الشريعة فالأخذ بظاهر الفتوى مع اجتناب البدعة غنيمة عظيمة . انتهى ٢٠٣

---

(١) أي الرسالة

وفي « المتممات » للقطب أحمد ضياء الدين الكمشخناوي قدس سره وإن لم يمكن العمل بالعزيمة بأن يكون من أهل التجارة أوالحرفة أو الخدمة أو الزراعة أو صاحب عيال فليعمل بالرخصة انتهى وهكذا في « الخادمى » و« الآداب المرضية » لجمال الدين الغموقي قدس سره فراجعه

وقال الخاني في « البهجة » في ٣٠ ينبغي للشيخ أن يرفق بضعفاء الطريقة فإذا رأى الشيخ في باطن المريد ضعفاً لا يقدر على عمل العزيمة ومخالفة النفس وترك المألوفات فيُسامحه ولا يردّه عن الطريق ولا يثبت رقم الشقاوة على جبينه لأنّه مَنْ جلس معه بالصدق والصفاء لا يكون شقيّاً إن لم يتصل بمقام الكمَّل فهُمْ قوم لا يشقى بهم جليسهم فينبغي أن يأمره بالرخصة فيمنعه من الرياضة الشاقة حتى لا ينفر من صحبة السعداء فيجلسه باللطف والكرم فبصحبتهم وكثرة المخالطة معهم يَتَأَّثر وتقوى همته . وبحكم المناسبة والمجالسة تحصل له المحبة وداعي تحمّل المشقّة والرياضة والمجاهدة فيَرْتقي من حضيض الرخصة إلى ذِرْوَةِ العزيمة ويحمل جميع المشاق كما قيل جاء رجل من أبناء الملوك إلى شيخ وخرج من جميع المال والأسباب كلّها مرّة واحدة فتفرّس الشيخ بفراسته ضعف حاله فبحسب الأوقات كان يحضر له الطعام اللذيذ ويقول الشيخ تربيته كانت بالنعمة وتأنس بها فلا بدّ من الرفق به ولا ينبغي المنع من حظوظات النفس من الحلال حتى تحصل له الرغبة إلى المجاهدات ومخالفة النفس . انتهى .

ورأيت في منهوّات « ترصيع الجواهر » من كتب الطريقة العلية الخلوتية أن بعض المشائخ يربّون تلامذتهم بالشهوات . انتهى .

وفي ذلك الكتاب ما حاصله إن المشائخ مأمورون باستمالة قلوب الناسِ ولو قلب كافر وأما الأمر بإهانة الكافر والعاصي المجاهر فهو في حق غير المرشد ولذا قال سيِّدنا عبد القادر لا يضحك في وجه الفاسق غير العارف يضحك في وجهه ليتألَّفه ويخلِّصه من فسقه . فراجعه .

وفي « **المنن** » **لا ينبغي أن يتواضع للعصاة إلا الدعاة** . انتهى .

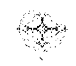
وفي « البهجة السنية » ويقدّم الشيخ بعد الاستخارة تعليم التوبة ويكتفي فيها بالإجمال من غير تفصيل الذنوب والمعاصي فإنّ الهمم في هذا الزمان قاصرة والتكليف بالتفصيل يقتضي مدة فالأولى إهمال ذلك إلى مرور الأيام . قال عبد الراجي رحم الله إفلاسه إن للشيوخ الكرام قُدِّسَتْ أسرارهم في هذا الأمر اقتداء برسول الله ﷺ حيث ثبت أنّ بعض المبايعين أرادوا المبايعية له عليه السلام على أربع صلوات أو على أقلّ من ذلك فبايعه على ذلك وقال « الصلاة لا تُتْرَكُ » فكذلك الشيوخ يقنعون في بداية الأمر بالإجمال من التوبة اعتماداً منهم على أنّ النور الإلهيّ إذا تمكّن من قلبه يأبى أن يكون كلّ حَرَكة وسكنة منه إلا بالله سبحانه وتعالى ثم يُلقِّنه ذكراً مناسباً لحاله ويُمدُّه في ذلك بتوجّهه وهمّته ويُبيّن له آداب الطريق وشرائطه ويرغِّبُه في متابعة الكتاب والسنة ويقطع عنه الكلمة بأنّ الوصول إلى المطلوب لا يمكن إلا بهذه المتابعة وينبّهه على أن الوقائع والكشوف المخالفةَ أدنى مخالفة للكتاب والسنة لا يلتفت إليها أولوا الأبصار ولا توزن بميزان الاعتبار . انتهى ٣٧

وقال الإمام الرباني ﷺ في بعض مكاتيبه مجيباً لمن سأله إنّ بعض الرجال والنساء يريدون أخذ الطريقة مع أن أكلهم ولبسهم من مال لا يخلو عن رِباً ويظهرون أن هذا الأخذ منهم ليس إلا بالحيلة الشرعيّة هل يتأهلون لتعليم الطريقة لقِّنوهم الذكر وعلِّموهم ورَغِّبُوهم في الاجتناب عن المحرّم . انتهى . المعنى في هذا أيضاً ما قد سبق عن النبي ﷺ . ومن هنا قالوا إن الطالب إذا وجد في طاعته وعبادته اختلاج الباطن بشيء من السمْعة والرياء لا يترك العبادة بل يستغفر الله تبارك وتعالى . انتهى منه ٣٧ بتصّرف .

وقد قيل الرياء قنطرة الإخلاص ولهذا قد تحمل المشائخ المريدَ إلى الرياء في العبادة ليجرُّوه تدريجاً إلى الإخلاص . هكذا قال لي شيخنا ذو الجناحين الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره .

وفي « المنن » للشعراني قدس سره ولمّا ظهر رسول الله ﷺ بالرسالة لم يأمر أحداً بترك الحرفة بل أقرّهم على حِرَفِهم وأمرهم بالنُصح فيها . وكان سيدي عليّ الخواص رحمه الله تعلى يقول الكامل من يسلك الناس وهم في حرفهم . انتهى .

فالواجب على الشيخ أن يرفق ويلطف بمن كثرت معاصيه وقسى قلبه وغلب وقوعه في المخالفات ولم ينشرح صَدْره للتوبة فإنه كالمريض الذي يشكوا أمراضه للطبيب فلا ينبغي له أن يزجره وينفرّ منه بل يصبر عليه حتى يفرغ من أن يَشْكو ضرورته ومرضه ثم يصف له الدواء وهذا الخُلق قلّ من يعمل به لاسيما أهل الحدة والغِيرة على الشريعة ولو أنهم نظروا في



أخلاقه ﷺ لتلطّفوا بجميع العصاة . فإياك يا أخي ونهر أحد من العصاة إذا سألك عن دوائه ولا يمتحنهم الشيخ في الصدق لأنّ الامتحان إنما يكون إذا تمكنوا في الطريق وعلقت بهم صنارتها .

وأما قبل ذلك فربّما امتحنهم الشيخ فرجعُوا عما كانوا قصدوه وقالوا ما لنا ولهذا الطريق وفترت همّتهم . انتهى من مواضع متفرقة .

وفي « الفتاوى » لابن حجر إن النبيّ ﷺ كان يُلَيِّنُ القول لمن يَرْجُو إسلامَه لأنّه أرجى للهداية . انتهى .

من لم ينظر للعصاة بعين الرحمة فقد خرج عن الطريق

وفي « تنبيه المغترين » من لم ينظر للعُصاة بعين الرحمة فقد خرج عن الطريق . انتهى . وفيه أيضاً الفاسق ضالة كل داع إلى الله أَيْنَمَا وجدها يلتقطها . انتهى بالمعنى .

وفي « الأنوار القدسية » لخليفة شيخ الخنكار الأعظم نصره الله وكان أبو الحسن الشاذلي لا يأمر أحداً بترك حرفته وتجارته بل يعرّفه الطريق وهو باق على حرفته . انتهى .

فعامل يا أخي إخوانك في هذا الزمان كما تعامل الأطفال الذين ليس لهم عُقولٌ ولا تُقِمْ عليهم ميزان الصدق فينفروا كلّهم من صُحْبتك . انتهى من « المنن »

وفيه أنه لا لوم على الدعاة إلى الله تعالى من العلماء العاملين في تليينهم الكلام للفسقة بقصد صحيح كأنْ يقصِدُوا من ذلك تمييلَ قلوبهم إلى محبتهم

حتى يَصْغَوْا لِنُصْحهم فإن التكبّر على الفسقة وإظهار احتقارهم مما ينفر قلوبهم وتأمل يا أخي الصيادَ إذا اصْطادَ سمكة كبيرة وخاف على خيْطه أن ينقطع كيف يخدعها ويرخي لها الخيط على تَبَعُّدٍ ثم يَسْحبها مسارقة شيئاً فشيئاً حتى تدخل تحت يده ويقبض عليها وكذلك العصاة . انتهى .

وفى « درر الغواص » على « فتاوى علي الخواص » للشعراني فقلت له فما مذهبكم فى المعاهدة للمريد أنه لا يعود يعصي الله عز وجل فقال هو أيضاً مما نكرهه لأنّه لا يؤمن متعاطى ذلك من الوقوع في الخيانة فيصير عليه إثم المعصية وإثم خيانة العهد ولو أنه لم يقع فى معاهدة لكان عليه إثمٌ واحدٌ . فالأحسن للشيخ أن يأمر المريد بفعل الأوامر واجتناب النواهي من غير معاهدة انتهى .

وفى كتاب « الجواهر والدرر » للشعراني فقلت له فما تقولون فى ترتيب الأوراد المشروعة وأخذ العهد على المريدين أن يوفوا بها فقال ﷺ هو مما نكرهه ولا نفعله . فقلت لم ذلك فقال ﷺ لا يأمن صاحب المعاهدة من عدم الوفاء والخيانة فيقع فى كفة الخسران .انتهى .

ومشى شيخنا ومولنا وسيدنا قطب الأولياء وبرهان الأصفياء ذو الجناحين الحاج عبد الرحمن العسلي رزقه الله ما فيه صلاحه فى الدارين والدين آمين على هذه السياسة الحسنة .

وقد قال المحققون من شرط الداعي إلى طريق الله تعالى معرفته السياسة قبل الدعاء ليدعوا كل إنسان من الطريق التي يسهل عليه انقياده له منها . انتهى ومرّ أنه لا ينبغي أن يتواضع للعصاة إلا الدعاة إلى الله تعالى . انتهى .

ولا يجوز تغيير المنكر للمشائخ والداعين إلى الله تعالى إلا بالقلب والهمة هكذا قال لي شيخنا المذكور قدس سره ويوافق قوله بما في « لواقح الأنوار » و« المنن » فراجعهما .

وإنما الداعي إلى الإطالة في هذا المطلب بتحرير النقول الكثيرة كثرة طعْنِ الناس فيما يفعله شيخنا العسليّ قدس سره من تلقينه للحشاشين وأهل السعوط وغيرهم من شربة النبيذ ممن لا يطيقون ترك المعاصي رأساً فقد رأيتهم بعد ذلك التلقين منّاعِينَ للشرور والمعاصي وطمّاعِينَ إلي أعمال الأبرار بعد ما كانوا عاصين قبل ذلك التلقين . فتدرّجون إلي الخيرات وتسارعون إلى الحسنات وتيقنوا بركة الأذكار فى جميع الأوقات وما زالوا يذكرون الله تعالى بالقلب واللسان فلو كان قدس سره مَنَعَهم لفاتت عنهم تلك المنافع واستمروا على فعل المعاصي **وبعض الخير يجرّ إلى الخير**[١] **كما أنّ بعض الشرّ يجرّ إلى الكل** فافهم . ولو كان تلقين الأذكار القلبية حراماً للعوام كما قال البعض من هؤلاء المدعين لما قال هؤلاء الأقطاب النقشبنديون وغيرهم هذه الأقوال النافعة فى تلك الكتب[٢]

(١) وفي نسخة ولا شك أن بعض الخير .الخ .

(٢) وفي نسخة في تلك الكتب النقشبندية وغيرها

الباب السابع
في أن اطمئنان النفس ليس شرطاً لجواز التلقين

كما زعم عليه البعض المذكور وإنما هو شرط للإذن بالإرشاد كما قال الغوث الأعظم محمود أفندي قدس سره نقلاً من « الرسالة المدنية » فلا يصل[1] السالك إلى هذه المرتبة إلاّ بعد الصحبة الصادقة مع الشيخ الكامل وبعد هذه يستعدّ لتربية الطالبين وللتوجه . انتهى من « مكتوباته »

وفي « ترصيع الجواهر » ما يؤخذ منه إن السالك إذا صارت نفسه مطمئنة يجوز أن يؤذن له بالإرشاد . فراجعه من الباب الثامن .

فالحق الذي يتمسّك به وما يحتجّ به المدعي ما في « المكتوبات » للإمام الرباني قدس سره في ٣٨ من الجزء الثالث أنه لا بد لمبتدئي طلبة هذا الطريق من الذكر **فإنّ ترقِّيه مربوطٌ بتكرار الذكر بشرط أن يأخذه من الشيخ الكامل المكمّل فإن لم يكن بهذا الشرط فكثيراً ما يكون من قبيل أوراد الأبرار الّتي نتيجتها الثواب لا درجة القرب التي تتعلَّق بالمقربين** فإذا تمّت المعاملة التي كانت مَرْبُوطة بالذكر بفضل الله سبحانه وتيسّر الخلاص من التعلق بآلهة الهوى وصارت الأمارة مُطْمئنّةً فحينئذ لا يحصل الترقي من الذكر ويكون حكم الذكر حكم أوراد الأبرار وقطعُ مراتب القرب في ذلك الموطن مرْبُوطٌ

---

(١) وهذه الرتبة لا يكون إلا بواسطة مرشد كامل مكمّل أمرناه على أن الشيخ في وقته كالنبيّ عليه السلام في زمانه (سيف الله النژبكري رحمه الله)

بتلاوة القرآن وأداء الصلاة بطول القنوت ولكلٍّ عمل مقام وموسم فإن أدّي في موسمه يكون له حُسن وملاحة وإلا فكيثراً ما يكون خطأ وإن كان حسنة في ذاته ألا ترى أن قراءة الفاتحة في التشهّد خطأ وإن كانت أمّ الكتاب فكان الشيخ في هذا الطريق من الضروريّات وتعليمُهُ من أهمّ المهمّات وبدونه خَرَط القتّاد قال واحد من الأعزة شعراً

من أجل كونك في البداية أحــولا لا بـد مـــن شيخ يـقـــودك أوّلا

انتهى باختصار على المراد من عينه

ولقد قال أخونا مير سيف الله الغازي الغموقي قدس سره إن معنى الارشاد من أهل الإرشاد إرشاد الضالّ إلى السداد لا إرشاد المرشدين والمريدين ولا القائمين على حدّ الرشاد ولا معنى للإرشاد لمن كان في الرشاد فهو تحصيل الحاصل المردود عند كل ناقص وكامل والنفس من كلّ أحد أمّارة إلا من خصّه الله تعالى من الولادة بالفيض الإلهيّ بالحظ الوهبيّ كيف لا وقد قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ وذلك خطاب لنبيه عليه السلام الذي لا يبلغ الوليّ رتبة عُشْرِ معشاره فحينئذ يكون مراد الإرشاد إخراجَ طالب السلوك عن رعونة الأمّارة وحضيضِها إلى سبيل الهداية بواسطة تَرْبيته بتزكية اللطائف حتى تصير الأمارة لوّامة ثم وثم إلى أن تترقى إلى المطمئنة ويصير المريد مُراداً ويذهب عن النفسانية حتى يبقى العبد في الفناء المحض بلا نفس غيبةً عن الوجود . انتهى من خطه رحمه الله

وليت شعري هل من واحد وصل إلى هذا المقام[١] إلاّ بعد مضي الزمان مذ زمن الأخذ من الشيخ المرشد وهل كان جميع الطالبين في زمن السلف الصالحين على هذا المقام الذي يرجى إليه كل من المريدين أم لا فوالله إنّ القلب لتصديق هؤلاء الأقطاب النقشبندية وغيرهم أميل من تصديق كلام مخالفيهم والحق أحق أن يُتَّبع كيف لا وفي ديارنا الداغستانية أبعاض لقن لهم الذكر القلبي وأخذوا الطريقة النقشبندية من الغوث الأعظم والقطب الأكرم أحمد ضياء الدين الكمشخانوي ذي التأليفات النفيسات كـ « جامع أصول الأولياء » و« المتممات » و« نجاة الغافلين » و« روح العارفين » و« رموز الأحاديث » وكذا من الشيخ جمال الدين الغموقي قدس سره ولاقيت من لقن له الذكر وأخذ الطريقة من الشيخ ممّ دبر الروشيّ قدس سره وكذا من الشيخ الحاج[٢] عبد الرحمن الثغوري قدس سره .

قال الشيخ إلياس الزدقاري قدس سره الذي كان خليفته في مدة حياته في كتابه « سلّم المريد » اعلموا أيها الإخوان الأحبّاء والأصدقاء الأصفياء كان لشيخي وأستاذي وسندي الحاج عبد الرحمن الثغوري إذْنٌ من المشائخ النقشبنديّين كان له إذن من مشائخ الطريقة القادرية ولكن كانت قاعدة تلقينه الذكر أن يأمر أوّلاً بالذكر اللساني لا بالجهر لبعض[٣] المريدين ثم إذا حصلت

---

(١) أي المطمئنة

(٢) وما كان الشيخ الحاج عبد الرحمن الثغوري يفعله هو عين ما يفعله شيخنا الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سرهما لكنه يزيد تعليم الرابطة إلى الغوث محمود الفعال (منه)

(٣) وليت شعري هل كان الناس في مدة حياتهم مسلمين خالصين وبعد انتقالهم من الدنيا صاروا كافرين مشركين ليمنع مشائخ هذا الزمان تلقين الذكر القلبيّ قائلين إنه حرام كما صرّح به بعضهم

له بركة وجذبة يلقِّنه بالذكر القلبيّ ثمّ باللطائف المذكورة ولبعضهم يلقن الذكر القلبيّ أوّلاً وكان يأذن لمريديه بالذكر الجهري في المساجد والمجامع والمواليد ولا ينهاهم عنه . انتهى .

ثم قال بعيد هذا فلقد كان لنا في حياة الشيخ الحاج عبد الرحمن الثغوري المريدون والمريدات وأنا كنتُ أمرت المريدين في فَعْلِ أورادهم بما عليه مشائخنا من الذكر الخفيّ الخ . انتهى فافهم منه وتدبّره .

وهذه البدعات الحاصلة في ولايتنا في هذه الطريقة قد ظهرت بعد انتقال هؤلاء المشائخ المذكورين قدس الله تعالى أسرارهم العلية ولم تكن مدة حياتهم فيما علمناه ولكنّ المتأخرين أحدثوا هذه الاختراعات في هذه الطريقة زاعمين أنّهم آمرون بالمعروف وقائمون على انتشار الدين ولم يتفطنوا لما يترتّب على صنيعهم من المفاسد كطرد الناس عن أبواب أهل الكمال وإضاعتهم من أخذوا منهم بتوقفهم عن حصول نتائج الأذكار التي هي من خصائص التلقين من أهل التكميل لا من أرباب التعطيل . فهذا مما عمّت به البلوى وبثّت به الشكوى في المدائن[1]

وردّدته بالنصوصات في كتابي « الجوهرة النفيسة في إعانة الطريقة النقشبيدية » (منه رحمه الله إفلاسه وغفر ذنبه آمين)

*وأما ما أي الذكر لقنه أهل الدعوى فلا يجري بذلك المدد منه عليه السلام ويتبرك به لأنه منقطع السلسلة وليس معه نور النسبة الحاجبة من الشيطان فافهم وراجع في كتاب « الجوهر النفيسة » لعلك تجد فيه ما يصفي القلب العليل في حق هذا المطلب النفيس (منه رحم الله إفلاسه)

(١) وفي نسخة زيادة في هذا المكان في المدائن والقرى فإنا لله وإنا إليه راجعون .

الباب الثامن
في بيان أن غالب مشائخ الزمان إنما يلقنون الذكر بقصد التبرك لا للسلوك بعدم تأهّلهم له

وهذه مشيخة صورية بمعنى الرواية لا الدراية وفائدتها دخول المريد في سلسلة القوم لحصول محبتهم والتسليم والاعتقاد لمقالاتهم وارتباط القلوب بعضها ببَعضٍ إلى رسول الله ﷺ وبذلك يجري المدد للمريد من الحضرة المحمدية ولا يجوز لهم التلقين على غير هذا الوجه بل يجب عليهم إعلام من أراد الأخذ عنهم بأنهم متشبِّهون بأهل الطريق لا متحقّقون بهم . هذا حاصل ما في « الترصيع الجواهر المكية » مع ما في هامشه ومع هذا لا يجوز تلقين الذكر لمن ليس في يده إذنٌ من المشائخ الكمّل ولو كان للتبرك والتشبه كما يأتي والله أعلم[1] وأقل ما يفوّت هؤلاء المتصدرون بأنفسهم الصادون الناس عن أبواب الكمل محبتهم والتبرك و التشبه بهم مع ما في هذه الأشياء منافع محمودة في الشرع .

قال ابن حجر في « الفتاوى » ما حاصله إنّ المتشبه بهم وإن كان على قصوره عن القيام بما هو عليه يكون معهم لموضع إرادته ومحبّته وقد ورد عنه عليه السلام أنه قال « المرء مع من أحب » فقال أبو ذرّ يا رسول الله

---

(١) وفي نسخة زيادة في هذا المكان لأن ذلك سرّ مخصوص بأهله كما يأتي تحقيقه إن شاء الله تعالى .

الرجل يحب القوم ولا يستطيع أن يعمل كعملهم قال « يا أبا ذرّ أنت مع من أحببت » قال فإني أحبّ الله ورسوله قال « فإنك مع من أحببت »

قال الشهاب السهروردي جاء فتى إلى الشيخ أحمد الغزالي (ابن أخي حجة الإسلام) يريد منه أن يلبسه الخرقة فأرسله إلى شيخنا أي والظاهر أنه عمّه أبو النجيب ليذكر له معنى الخرقة فجاء إليه فذكر للمبتدئ له شروطها وآدابها وحقوقها فجَبُنَ الرجل عن ذلك ورجع الغزاليَّ فاستحضره وقال له ما ذكرتَه صحيح ولكن إذا ألزمنا المبتدئ بذلك نفر وعجز عن القيام به فنحن نلبسه الخرقة حتى يتشبّه بالقوم ويتزيّا بزيّهم فيقرّبِه ذلك من مجالسهم ومحافلهم فببركة مخالطته بهم ونظره إلى أحوال القوم وسيرهم يحبّ أن يسلك مسلكهم ويصل بذلك إلى شيء من أحوالهم .

قال الشهاب السهرورديّ فالمتشبه الحقيقي له إيمان بطريق القوم وعملٌ بمقتضاه وسلوكٌ واجتهاد لأنّه صاحب مجاهدة ومحاسبة كما مرّ ثم يصير متصوّفاً صاحب مراقبة ثم يصير صوفيّاً صاحب مشاهدة فأما من لم يقصد أوائل مقاصدهم بل هو على مجرّد تشبّه ظاهر من ظاهر التشبّه والمشاركة في الزيّ والصورة دون السيرة والصفة فليس متشبّهاً بالصوفية لأنّه غير محاكٍ لهم في الدخول في بداياتهم فإذاً هو متشبّه بالمتشبه يعزى[1] إلى القوم بمجرد لبسه ومع ذلك « هم القوم لا يشقى بهم جليسهم » وقد ورد « من تشبه بقوم فهو منهم » . انتهى كلام ابن حجر .

---

(١) أي ينسب .

وفي « منية الفقير المتجرّد[1] » ما يليق إيراده في هذا الموضع لنفاسته وزخارته وهو هذه العبارات المقصد الأوّل فيما يوجب الاغتباط بهذا العلم وأنه أحق ما يوجّه إليه الفكر والعزم يكفي في ذلك أمران **أحدهما** أن التضلّع من هذا العلم يقي صاحبه من سوء الخاتمة ويحمله على التوبة والإنابة وسلوك ما يوجب الفوز بالسعادة .

فقد نقل الشيخ أبو طالب المكي في كتابه « قوت القلوب » والإمام أبو حامد الغزالي في كتابه « الإحياء » عن بعض العارفين أنه قال من لم يكن له نصيب من هذا العلم أي علم الباطن أخاف عليه سوء الخاتمة وأدنى النصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله .

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﷺ من لم يتغلغل في علمنا هذا مات مصرّاً على الكبائر وهو لا يشعر .

الثانى أنه سبب كل خير وفوز وفتح ونور وبه يكثر الحسنات ويرتقي بفضل الله إلى أعلى الدرجات لأنّ الاشتغال بطريق القوم سبب التصديق بهم وهو سبب محبّتهم ومحبّتهم تؤدّي إلى الشوق إلى مجالستهم ومجالستهم تؤدّي إلى النظر في وجوههم وفي هذا من الفضل ما لا يخفى

أما التصديق بطريقتهم فقد تضمّن ولاية الله لعبده لقول إمام الطريقة أبي القاسم الجنيد ﷺ التصديق بطريق الولاية ولاية .

---

(١) وهو شرح « أجرومية العوامل » وهو كتاب نفيس قد أخذ مؤلفه من كلّ ما فيه معنى في التصوف . فما أغور كلامه وما أدق ذكائه رزقنا الله تعالى من معاريفه . انتهى (منه رحم الله إفلاسه)

وأما محبتهم فقد تضمّنت الحشر معهم لقوله ﷺ « من أحبّ قوماً حشر معهم » وقوله « المرء مع من أحبّ »

وأما الشوق إلى مجالستهم فقد تضمّن الاتصاف بسيرتهم لقوله ﷺ « المرء على دين خليله » لأنّ الطباع تسرق الطباع . **وأما** النظر إلى وجوههم على وجه المحبة فقد تضمّن خير أجر عبادة العابدين لقوله ﷺ « نظرة في وجه أخ في الله على شوق إليه خير من أجر من اعتكف في مسجدي هذا أربعين سنة » . انتهى .

وعن بعضهم أنه رأى النبي ﷺ في المنام قال فقلت له أنا المتطفّلُ في هذا العلم يا رسول الله قال اقرأ كلام القوم فإن المتطفّل في هذا العلم هو الوليّ وأما العامل به فهو النجم الذي لا يُدْرَك .

وقال الجنيد رضي الله عنه التصديق بعلمنا هذا ولاية وإذا فاتتك المنة في نفسك فلا يفتك أن تصدق بها غَيْرَكَ ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ وقال أبو يزيد من يؤمن بكلام أهل الطريق فقُلْ له يدعو لك فإنه مجاب الدعوة . انتهى .

وفي « المنن » للشعراني النظر إلى وجه الوليّ على جهة التعظيم ساعةً واحدةً خيرٌ للمريد من عبادته وحده خمسين سنة . انتهى .

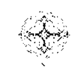
عن كعب الأحبار رضي الله عنه أنه قال إن الله تعالى كتب كلمتين ووضعهما تحت العرش قبل أن يخلق الأرض لم تعلم الملائكة من علمهما وأنا أعلم بهما . قيل له يا أبا إسحاق وما هما قال **أحدهما** أيّما رجل يعمل عمل العالمين بعد أن يكون صحبته مع الفجّار وهو يحبّهم فإنّي أجعل عمله إثماً وأحشره

مع الفجار . **والآخر** لو أنّ رجلاً عمل عمل الأشرار بعد أن يكون صحبته مع الصالحين والأبرار وهو يحبّهم فإني أجعل سيّئاته حسنات وأحشره يوم القيامة مع الأبرار . انتهى « مرشد السالكين »

وهذه المذكورات من أجلّ المنافع لمن تدبرها بعين الإنصاف لاحظها واعتبرها جعلنا الله تعالى من المتشبهين بهؤلاء القوم ونستحي أن نسأله أن يجعلنا من السالكين في سلكهم ولكنّ فضل الله عظيم[١]

---

(١) وفي نسخة وهو ولي الهداية والتوفيق .



الباب التاسع

في بطلان تخصيص تسمية ذكر اللسان شريعة ودفع دعوى من يقول يجوز تلقينه بنفسه وإن لم يكن هو سالكاً ومأذوناً من شيخ حقيقي مأذون له من طرف شيخه

وقد مرّ ما يردّه ولا نعلم دليلاً ما لتخصيص تسمية ذكر اللسان شريعة . وكتب بعض من مشائخ ديارنا تقريراً في إثبات ما يفعله من تلقين الذكر الجهري وعدم جواز تلقين الذكر الخفي لأهل داغستان فجميع ما فيه يرده بكلامه فيه ولا حاجة لتطويل الكلام بذكره هنا فليتدبره من وصل إلى يده ذلك التقرير ورأيت في « الأعمال المنقذة عن قوارع البرزخ والقيامة » أنهم ردوا قول بعضهم باختصاص ثواب الأذكار لمجتنب الكبائر ومؤدي الفرائض بعموم الأخبار إلى غيرهما . انتهى .

فالحق الحاصل أن القلب واللسان جارحتان من جوارح الإنسان والأمر بالذكر واردٌ في الكتاب والسنة بكلا نوعيه وفي المؤمنين صالح وطالح وقد قال الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ فَشَمَلَتهما وعمّت فيجوز الذكر بكليهما لصالح وغيره ويجوز التلقين بذكر اللسان لمن في طريقته ذكر اللسان وبذكر القلب لمن في طريقته ذكر القلب ولا مخصص لتسمية أحدهما شريعة والآخر طريقة مع أنهما شيء واحد لا يقوم أحدهما بدون الآخر راجع « مجموعة الرسائل » و« الفتاوى العمرية » و« هدية

الذاكرين » و« تصديق المعارف » في تفسير هذه[١] و« تفسير السلمي » و « الفتاوى الحديثية » لابن حجر .

وأما تلقين ذكر اللسان إن كان من شيخ عارف لأجل الاستعداد لتلقين ذكر القلب فجائز وإن كان من غير عارف فلا لما يأتى قريباً وإن كان ذلك الملقن عارفاً ومأذوناً فتبديله أذكار الاستعداد عما كان عليه شيخه وتغيير أذكارها وتلقينها على خلاف ما عليه اتفق أهلها فهو مما لم يسمع من المشائخ السلف والخلف وإنما المسموع منهم تلقينهم الاستغفار والصلاة وتعليمهم الرابطة الشريفة لمن ليس له استعداد **فيتم استعدادهم في نحو شهر أو أقل ثم يلقن لهم الذكر القلبيّ** وأما أصحاب هذا فلم نجد ولم نسمع وإن تفحّصنا من لقن له الذكر القلبيّ ولو للمجتهدين منهم للذكر آناء الليل وأطراف النهار أو لمن أذن له للإرشاد فإذا رد عليهم بهذا القول فلا يدرون ما يقولون .

---

(١) وفي نسخة زيادة من هذه الآية المذكورة وغيرها والله أعلم



الباب العاشر
في رد من يزعم بأنّ في يده إذن من طرف القادرية
وأن تلقينه أذكار اللسان موافق لما عليه القادرية

فإن لم يكن في قوله هذا صادقاً فيدخل في قوله عليه السلام « لعن الله من انتسب إلى غير أبيه » وإن كان صادقاً وكان بيده إذن من المشائخ القادرية فتلقين النفي والإثبات أوّلاً خلاف ما عليه القادرية

قال صاحب « الأنهار الأربعة » اعلم أن مشائخ هذه الطريقة أي القادرية قدس الله أرواحهم يأمرون الطالب أوّلاً بالذكر جهراً متوسطاً وهو على قسمين اسم الذات والنفي والإثبات .

الأول متنوع إلى أربعة أنواع

النوع الأول ما كان بضربة واحدة وصفته أن يقول (الله) بالشدة والمدّ والجهر بقوة القلب والحلق ثم يتوقّف حتى يستقرّ النفس ثم يقول أيضاً على الطريق المذكور ولم يزل هكذا متخذاً ورداً .

النوع الثاني ما كان بضربتين وطريقه أن يجلس جلسة الصلاة على ركبتيه ويضرب باللفظ المبارك مرة على الركبة اليمنى وأخرى على القلب ويكرّر ذلك بلا فصل . وينبغي أن يكون كلٌّ من الضربتين بكمال القوّة والشدّة خصوصاً الضربة التي تكون على القلب لتأثر القلب وتحصّل الجمعيّة .

النوع الثالث ما كان بضربات ثلاث وكيفيته أن يجلس متربّعاً ويضرب باسم الذات مرّة على الركبة اليمنى ومرة على الركبة اليسرى ومرّة على القلب ولتكن الضربة الثالثة أشدّ وأجهَرَ .

النوع الرابع ما كان بضربات أربع وفي هذا كذلك يجلس متربّعاً ويضرب باسم الذات مرّة على الركبة اليمنى ومرة على الركبة اليسرى ومرة في القلب ومرة أمامه وليكن الرابع أشدّ وأجهر من الأوليّات .

القسم الثاني النفي والإثبات وهو قولنا (لا اله الا الله) وصفته أن يجلس متوجهاً إلى القبلة ويغمض عينيه ويقول (لا) كأنه يخرجها من سرّته ثم يمدّها حتى يبلغ إلى المنكب الأيمن فيقول (إله) كأنه يخرجها من أمّ الدماغ ثم يضرب (إلا الله) بالشدّة والقوّة على القلب ويلاحظ نفي المحبوبية والمقصودية والوجود عن غير الله تعالى وإثباتها له تبارك وتعالى . انتهى .

وفي ذلك الكتاب حكمة تلك الضربات وقاعدة الأذكار القلبيّة بعد حصول نتائج هذه الأذكار اللسانية وبعد ذلك يأمرون[١] بالمراقبة فراجعه ففيه البسط الزائد . فتبيّن مما ذكر أنّ تلقين (لا إله إلا الله) للمريدين أوّل[٢] مرّة ليس في الطريقة القادرية وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين .

---

(١) أي القادرية

(٢) أي في الابتداء

وأخبرني قطب الأولياء ذو الجناحين العسلي قدس سره ورزقه الله ما يرضاه أن خليفة شيخ الخنكار الأعظم نصره الله تعالى قال له إن صاحب هذه الدعاوي الأخيرة قد كان جائياً لديه وإن طريقته ليست بطريقتنا النقشبندية ولا هي طريقة نعلمها بعَينها . انتهى . ولكنه[١] قد أذن في رسالته المسماة بـ « نجم الأنام » لأخذ مريديه حين غاب هو وقال فيه إذا وجدت من يدلك على الله فعلّق على ذيله ولا تفارقه فإنه شيخك وأستاذك لا فرق بيني وبينه . انتهى بتصرف واختصار فلعل الله يغفر له ما جناه ويعفو عما أبداه من البدعة في هذه الطريقة لأنه لم يمنع أصحابه عن الخيرات بل حث عليها بتلك العبارات .

وهكذا يجب أن يقول كلّ داع إلى الله ولا يتحجّر على المريد إلا من غلب على قلبه حبّ الشهرة والرياسة ولا يخلو منه إلا العارفون ولا يبالي المخلص اهتدى الناس بهداه أم بهدى غيره بل يفرح ويشكر على الهادي والمهتدي كيف لا وقد شبّه الغزالي في « الإحياء » المريد بالميت المطروح والشيخ كمن وجب عليه حمله فاللازم على الشيخ أن يفرح ويشكر إذا وجد من يحمل ميّتاً وجب عليه حمله .

وعلامة الصدق في دعوة الخلق إلى الله تعالى والإخلاص في تلقين الأذكار أنه لو ظهر غيره ممّن هو في زمنه أعرف طريقاً وأرشد خلقاً ووقع ذلك الغير موقع القبول في قلوب الناس وظهر به أثر الصلاح فينبغي أن يفرح

---

(١) أي صاحب هذه الدعاوي الأخيرة .

به ويشكر الله تعالى على كفايته هذا المهمّ كمن وجب عليه أن يعالج مريضاً ضائعاً فقام بمعالجته غيره فإنه يعظم به فرحه فإن كان يصادف في قلبه ترجيحاً لدعوته وإرشاده على دعوة غيره وإرشاده فهو مغرور ودعوته معلول فليتفطن لهذا المطلب العزيز وليتدبره(١)

وفي « المنن » إن المزاحمة على المشيخة لا تقع قط من عارف بالله وإنما تقع من قاصرين ومن قاصر وعارف . انتهى .

وقال بعض الأكابر اصحبوني ولا أمنعكم أن تصحبوا غيري فإن وجدتم مَنْهَلاً أعذب من هذا المنهل فردوا . انتهى . « الأنوار القدسية » . وأمثال هذا كثير في كتب الشعراني فليراجعها .

---

(١) وفي نسخة زيادة المنصف فإنه ميزان صادق .



الباب الحادي عشر
في بيان أن انقطاع المريد من شيخ ودخوله في عهد شيخ آخر وأخذه منه حين غاب هو أو مات أو كان حيّاً وحاضراً فهو جائز بشرطه

فإني أرسلت المكتوب بهذه المسألة إلى العالم الرباني السيد الشريف الأمير سيف الله الغازي الغموقي الحسينيّ رزقنا الله تعالى من معارفه نصيباً وجمعنا وإيّاه في دار السلام فأجاب رحمه الله في رسالته إلى هذا الفقير بهذه العبارات

واعلم يا أخي أن المقصود الأصلي هو الحق سبحانه وتعالى **والشيخ وسيلة الوصول إلى جناب الحق تعالى** فإن رأى الطالب رشده عند شيخ آخر ووجد قلبه في صحبته حاضراً مع الحق يجوز أن يحضر عنده في حياة شيخه الأوّل بلا إذنه ويطلب منه رشده **ولكن ينبغي أن لا ينكر شيخه الأوّل ولا يذكره إلا بخير خصوصاً في هذا الوقت فإنه لم يَبْقَ فيه المريديّة والشيخوخة غير الرسم والعادة** فإذا لم يكن لشيوخ هذا الوقت خبر عن أنفسهم ولا يقدرون أن يفرقوا بين الإيمان والكفر فكيف يكون لهم خبر عن الله عزّ وجلّ وعلى أيّ طريق يدلّون المريد نسأل الله تعالى ترقياتكم الصورية والمعنوية فإن خيريتكم وصلاحكم متضمنة لجمعية جميع المسلمين ورفاهيتهم والدعاء لكم دعاء لجميع المسلمين سلّمكم الله سبحانه وتعالى عما لا يليق بجنابكم بحرمة سيد المرسلين عليه وعليهم الصلوات والتسليمات إلى يوم الدين . انتهى كلامه قدس سره .

وفي « الرشحات » إذا وجد المريد الصادق شيخاً أكمل من شيخه يجوز له أن ينقطع عن الشيخ الكامل ويتصل بالشيخ الأكمل فراجعه .

وقد كتب الإمام الرباني قدس سره في بعض مكاتيبه إن الطالب إذا لم يجد رشده عند شيخ ورآه عند شيخ آخر يسوغ له أن يذهب إلى خدمته من غير إنكار على شيخه الأوّل . وأيّد ذلك بنقل من خواجه بهاء الدين قدس سره وقال إنه أخذ في ذلك فتوى من علماء بخارى . انتهى من عين « النفائس السانحات في تذييل الباقيات الصالحات » راجعه . وهكذا في « البهجة السنية »

وقال الشيخ الأكبر قدس سره يجب على الشيخ إذا رأى شيخاً آخر فوقه أن ينصح نفسه ويلزم خدمة ذلك الشيخ هو وتلامذته فإنه صلاح وسعادة في حقه وحق أصحابه ومتى لم يفعل هذا فليس بمنصفٍ وناصح نفسه ولا صاحب همّة بل هو ساقط الهمّة وضعيفها بل ربّما يكون محبّاً للرياسة والتقدّم وهذا في طريق الله نقص ألا ترى قوله عليه السلام « لو كان موسى حيّاً ما وسعه إلا اتباعي » وإلياس وعيسى بل كل الأنبياء تحت حكم شريعة رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة تحت لوائه وشريعته قط لا يُغَير هكذا ينبغي أن تكون شيوخ الطريقة .

وقال الشعراني قدس سره ثم إني إذا رأيت أحدهم أعرف منِّي بالطريق تلمذت له ولو كنت مؤذوناً لي قبل ذلك من شيخ آخر لأنّ المقامات ليس لها حدٌّ يقف عليه العبد .

قلت فإذا وجب على الشيخ لزوم خدمة الشيخ الأكمل منه وكان حال الشيوخ التلمذ لمن هو أعرف منهم في الطريق ولو كانوا مأذونين من شيخ آخر كحال موسى مع خضر عليهما السلام فما تقول فيمن لم يشمّ رائحة من أسرار الطريق أو شمّ وهو ناقص عن ذروة التحقيق فتبصّر فأنصف . انتهى « متممات »

وفي « البهجة » وتقدّم عن سيدي يوسف العجميّ أنه كان عندهم في بلاد العجم شيخ فبرع له تلميذ وفاق شيخه فرجع شيخه وأخذ عنه وترقّى على يديه وصار يخدمه كآحاد المريدين أفاده العارف الشعراني قدس سره في « النفحات القدسية » انتهى وراجع « المنن » و« شرح تائية السلوك » و« البريقة المحمدية » من الجزء الثاني .

وسمعت شيخنا ومولانا ذا الجناحين العسلي قدس سره يقول **العلم علمان علم الظاهر وعلم الباطن فكما يجوز تعلّم العلم الظاهر من آخر فكذلك يجوز أخذ الطريقة وعلم الباطن من شيخ آخر ولا مانع منه** . انتهى

وفي « الحدائق الوردية » في ٢١٠ ما حاصله أن شيخ عبد الله الدهلوي قدس سره أخذ الطريقة القادرية من الشيخ حبيب الله ثم بعد زمان أخذ منه الطريقة النقشبندية قال وقد تردّدت أوّل الأمر في أنه هل يرضى الشيخ عبد القادر الجيلاني ﵁ أن أشتغل في الطريقة النقشبندية أم لا فرأيته في واقعة جالساً في مكان وحضرة الشاه تلقاءه فخطر لي حينئذ أن أحضر عند شاه نقشبند فقال الغوث الجيلاني في الحال المقصود هو الله تعالى فلا مضايقة . انتهى بتصرف واختصار .

فنقول والله أعلم أخذاً مما في « المنن » في الجزء الأوّل إن الممنوع أن يتردّد المريد لدى هذا ويأخذ منه ولدى هذا فيأخذ منه فيتخذ له كليهما شيخاً معاً فمثل هذا لا يصل إليه الفيض والمدد من الجانبين ويسقط من قلبي الاثنين . فتدبره . لأنّ الأمر في وصول الفيض تابع لاعتقاد المريد لا للمشائخ فالتردد إلى الشيخين معاً من علامة تردّد الاعتقاد في الطرفين وعدم توفّره في أحد من الجانبين وتفريد الاعتقاد في الشيخ واجب .

فلأجل هذه المنقولات ولِفَقْدِ الشيخوخة في هذه الديار الجبليّة غير الرسم والعادة ولاختلاط الأبعاض في هذه الطريقة بدعات مما لم يجدوا لها نصوصات قَبِل شيخنا ومرشدنا الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره مريدي الأغيار ولقّن لهم الذكر السلوكي فارتقى أكثرهم إلى مقامات الولاية الصغرى فلعلّ الله تعالى أن يرزقهم الكبرى والعليا وهو خير وأبقى فأقرّ جميعهم وتحقّقوا ورأوا تأثيراته وتصرفاته وتيقّنوا وعلموا حال كلا التلقينين وميّزوا بل قالوا ضيّعنا عمرنا في البطالة وشهدوا ولا شك أن حال الشيء لا يعرف إلا بالنسبة إلى ضدّه وإذا قابلوا أدركوا وظهر عندهم حقيقة الأمرين وعاينوا هذا بعد ما كانوا منكرين قبل ما دخلوا وكانوا يقولون هل ثمّ طريق غير ما بأيدينا وهل ثمّ شيخ غير شيخنا فالحمد لله رب العالمين .

وقال لي واحد من العلماء العاملين المنتسب مرّة إلى الشيخ عمر العندي ومرّة إلى الشيخ محمد الككني سامحهم الله تعالى إنه اجتمع مع سيدي الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره فوقع بينهما كلام في الطريقة وقال له

سيدي الحاج عبد الرحمن ألا تنظرون في الكتب لتعلموا هل أنتم سالكون في الطريقة أم لا وهل مشائخكم لقنوا لكم أذكار الطريقة أم لا وأنتم علماء عقلاء وبعد ذلك اجتهد هذا العالم وكان حينئذ كالقطب في اعتقاد الناس وطلب كتب النقشبندية والقادرية وغيرهما من كتب أئمة الطرق فلم يجد ما لقن له ولغيره مشائخهم موافقاً بما في الكتب كلها فدار في القرى الداغستانية الجبلية والسهلية وذهب لدى كلّ من سمع أنه يتشيّخ وتفحّص عنهم كيفية أورادهم الملقّنة لمريديهم وعن شيوخهم وطريقة شيوخهم فلم يجد كلَّ ما يفعلونه ويلقنونه موافقاً على ما في الكتب النقشبندية وغيرها فإذا سألهم عن كيفية عدم الموافقة أقرّوا وتحيّروا وعلى ما في الكتب لم ينكروا وأيّ شيءٍ يقولون لم يعلموا ثم تنبّه وتيقظ ورجع لدى سيّدي عبد الرحمن قدس سره وتفحّص كذلك منه فأخبر جميع ما سئل وأجاب الكلّ وما خجل فوجد تلقينه وتعليمَه وأذكاره وأوراده لا يخالف الكتب ولو ذرّة واحدة فترك ما كان أخذه من الشيخين السابقين ودخل في عهده ثمّ توجّه إليه سيّدي عبد الرحمن قدس سره فقال لي صاحب الواقعة رحمه الله إنه حصل له من الأحوال بتلك التوجّه الواحد ما لم يحصل له ولو بالدخول في الخلوة في ثمانية أشهر بإشارة شيخه القبليّ مع الرياضة الشاقة والمجاهدة التامة[١]

---

(١) فاعتبر بطريقة يحصل لمن دخل فيها بتوجّه واحدٍ من شيخنا ما لا يحصل بالرياضة في الخلوة في ثمانية أشهر من غيره .

وكيفية مجاهدته ورياضته كان يأكل شيئاً قليلاً من السويق الذي اختلط فيه صمغ الصنوبر(١) وكان يعلّق الحبل في سقف خلوته ويربط نفسه به من وسطه لئلا يقع على الأرض عند غلبة النوم وكان يجتهد في الأذكار والقراءات والدعوات لا يفتر عنها في الليل والنهار ومع هذا لم يحصل له من أحوال القوم ولو ذرّة ولم يذق مما ذاقه هؤلاء النقشبنديّون ولو طُعْمة إلى أن يتوجه إليه سيدي عبد الرحمن العسلي قدس سره وهو الآن يستغفر الله تعالى عن الحالة التي كان عليها قبل ذلك كما يستغفر من كبائر ذنوبه(٢) مع كونه قبل ذلك معدوداً من أولياء الله الخيار في اعتقاد الناس حتى قال لي بعض الإخوان إنه كان يعتقد في هذا الرجل المذكور ويراه كاملاً ويرى قطب الأولياء العسلي قدس سره أنه بمقام مريد وكان ذلك البعض ممن أخذ من متشيّخ فاجتمع بهذ القطب(٣) وكلمه بكلام جاف ولكن حفته العناية الربانيّة فأخذ منه الطريقة وقال بعد ذلك الأخذ هذا هو الحق المبين وليس غيره إلا إضاعة العمر العزيز وصار بعد ذلك كما صار من قبله من أخص أصحابه المخلصين رحمهما الله تعالى .

---

(١) رُكِلْ فِزْ (هامش الأصل)

(٢) أي عدّ رحمه الله ما كان أخذه من أولئك المتشيخين بالنسبة إلى ما أخذه من هذ الشيخ المذكور ذنباً من الذنوب من قبيل (حسنات الأبرار سيئات المقربين) والله أعلم .

(٣) أي العسلي قدس سره .

واقعة عجيبة

ومن غريب ما وقع لبعض المأذونين من طرف الشيخ رحمه الله تعالى أنه قال إني رأيت في المنام كأن الغوث محمود أفندي والشيخ الحاج جبرائيل أفندي قدس الله أسرارهما قد أتيا إلى محلّته وتوجّه إليه واحد منهما ولقّن له الذكر القلبي فانتبه خائفاً فوجد قلبه حيّاً يذكر بلفظة الجلالة بحيث يعجبه مع أنّ قلبه لم يكن قبل ذلك يذكره . انتهى باختصار على المراد وبعد ذلك أخذ الطريقة من الشيخ عبد الرحمن العسلي قدس سره وحَسُنَ حاله وارتقى إلى مقام المراقبة وهو العالم الرباني أخونا المعنوي أدرة العرديّ رزقه الله التوفيق والاستقامة وهداه إلى كلّ ما فيه صلاحه في الدارين آمين .

وأغرب منه ما وقع لمريد آخر في عهد سراج الدين الإنخوي رحمه الله تعالى عليه رحمة واسعة وألهمه رشده بمحمد أفضل الخليقة عليه السلام والتحية آمين . سألني عن أحوال الحاج عبد الرحمن وطريقته وعن ورده الذي يضع على مريده فقلت له إنه يلقن الذكر أوّلاً على القلب فيذكر الله تعالى ثم إذا حصلت النتيجة للقلب يبدّل الذكر إلى الروح ثم إلى السرّ ثم إلى الخفي ثم إلى الأخفى ثم إلى لطيفة النفس وأريته مواضع اللطائف بوضع الإصبع فتعجّب وتحيّر وظنّ أن ذلك مما لا يكون أبداً ثم تفرقت منه وذهب هو إلى المسجد فاجتمعته بعد ذلك وهو مسرور فرح وقال لي إنه توجه إلى قلبه ونظر فوجد قلبه يذكر بلفظة الجلالة ثم توجه إلى اللطائف الأخر فوجدها

كذلك وقال لي إنه[١] من بركتك وشكر لي وأثنى عليّ فقلتُ له لا بل بتوجه روحانية الحاج عبد الرحمن قدس سره فحثثته إليه وطلبت منه الذهاب لديه فذهب إلى حضرته العلية ثم إذا توجه إليه الشيخ المذكور وجد جميع لطائفه بحيث تقبل التلقين فلقن له الأذكار على جميعها مرة واحدة بتوجه واحد فصار حال صاحب الواقعة بعد ذلك إلى أن تضطرب أجزاء جسده بالذكر حتى كان يجد نفسه إذا انتبه من النوم تهتزّ وتتحرّك بجريان الذكر في جزئيات أعضاء بدنه[٢] كالطير المذبوح المطروح قبل خروج الروح . انتهى .

ولو كان غيرهم من المتشيخين في هذه الديار يتدبرون وينظرون في كتب أهل التصوف ولا يكسلون ويفعلون كما فعل هؤلاء ويتلمذون للكامل المكمل كما تلمذوا لكان خيراً لهم ولكن انهمكوا فيما هم فيه ألفوا وما زالوا عما هم به أنسوا وزين لهم الشيطان ما ابتدعوا أصلح الله أحوالهم وألهمهم رشدهم وغفر لنا وإياهم إنّه هو الغفور الرحيم فرضي الله تعالى عن سيدي ابن الفارض حيث قال

تعــرض قــوم للغـرام وأعــرضــوا ... بجانبهـم عــن صحّتــي فيـه واعتلوا
رضـوا بـــالأماني وابتلّـوا بحظوظهـــم ... وخاضوا بحـار الحب دعوى فما ابتلّوا
فهم في السُّـرى لم يبرحوا من مكانهم ... ومـا ظعنـوا في السّـير عنـه وقـد كلّوا
وعن مذهبـي لمّا استحبــوا العـمـــى ... على الهدى حسداً من عند أنفسهم ضلّوا

انتهى من ديوانه في ١٠٩

(١) أي ما حصل له من تلك الأحوال (منه)
(٢) أي جسده .



فنرجع الآن إلى المقصود .

وقال الشيخ سليمان الزهدي خليفة قطب الأولياء خالد شاه في « مجموعة الرسائل »

اعلم أن الطريقة الموصلة المشهورة المعنعنة من السلف إلى الخلف كالمذاهب الأربعة المقبولة يجوز الانتقال من مذهب إلى مذهب آخر مطلقاً من غير تلفيق للعاميّ وكذلك الانتقال من طريقة إلى طريقة أخرى بشرط الوفاء فيما دخل فيه والاستقامة بآدابه **ولكن يجب على الإنسان دخول طريقة سالمة عن البدع المنكرة** . انتهى .

الباب الثاني عشر
في بيان أن الطريقة النقشبندية سالمة من البدع باقية على أصلها وأنها أقرب الطرق وأسهلها[١]

ذكر العلاّمة المتبحر ابن حجر الهيتمي المكي رحمه الله تعالى في خاتمة « الفتاوى » في ٢٤٦ مستطردًا من بحث آخر معبّراً عنها بقوله الطريقة العلية السالمة من كدورات جهلة الصوفية هي الطريقة النقشبندية . انتهى .

وناهيك بمثل هذا التعبير من مثل هذا النحرير . انتهى من « البهجة » وكان الإمام الرباني من أكابر النقشبندية وهو الذي كتب له النبي عليه السلام خط الإرشاد بيده الشريفة قائلاً لم أكتب قبلُ لأحد مثله .

وقال **ألقيَ في سري اني قد غفرت لك ولمن توسل بك إليّ بواسطة أو بغيرها إلى يوم القيامة** مأذوناً له بالإرشاد في الطريقة الثلاث القادرية والسُهروَرْديّة والچشتية ومع ذلك اجتهد لتحصيل نسبة الطريقة النقشبندية لعلمه بفضلها على سائر الطرق حتى قال إنّ الإمام المهدي يكون على هذه النسبة الشريفة . وكان يقول طريق أكابر النقشبندية كبريت أحمر مبنيّ على متابعة السنة . انتهى .

وقال شاه نقشبند الذي قال معرفة الحق تعالى حرام على قلب بهاء الدين لو لم تكن بدايته نهاية أبي يزيد . المعرض عن طريقتنا فهو على خطر

(١) وفي نسخة فإن قيل ما الطريقة السالمة عنها نقول .

في دينه . انتهى من « البهجة » من مواضع متفرقة مع تصرف في العبارات واختصار .

ومن « النفائس السانحات » وفي « البهجة » أيضاً أن الطريقة النقشبندية قدس الله أسرار أهاليها طريقة الصحابة رضي الله عنهم على أصلها لم يزيدوا ولم ينقصوا . انتهى . وهكذا في « المتممات » وغيره من كتب النقشبندية كـ « جوهرة نفيسة » لا يعرف ثمنها إلا المنصف الحاذق كيف ومؤسسها بالتهذيب والتنقيح أفضل الأمة بعد الأنبياء على التحقيق . انتهى . فهي الطريق الأقرب الأسلم الأحكم الأوضح والمشرب الأعذب الأصفى المصون عن قدح كل قادح بيت

لا يُدرك الواصف المُطْرِي خصائصه وإن يكن سابقاً في كل ما وصفا

انتهى منه .

وقال الشاذلي لقد جئت في هذه الطريقة[١] بما لم يأت به أحد لأنّه عين الطريقة النقشبندية وهي سلطان الطرق . انتهى من « المتممات »

وقال الإمام أبو منصور الماتريدي رحمه الله تعالى إن هذا الطريق ليس في طوله وقصره مثل المساحات التي تسلكه الأنفس فتقطعها بالأفكار على حسب العقائد والبصائر وأصله نورٌ سماويّ ونظر إلهيّ يقع في قلب العبد فينظر به أمر الدارين بالحقيقة ثم هذا النور ربّما يطلبه الشخص مائة سنة ويصرخ فيها ويبكي فلا يجده ولا أثراً منه . انتهى منه . فأقرب الطرق وأسهلها على المريد للوصول إلى درجات التوحيد الطريقة النقشبندية . انتهى « البهجة »

---

(١) أي في طريقة شاذلية

وقال الشاه نقشبند قدس سره طريقتنا أقرب الطرق وقال أيضاً طلبت من الله تعالى طريقة تكون موصلة البتة وقد أجيبت دعوته كما في « الرشحات » عن عبيد الله أحرار قدس سره . وكيف لا تكون أقرب وموصلة وانتهاؤها مندرج في ابتدائها . انتهى من « البهجة »

وفي « الحدائق الوردية » وقال قدس سره قيل لي في بداية الجذبة كيف تدخل في هذا الطريق فقلت على أن يكون كل ما أقوله وأريده . فقيل لي كل ما نحن نقوله يجب أن يفعل فقلت لا أطيق ذلك بل إن كان كل ما أقوله يصير أضع قدمي في هذا الطريق وإلا فلا وتكرر ذلك مرتين ثم تركوني ونفسي خمسة عشر يوماً فحصل لي يأس عظيم ثم بعد ذلك قيل لي إنّ الذي تريده يكون . فقلت أريد طريقة كل من دخلها تشرّف بمقام الوصول . انتهى .

وفيه أيضاً في ترجمة علاء الدين العطار وكان قدس سره قد زار ضريح سيدنا شاه نقشبند ﵁ قبل وفاته بسبع سنين و معه زمرة من أصحابه فرأى أحدهم في المنام خيمة كبيرة قد ضربت قال وعلمت أن هذه الخيمة لرسول الله ﷺ فجاء سيدنا النقشبند ومعه الشيخ علاء الدين إلى هذه الخيمة لزيارته ﷺ وخرجا بعد ساعة فرحين شاكرين وسيدنا شاه نقشبند يقول **أكرمني الله بأن أشفع إلى مائة فرسخ من جهات قبري الأربع والشيخ علاء الدين إلى أربعين فرسخاً وأحبّائي وأتباعي إلى فرسخ** . انتهى .

وفيه قال قطب أهل العزلة بركة أهل الزمان الشيخ عبد الوهاب قدس سره لما دفن حضرة الشيخ ﵁ فتح من جهة وجهه المبارك له طاقة إلى



الجنة كما ورد « القبر روضة من رياض الجنة » فدخلت عليه حوريتان وسلمتا عليه وقالتا له نحن منذ خلقنا أكرم الكرماء لك ننتظر خدمتك فقال قدس سره عاهدت الله تعالى أن لا ألتفت إلى شيء ما من الأشياء ما لم أتشرّف برؤيته التي بلا كيف ولا مثال وأشفع بجميع من اتصل بي وسمع مني القول الحق وعمل به . انتهى . وفي « البهجة » في ترجمة الإمام الرباني قدس سره يقول كنت مرة في حلقة أصحابي فخطر لي أني في قصور ونقص فبينما أنا كذلك إذا ألقيَ في سري **أني قد غفرت لك ولمن توسل بك إليّ بواسطة أو بغيرها إلى يوم القيامة** . انتهى . فهذه المذكورات بشارة أيّ بشارة لمن تمسك بزيل هذه الطريقة النقشبندية العلية جعلنا الله تعالى مقبولين آمين .

وصل

في بيان لطائف الطريقة النقشبندية

من خصائصها وجدان الحلاوة واللذة في الابتداء وفقدانهما في الانتهاء .

ومن خصائصها تقدم الجذبة فيها على السلوك وكون سيرها من عالم الأمر لا من عالم الخلق بخلاف أكثر الطرق وكون قطع منازل السلوك فيها مندرجاً في ضمن طيّ معارج الجذبة وتيسر سير عالم الخلق في سير عالم الأمر[١] وسير الابتداء في هذا الطريق في سير الانتهاء .

---

(١) وهو عالم الملائكة فإن الذكر القلبي الذي يلقنونه النقشبنديّون في الابتداء مخفي من الملائكة ولا يطلعون عليه ولا يسمعونه فلذلك صار ابتداء سيرها من عالم الأمر والله أعلم (منه رحم الله إفلاسه)

ومن محاسنها التي ليست لغيرها من الطرق حصول الاشتغال بتحصيل نسبتهم في كلّ مكان مع كل شخص وفي كل حال والخلوة فيها[١] في الجلوة فكل مجمع لأربابها زاوية يحضرون في المجالس وقلوبهم مع مولاهم حاضرة ومن سوى الله سبحانه خالية فهم ممن قال الله تعالى في شأنهم ﴿**رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ**﴾ . وما أحسن ما كانت تنشده السيدة رابعة العَدوية رضي الله تعالى عنها في هذا المعنى .

ولقـد جعلتـك في الفؤاد مـحـدثـي وابـحث جسـمي من أراد جلوسـي
فالجسم مـنـي للجليـس مـؤانـس وحـبيب قـلبي فـي الفؤاد أنيسـي

ومن لم يصل فعليه التصديق والإيمان لتحصل له الولاية الصغرى كما قال سيّدنا الجنيد ﵁ **التصديق بطريقتنا هذه ولاية صغرى** . كذا في « الحدائق الوردية »

ومن محاسنها أن أربابها لا يفهمون من جميع الأصوات سواء كانت أصوات المياه والرياح وأصوات المزامير والطبول وغيرها من أصوات المخلوقات وكلامهم إلا الذكر الملقن[٢] لهم حتى قال بعضٌ من مريدي الحاج عبد الرحمن العسليّ قدس سره ورزقنا فيضه إنه لا يفهم من صوت الكلب النائح إلا الذكر بلفظ الجلالة . انتهى . بل يصل السالك إلى هذه المرتبة إذا سعى وجدّ ولازم الذكر واجتهد في مدّة خمسة أو ستة أيّام كذا في « الرشحات »

(١) أي في الطريقة النقشبندية

(٢) راجع « الرشحات » في ١٨١

ومن محاسنها أن أربابها إذا نظروا إلى ما يتحرك من الأغصان والأوراق والحشيش والنبات يتخيّلون معها الذكر ولا يرون تلك الأشياء المتحركة إلا ذاكرة لله سبحانه . فهذه مما يحصل للسالك اذا رسخ الذكر في قلبه وصار الحضور له ملكة بحيث لا يقدر أن يخطر في قلبه سواه تعالى ولو تكلف . وصيرورة القلب على هذه الحالة شرط لتبديل الذكر إلى لطيفة الروح ثم إذا حصلت النتيجة لها يتبدل الذكر إلى السرّ ثم إلى الخفي ثم إلى الأخفى ثم إلى لطيفة النفس والجسد فحينئذ يتحرك الجسد من أسفله إلى أعلاه بالذكر بسبب جريان الذكر في جميع أجزاء البدن ومنابت الشعر وذرّات البشر حتى يعم الذكر إلى جميع ذرات الآفاق فلا يرى حجراً ولا مدراً ولا شجراً ولا غيرها إلا ويراها تذكر الله تعالى . فإن قيل كيف تذكر تلك الأشياء وهل لها ألسن أم كيف نسمع أصواتها قلنا ذلك مما لا يعرف كنهها إلا من ذاقها ولا مجال للتعبير عن ماهيتها وكيفيتها قال صاحب « الإبريز » نقلاً عن شيخه إن للجمادات لغات وألسن تليق بذواتها وجماداتها وسماعنا لها يكون بالذات كلها لا بالأذن التي في الرأس فقط ثم قال رضي الله عنه وهذا المشهد إنما يكون للوليّ في حال بدايته وأما بعد ذلك فإنما يشاهد الفعل من الخالق سبحانه فيشاهد الخالق سبحانه يخلق فيها كلاماً وتسبيحاً وغير ذلك مما يكون فيها ويشاهدها ظروفاً خاوية وصوراً فارغة راجعه في ١٠٢

وفيه أيضاً وكنت ذات يوم خارج باب الفتوح بناحية ضريح سيدي أحمد اليمنيّ رحمه الله تعالى جالساً تحت زيتونة فبينما أنا كذلك إذاً بجميع الحجر

صغيره وكبيره والأشجار والأغصان تسبح الله تبارك وتعالى بلغاتها فَكِدْتُ أَهْرُبُ ممّا سمعتُ قال وجعلت أصغي إلى بعض الحجر فأسمع منه أصواتاً عديدة فقلت حجرٌ واحد وله أَصْوَاتٌ عَدِيدَةٌ فتأملته فإذاً هو معجونٌ اجتمعتْ فيه عدّة أحجار فلذلك تعدّدت الأصوات فيه . انتهى ١٠٢

وفيه أيضاً وسمعته ﷺ يقول كم أذهب لأقضي حاجتي في بيت الوضوء فأرجع من غير قضائها لما أسمع من ذكر الماء باسم الجلالة . انتهى ١٠٣

ونظيره في « تحفة الأحباب » وغيره فراجع فهذه هي النعمة العظمى والدولة الكبرى ينبغي أن يشكر عليها ليلاً ونهاراً ولكنّ الإنسان لا يعرف قدر النعمة إلا بعد زوالها والله ولي التوفيق .

وقال لي شيخنا العسلي قدس سره يرى الإنسان ما عنده من النعمة قليلةً ويرى ما عند غيره عظيمةً فلعلّه ﷺ قال ذلك حين علم عدم شكري لهذه النعمة والله أعلم .

وقال العالم الرباني أدرة العردي رحمه الله إنه كان على شوق لحصول هذه النسبة فإذا حصلت فلا قدر لها عنده . انتهى .

ثم يلقن الشيخ النفي والإثبات على القاعدة المشهورة عندهم مع الشروط والأركان .

ثم إذا حصلت نتيجة ذلك الذكر يعلّم الشيخُ المريدَ كيفيةَ المراقبة الأحدية ثم بعد حصول نتيجتها يعلّم المراقبة المعيّة ثمّ وثمّ إلى آخر المراقبات .

وثمرات المراقبة عجيبة ونتائجها نفيسة لا يعرف كنهها إلا من ذاق حتى قال لي بعض الإخوان **إني لأرحم من مات ولم يذق لذّة من نتيجة المراقبة المعيّة** . انتهى . رزقنا الله تعالى تلك اللذات وجعلنا من أهل الشهود بإذاقة هذه الحلاوات . آمين .

ورأيت في « مسيرة الحكم » أن الدنيا وما فيها والسموات السبع والكرسيّ والعرش والجنة والنار عند من كان على المراقبة المعيّة كالذرة في شعاع الشمس . انتهى بتصرف . **فالواجب على من لم يشمَّ رائحة هذه المذكورات التسليم لمن شمّها والإعراض عن التكلم خلف من يطلبها**

وقد قيل إنّ من أنكر شيئاً من أحوال القوم حرّ[1] من ذوقها عقوبة عليه فإن من أعمى الله بصيرته فهو محروم عن درك هذه الأسرار ولا يذوقها إلا من صحب الرجال وقبّل التراب تحت أقدامهم ومن لم يقدر على هذا فليسلّم للرجال فيما رمزوا به وأشاروا إليه

وإذا لم تر الهلال فسلّم لأناس رأوه بالأبصار

ومن محاسنها أنه يستوي في استفاضة هذه الطريقة الشيوخ الذين بلغوا إلى حدّ الشيب والصبيان الذين لم يبلغوا إلى حد البلوغ لأنّ هذه الطريقة طريقة الجذبة الذاتية الروحانية من غير توقف على العبادات الجسمانية يستوي في استفاضتها المكلّف وغير المكلف لإمكان استفاضتها بالروحانية

---

(١) أي صار محروماً وفي نسخة حرم .

ومن محاسنها أنه يستوي في إفاضتها الأحياء والأموات لأنّه قد تفيض الأموات هذه الطريقة العلية إلى المستعدّين من حيث الروحانية كما تفيض الأحياء إليهم من حيث الجسمانية .

ومن محاسنها أنها طريق الانعكاس والانصباغ لأنّ نسبتها المعهودة فيها لا تحصل إلا بالصبّ والتوجّه وهما شرطان فيها وبهما تنعكس صور المعارف الإلهيّة من مرايا قلوب الواصلين إلى قلوب السالكين كما تنعكس الصور المحسوسة إلى الذوات الصقيلة وتنصبغ صدور المريدين بأنوار معارف صدور المشائخ العارفين . وروي « ما صب الله تعالى شيئاً في صدري إلا وصببته في صدر أبي بكر » الحديث وهو ﷺ مؤسّس هذه الطريقة ولذلك كانت هذه النسبة فوق سائر النسب .

ويصدّق هذه المذكورات بما في « ترجمة الرشحات » أنه لما حضرت الوفاة لمولانا حميد الدين دخل عليه ولده مولانا حسام الدين ووجده في غاية التشويش ونهاية الاضطراب فقال يا أبَتِ ما هذا التشويش فقال يا بنيّ يطلبُون منّي ما لا أملكه ولا أعلم طريق تحصيله يطلبون مني قلباً سليماً فقال مولانا حسام الدين **كن حاضراً معي لحظة يعني كن متوجّهاً إليّ يكون الحال مَعْلُوماً لك ثم توجّه إلى والده فوجد مولانا حميد الدين بعد ساعة اطمئناناً في باطنه وسكونة في قلبه ففتح عَيْنَيْهِ وقال يا بُنَيَّ جزاك الله عني خيراً ولقد كان اللازم عليّ أن أصْرِف جميعَ عمري لتحصيل هذه الطريقة . فيا أسَفِي على عمرٍ قد ضيّعته** فارتحل عن الدنيا بجمعيّة تامّة ببركة الولد الصالح . انتهى .

وبالجملة أنّ نظر همم أهل هذه الطريقة عَالٍ جِدّاً لا نسبة لكل زرّاق ورقاص إليهم ولهذا صارت نهاية الآخرين مندرجة في بدايتهم ونال مُبْتَدِئُوا طريقتهم حكم منتهى طرق أخرى وتقرّر سفرهم في الوطن من ابتداء الأمر وحصلت لهم الخلوة في الجلوة وكان دوام الحضور نَقْدَ وقتهم ورأس بضاعتهم وهم الذين صارت تربية الطالبين مَرْبُوطَةً بصحبتهم العلية وكان تكميل الناقصين منوطاً بتوجّهاتهم الشريفة نظَرهم[1] شفاء الأمراض القلبيّة والتفاتهم دافعٌ لِلْعِلَلِ المعنويّة ويعمل توجّههم الواحد عمل مائة من الأربعين والتفاتهم الواحد يساوي رياضة السنين شعر

ما أحسن النقشبنديين سيرتهم يمشون بالركب مخفيّين بالحرم

انتهى من « مكتوبات » الإمام الربانيّ من ج ٢ في ٣٦ راجعه

ومن محاسنها أن الوجد والاضطراب لا يكونان قطّ في أربابها شيوخاً كانوا أو مريدين ولا يتحرّك منهم وقت الذكر ولو شعرة إلا الإصبع الذي يجرّ السبحة **لأنّ الجذبة فيها مسلوبة عن الظاهر مصروفة إلى الباطن بالصبّ من صدر إلى صدر والتوجّه من قلب إلى قلب** ولذا لا يظهر أثرها على الظواهر سواء بالاضطراب والحركات أو بالصيحة والنغمات لأنّها من علامات الغفلات وأهل هذه الطريقة هم أهل الحضور واليقظة ولا يدري ذلك إلا أصحاب الفراسة والادراكات **والحركة الاختيارية تنقص من حال كل متحرك منهم شيخاً أو مريداً** وهي عندهم حرام .

---

(١) وفيه أيضاً في موضع آخر ورأيت بنظرهم الواحد ما لا يراه الناس في الأربعين ووجدت بكلامهم الواحد ما لا يجده الآخرون في السنين . انتهى راجعه من ٦٦ من ج ٢ (منه رحم الله إفلاسه)

وفي « بهجة السالكين » وكل ذلك مدخل للشيطان وحظوظ للنفس وكثير من الناس يحسبون أنها جذبة وليس كذلك ويهتم المرشد منع ذلك وسبب ذلك إما الجهل عن الأصول أو ادعاء العشق **وليس طريقتنا طريق العشق والهيجان بل طريقتنا طريقة العبودية والسكينة وأهلها معشوق ومحبوب للاستقامة في الاتباع والعبودية**[1] **ورضائه تعالى** . انتهى .

فالحاصل لا وَجْدَ مع الوُجْدَانِ ولا خبر مع العيان فالوَجْدُ بعَرْضيّة الزوال والوجود ثابت بثبوت الجبال . فافهم وفي ذلك قيل

قـد كان يَطْرِبُنِـي وَجْـدي فَأَقْعَدَنِـــي عـن رؤية الوجْدِ مَنْ في الوجدِ مَوْجُودٌ
والوجـد يَطْـرِبُ مَنْ في الوجـد رَاحَتُهُ والوجـــد عـــند حضـور الحـق مفقود

البيت من « عوارف المعارف »

ومن أعظم محاسنها أنّ توجّه أربابها الكبراء إلى الأحديّة تعالت وتقدست لا يريدون من الاسم والصفة غير الذات تعالت وتقدست ولا ينزلون من الذات إلى الصفات كغيرهم . كذا في « المكتوبات » للإمام الرباني قدس سره في ٣٦ من ج ٢

ومما اختص بها هذه الطريقة النقشبندية من بين سائر الطرق العلية أنها باقية على أصلها من غير نقص ولا زيادة وسالمة من كدورات البدع كما قال به ابن حجر في خاتمة « فتاواه » وغيره وأنها وصلت إلى المشائخ بواسطة أفضل الأمة أبي بكر ﵁ بخلاف غيرها كما هو معلوم مذكور في كتبهم .

---

(١) وفي نسخة لذاته

ومن خصائصها أن الولاية الكبرى إنما تعطى فيها وفي غيرها إنما تعطى الولاية الصغرى فقط لما فيه من المخالفة في آداب السنة . هكذ في « سلسلة الخواجكان »

ومن خصائصها أنه لا بد من تصرف الشيخ الكامل للطالب[1] لأنّ الطالب فيها لا يحصل له شيء بدون تصرفه لأنّ اندراج النهاية في البداية الذي من خصائصها أيضاً أثر توجه الشيخ وهو شرط فيها ومعنى الاندراج أن يذيق الشيخ من نهاية حاله شيئاً للمريد المبتدئ حتى يكون على جدّ كذا في « المواهب البريقة » لكن في « البهجة » ما حاصله لا ينبغي أن يتوجه لورود الحال لئلا يحمل استعداده ذلك الحال ويزول عقله .

وفيه أيضاً فإن كان استعداده قويّاً وسلك السلوك سريعاً فيمنعه من سلوكه يعني يضع على استعداده ظلمة حتى يسكن عن الترقي . راجعه في ١٣٠

ومن محاسنها أنه يحصل في هذه الطريقة الحضور والجمعية في وقت يسير لكثير من المستعدّين ما لا يحصل في غيرها في أوقات كثيرة كما في ترجمة « الرشحات » في ١٢٢

وفيه ما رأيت في طريقة خواجكان قدس الله أرواحهم من ليس له ذوق وقبول إلا قليلاً فإن بداية هؤلاء الأكابر نهاية الآخرين . انتهى . **بل أقول** إن هذا الطريق موصل البتة واحتمال عدم الوصول مفقودٌ فيه . انتهى من « معرب المكتوبات » في ج ٢ في ٦٠

(١) بالتوجه

ومن خصائصها إن خلوتهم في الجلوة لأنّ خلوتهم من حيث الباطن عند جمعيّة الناس كما قال الخواجه بهاء الدين النقشبند قدس الله سره العزيز طريقتنا الصحبة والخيرُ في الجمعيّة وإنما اختاروا هذه الخلوة اتباعاً للسنة لأنّ النبي ﷺ اختار الجمعيّة على الخلوة وقال « المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لايخالط الناس »

وقال الشيخ أبو سعيد الخراز قدس سره ليس الكامل من صدر منه أنواع الكرامات وإنما الكامل الذي يقعد بين الخلق يبيع ويشتري معهم ويتزوّج ويختلط بالناس ولا يغفل عن الله لحظة واحدة وهذه هي الخلوة الحقيقية المشار إليها في قوله تعالى ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ الاية هكذا في « البهجة السنية »

قيل للشيخ أبي سعيد قدس سره إنّ فلاناً يمشي على الماء قال إنّ السمك والضفدع كذلك وقيل إنّ فلاناً يطير في الهواء فقال إن الطيور كذلك وقيل إنّ فلاناً يصل إلى المشرق والمغرب في آنٍ واحدٍ فقال إنّ إبليس كذلك فقيل فما الكمال عندك قال **أن تكون في الظاهر مع الخلق وفي الباطن مع الحق** . انتهى « خزينة الأسرار » في ٢٤

وقد كنت مرة في الخلوة[١] بأمر أستاذي قدس سره لكن لم أطق أن أصْبِرَ فيها لصُعُوبة أمرها على النفس الأمارة فأرسلت الرسالة لديه بطلب الإذن للخروج منها فورد إليّ رسالته الشريفة المكتوبة بخطّه المبارك بهذه العبارات

(١) خلوة حسن أفندي حين دخل الخلوة وصعب أمرها على النفس الأمارة . انتهى .



وعليكم السلام أزيد ممّا أرسلتَ إليّ ألف مرّة **وبعد** فإذا كان الحال كما أنبأتَ وأخبرت لا خير لك في تلك الخلوة والعزلة وافعل الخلوة بالقلب أي كُنْ مع الحضور في كلّ الحال واخلط الناس ليكون ظاهرك مع الناس وباطنك مع الله كما قال الوليّ كائن[١] بائن[٢] وكما قال خلِّ قلبك من الأغيار فلا حاجة لطلب المحبوب[٣] القلب بيت الله القلب عرش الله

وقال عبد الخالق الغجدواني حرست قلبي عشرين ليلة فحرسني قلبي عشرين سنة احفظ قلبك من الخواطر ليكون جهادك[٤] جهاداً كبيراً[٥] هذا والسلام وأنا داعيكم بالخير عبد الرحمن . انتهى من خطه قدس سره .

فقد تحقق وتيقن بهذه المنقولات والنصوصات أفضلية هذه الطريقة النقشبندية العلية من سائر الطرق الباقية ولا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ولو اجتمع جميع العالم في تغيير وتبديل شيء من أوضاعها وأصولها لم يجدُوا إليها سبيلاً ولكل شيء يفعلونه فيها من الآداب والأركان[٦] والشروط أدلة موافقة بالمذاهب الأربعة وإنها لبّ القرآن وحقيقة العرفان فلا جرم ترى المنكرين لاستقامتها واعتدالها لها مذعنين فضلاً عن الموافقين

(١) مع الله

(٢) من الخلق .

(٣) أي الله

(٤) وفي نسخة مع الشيطان .

(٥) وفي نسخة أكبر

(٦) ومن أراد إدراكها فليراجع إلى « حجة الذاكرين » و« هداية الواصلين » (منه)

المذعنين سقانا الله تعالى من رحيقها المختوم بطابع أنوار أسرار العلوم ورحم الله امرءا عرف الحق فأنصف ووقف على الحدود وما تعسّف فإن الحقّ أحقّ أن يتّبع والباطل عن هؤلاء قد اندفع وَوَصْفها يكلّ عنه اللسان فمن أراد الزيادة على ذلك فعليه بكتب أهلها فلعلّه يجني من ثمار الفوائد رطباً جنيّاً .



الباب الثالث عشر
في بيان أفضلية الذكر السريّ على الذكر الجهريّ
وأفضلية الأعمال الباطنة على الأعمال الظاهرة فمشهور
معلوم بالآيات القرآنية والآحاديث النبويّة

ونحن إن شاء الله تعالى نذكر هنا بعضاً منها ليكون للمنصف المحق نافعاً وللمحبّ العاشق داوياً وللمنكر الحاسد قاطعاً وراغماً فنقول قال الله تعالى ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ ﴾ .

قال في « تفسير السلمي » في تفسير هذه الآية لا تظهر ذكرك فتطلب به عوضاً وأشرف الذكر ما لا يشرف عليه إلا الحق تعالى وما خفي من الأذكار أشرف مما ظهر .

وفي « تصديق المعارف » في تفسير تلك الآية أي اذكر الله تعالى بقلبك لا بلسانك . وفسّر صاحب « تصديق المعارف » أيضاً لقوله تعالى ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ أي عن ذكر الله في الباطن . انتهى .

وقال البيضاوي في قوله تعالى ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ أي ذَوُوا تضرّع وخفية فإنّ الإخفاء دليل الإخلاص

وقال ابن حجر في « التحفة » نعم العمل القلبي لعدم تصوّر الرياء فيه أفضل من غيره . انتهى من صلاة النافلة . ظاهره وإن قلّ كتفكر ساعة

مع[١] صلاة ألف ركعة « ابن قاسم » وقال أبو سعيد الخادمي في « البريقة المحمودة » عبادة السرّ تفضل على عبادة الجهر بدرجات . انتهى .

وفي « الحدائق الوردية » وهو أي ذكر القلب أفضل من الجهري بمراحل . انتهى . وفيه أن الجنيد قدس سره قال **من الأعمال ما لا يطلع عليه الحفظة وهو ذكر الله بالقلب** . انتهى في ٢٩٠

وفي « مختصر التذكرة » للشعراني والمدار على القلب وعمل القلب هو الذي ينظر فيه وتكون به النجاة . **وأما** حركة اللسان فإنما هي ترجمة عما في القلب وإلا فلا فائدة فيه . انتهى ١٠

وفي الخبر العام « يفضل عمل السرّ على عمل العلانية سبعين ضعفاً » انتهى . من « الإحياء » في ٢١٦ من الجزء الأول .

وعن جمادى المكيّ أنه قال ذكر القلب يضاعف سبعين ضعفاً على ذكر اللسان وقال عليه السلام « الذكر الذي لا تَسْمَعُهُ الحفظة يزيد على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين ضعفاً » أخرجه البيهقي عن عائشة . وقال عليه السلام « خير الذكر الخفي »

وقال أحمد ضياء الدين في تفسير هذا الحديث والمعنى فيه أنه أخلصُ لله وأبعد عن الرياء وأكثر فائدة وأفيد ثَمْرَة بالتجربة وأعظم وأقوم وأسعد أجراً وذخراً وأتمّ درجة وأكمل مقاماً وأزكى طهارة وأسرع نجاة وأسبغ رضًى وأجزل معرفة وأبلغ وُصلاً . انتهى من « المتممات »

---

(١) وفي نسخة بالنسبة ألف ركعة

وقال عليه السلام « أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً » الحديث .

قال أبو التراب ليس من العبادة شيء أنفعَ من إخلاص القلب عن الخواطر . وقال ذو النون صلاح القلوب ساعة أفضل من عبادة الثقلين . وقال الحصري[١] جلسةٌ خيرٌ من ألف حجّة .

وفي « تصديق المعارف » في تفسير قوله تعالى ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ يعني أن الملائكة الحفظة يكتبون ما تكلّم به العبد وسمع أذنه وحرك به شفتيه وعمل العمل فإذا ذكر الله تعالى سرّاً لم يكتبه الملائكة فأدخل الجنة قال عبدي إنّ لك كنزاً وأنا أجزيك قال يا رب وأيّ خير لم تعطنيه قال فيقول عبدي انك ذكرتني في نفسك سرا فلم تكتبه الملائكة الحفظة لك قال فيعطيه من الثواب ما يحتقر به ما كان أعطاه قبل ذلك بذكر الله تعالى في نفسه سرّاً . هكذا روى جرير عن الضحّاك عن ابن عبّاس رضي الله عنهم . انتهى .

وفي « أسباب الفلاح » وذكر القلب فهو غير ملفوظ باللسان ولا مسموع بالآذان بل فكر وملاحظة قلب وهو أعلى مراتب الذكر . انتهى ١٧

وقال صاحب « تفسير السلمي » في قوله تعالى ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ . قال الجنيد الذكر الكثير هو دوام المراقبة في جميع الأحوال وطرد الغفلة عن القلب قال أبو يزيد الذكر الكثير ليس بالعدد لكنه بالحضور . انتهى .

---

(١) أي بجمع الهمة بوصف الشهود كما هو معلوم لدى الطائفة النقشبندية (منه رحمه الله)

وفي « الحدائق الورديّة » إنّ القلب إذا تأثر بالذكر صارت جميع أجزائه ذاكرة فحينئذ يتحقق الذكر الكثير فتكون أعمال يوم واحد منه بمقدار عمل سنة من غيره . انتهى ١٢٠

وفي كتاب « بغية أولي النهى شرح غاية القصوى » عند قول الماتن صلاة التطوّع أفضل تطوّع بدن لا قلب وقوله لا قلب إشارة إلى أنّ عمل القلب أفضل . انتهى . وهكذا في « البهجة » راجعه .

فالاسم المفرد (الله) وهو[1] سلطان الأسماء وهو اسم الله الأعظم فلا يزال المريد يذكره بلسانه ويَهْتَزُّ به حتى يمتزج بلحمه ودمه ويسري أنواره في كليّاته وجزئياته فيتحد الذاكر والمذكور فينتقل الذكر إلى القلب ثم إلى الروح ثم إلى السر ثم يخرس اللسان ويحصل على محلّ الشهود والعيان فيصير ذكر اللسان ذنباً من الذنوب عند مشاهدة علام الغيوب (حسنات الأبرار سيئات المقربين) . انتهى « منية الفقير » ١٩

وفي « سلسلة الخواجكان » فقلَّ ما وقع المرء بالذكر إلا وقد وصل ولا سيّما بالذكر القلبي الذي هو شهود وزلفى وحضور وقربى وهو ذكر حقيقي يبدّل الغيبة بالحضور ويفني الذاكر في المذكور **لكن مع هذا لا بد أن يكون الذكر بتلقين الشيخ الكامل الذي عرف أسرار الأذكار وخواصّها بتلقين شيخ وهو كذلك إلى رسول الله** ﷺ . . الخ راجعه .

---

(١) لعله هو بدون واو .

وفي بعض مكاتيب قطب الأقطاب وغوث الأنام خالد البغدادي قدس سره اعلموا أنه ثبت بالكشف الصحيح والوجدان الصريح عند جهابذة الكشف والشهود وبَذَلَة الروح ونقاد الوجود أنّ أجلّ السعادة وأفضل العبادات بعد تصحيح العقائد عن تُرَّهات أهل الفساد والقيام بالفرائض على مذهب أحد الأمجاد المواظبة على الذكر الخفي مع دوام العلم بأنه سبحانه وتعالى يراك وإن لم تكن تراه إلى آخر ما قال من هامش « مجموعة الرسائل »

وفي « فتح الأسنى » حظُّ العبدِ من هذا الوصف أن يكون قلبه حيّاً بذكر الله على الدوام فإنّ الذاكر لله بين الغافلين كالحيّ بين الأموات وليس ذكر الله بلقلقة اللسان . . إلى آخر ما قال .

وفيه أيضاً أنّ موت القلب هو الغفلة عن الله تعالى . انتهى بالمعنى .

وفي ترجمة « الرشحات » كما أن الاجتناب عن المعاصي واجب على العامّة كذلك الاحتراز عن الغفلة لازم على الخواصِّ كما أنّ العامة يؤاخذون على المعصية كذلك الخواصّ يعاتبون على الغفلة . انتهى ١٤٢

وقال العلامة الشيخ علي القاري الحنفي في شرح حديث « من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير . كتب الله ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة » من « الحصن الحصين » ولعلّ وجه هذه الفضيلة لخصوص السوق أنها محل الغفلة فإن الذاكر فيهم كالمجاهد في الفارين . وهذا دليل لما اختاره السادة النقشبندية

من أكابر الصوفية حيث قالوا الخلوة في الجلوة والعزلة في الخلطة . فالصوفي كائن بائن وغريب قريب وعرشيّ فرشيّ ونحو ذلك من عباراتهم نفعنا الله ببركاتهم انتهى « بهجة »

واعلم أن من المشائخ الصوفية مَنْ يختار الجهر لدفع الوساوس الرديئة والكيفيات النفسانية وإيقاظ القلوب الغافلة وإظهار الأعمال الكاملة **ومنهم** من يختار الإسرار بمجاهدة النفس وتعليمها طرق الإخلاص وإيثارها الخمول .

وقد ورد أنّ عمر ﷺ كان يجهر وأبو بكر كان يسرّ فسألهما النبي ﷺ فأجاب كلٌّ منهما بنحو ما ذكر فأقرّهُما . هكذا في « الفتاوى الحديثيّة » لابن حجر فراجعه في ٥٧

ومبنى الطريقة النقشبندية على الأخذ بالعزيمة والأحوط ومعلوم أن الإسرار عزيمة وهو في حقنا أهلِ الديار الداغستانية أحوط وأليق لما في الجهر من خوف الرياء وغيره ودرء المفاسد مقدم على جلب المنافع[١] وفي « الإحياء » هذه العبارات والثانية أن يراقب قلبه فإنه ربما يكون فيه حُبّ الرياء الخفي فيدعوه إلى الإظهار بعُذْرِ الاقْتِدَاء وإنما شهوته التجمّل بالعمل وبكونه مقتدى به وهذا حال كل من يظهر أعماله إلا الأقوياء المخلصين . وقليل ما هم فلا ينبغي أن يخدع الضعيف نفسه بذلك فيهلك وهو لا يشعر فإنّ الضعيف مثاله مثال الغريق الذي يحسن سباحة ضعيفة فنظر إلى جماعة

(١) وفي نسخة على جلب المصالح والمنافع

من الغرقى فرحمهم فأقبل عليهم حتى يتشبثوا[١] به فهلكوا وهلك والغرق بالماء في الدنيا أَلَمُهُ ساعة وليت كان الهلاك بالرياء مثله لا بل عذابه دائم مدّة مديدة **وهذه مزلة أقدام العباد والعلماء فإنهم يتشبهون بالأقوياء في الإظهار ولا تقوى قلوبهم على الإخلاص فتحبط أجورهم بالرياء** والتفطّن لذلك غامضٌ ومِحكّ ذلك أن يعرض على نفسه أنه لو قيل له أخف العمل حتى يقتدي الناس بعابدٍ آخر من أقرانك ويكون لك في السرّ مثل أجر الإعلان فإنْ مال قلبه إلى أن يكون هو المقتدى به وهو المظهر للعمل فباعثه الرياء دون طلب الأجر واقتداء الناس به ورغبتهم في الخير فإنّهم قد رغبوا في الخير بالنظر إلى غيره وأجرهُ قد توفَّر عليه مع إسراره فما بال قلبه يميل إلى الإظهار لولا ملاحظته لأعين الخلق ومراءاتهم فليحذر العبد خدع النفس لأنّ النفس خَدُوع والشَيْطَانَ مُتَرَصِّدٌ وحبّ الجاه على القلب غَالِبٌ وقلّما تسلم الأعمال الظاهرة عن الآفات فلا ينبغي أن يعدل بالسلامة شيئاً والسلامة في الإخفاء وفي الإظهار من الأخطار ما لا يقوى عليه أمثالنا فالحذر من الإظهار أولى بنا وبأمثالنا الضعفاء . انتهى .

فإذا قال الغزالي هكذا فهو لنا أولى فأولى بل هو في زماننا هذا أَوْجَبُ وأحرى والله أعلم .

---

(١) وتشبث به أي علق (مص)

وقال ابن حجر في « الفتاوى » إنّ ما كانت مصلحته فيه أرجح كان أفضل . انتهى وقال أيضاً « وما سبقكم أبو بكر بصوم ولا صلاة ولكن بشيء[١] وقر في صدره » ولا يخفى أن أفضلية الرجل بأفضلية أعماله وأنّ المصلحة في الذكر السري أرجح في حق أمثالنا فكان ذلك أفضل فتدبره فإنه نفيس .

وفي تفسير « السلمي » في تفسير قوله تعالى ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾ حقيقة الذكر الإعراض عن الذكر ونسيانه والقيام بالمذكور وفيه أيضاً حقيقة الذكر أن ينسى كل شيء سوى مذكوره لاستغراقه .

وفي « المتممات » لأحمد ضياء الدين قدس سره إن الذكر على ثلاثة أنواع

ذكر اللسان مع غفلة القلب ويسمّى ذكر العادة وهو ذكر العوام وثمرته العقاب لأنّه ذنب .

وذكر باللسان مع حضور القلب ويسمى ذكر العبادة وهو ذكر الخواص وثمرته الثواب .

وذكر بجميع الجوارح والأعضاء ويسمى ذكر المحبّة والمعرفة وهو ذكر خواصّ الخواصِ وثمرته لا يمكن التعبير عنها ولا يعلم قدر ذلك الذكر إلا الله . انتهى . قوله (وثمرته العقاب) لأنّه ذنب أي بالنسبة إلى حسنات المقربين لأنّ الغفلة عن الله عندهم من أعظم الذنوب والله أعلم .

---

(١) وهو الذكر القلبي كما قال بذلك أحمد ضياء الدين في « جامع الأصول » (منه رحم الله إفلاسه)

وفي « منية الفقير المتجرد وسيرة المريد المتفرد » ما يدلّ على أفضلية الأعمال القلبية وهو أنه وقع للرجل الذي سمع القائل

إذ العشرون من شعبان ولّت فواصل شُرْبَ ليلك بالنهار
ولا تشرب بأقداح صغار فقد ضاق الزمانُ على الصغار

فهام على وجهه وذهب إلى مكة فبقي بها مجاوراً حتى مات رضي الله عنه فهمّ أنّ العمر إذا ذهب جلّه فقد قرب الأجل وضاق الزمان على العبادة الصغرى فطلب الموضع الذي تكون فيه العبادة الكبرى فيضاعف فيه الأعمال وهذا الرجل كان من العلماء المجتهدين ولو كان من العارفين لما احتاج إلى ذهاب مكة بل عبادة القلوب مضاعفة بأضعاف كثيرة في أيّ موضع كانت ولذلك قال بعضهم **الذرة من أعمال القلوب أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح** . وقال عليه الصلاة والسلام « ركعة من عالم بالله أفضل من ألف ركعة من جاهل بالله » انتهى وراجع « الإحياء » في بيان ترك التداوي في ٢٢٣ من الجزء الرابع .

الباب الرابع عشر
في بيان أفضلية ذكر لفظة الجلالة من سائر الأسماء الإلهية
وبيان الاختلافات في أنّ الذكر القلبي هل يثاب أم لا

ففي الحديث « لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض مَنْ يقول الله الله » ذكر الشعراني في كتاب « الجواهر والدرر » ولولا أن قول (الله الله) له حفظ العالم لم يقرن ﷺ زوال الكون بزوال من يذكر به ولذلك أيضاً اتخذه الكمّل من العارفين ورداً لهم لا يخفُّ على لسانهم اسم مثله لأنّهم لا يشهدون شيئاً من الأسماء لا يفرق قلوبهم غيره . انتهى . وقد فسّر لقوله تعالى ﴿ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ أي كرّروا هذا الاسم كثيراً ونظيره قوله تعالى ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي ذكركم الاسم (الله) أكبر من ذكركم سائر الأسماء الفروعيّة الطالبة لوجود الأغيار كالرحمن والغفور والرزاق ونحوها فما في الأذكار أعظم فائدة من ذكر الاسم الله لأنّه جامع لجميع الحقائق لا يطلب أحداً من الأغيار المشهورة في هذا العالم . انتهى كتاب « الجواهر والدرر » بتصرف واختصار .

ولا شك أنّ كل ما أدّى إلى خلوّ القلب عن الأغيار خيرٌ مما لم يؤدّ لذلك إذ روح العبادة هو الحضور وبذلك يدرك مَعْرفة الله تعالى ومعرفته هي المقصودة من جميع العبادات فليتدبر .

وفي « الحدائق الوردية » وذكر اسم الذات أي الله هو مذهب الإمام أبي حامد الغزالي وعلى ذلك أيضاً جميع شيوخ الرسالة كالجنيد البغدادي وشيخه

سري السقطي ومعروف الكرخي وداود الطائي وإبراهيم بن أدهم وعبد الله بن حنيف وفُضيل بن عياض والمحاسبي والحافي وغيرهم قدس الله أسرارهم . انتهى ٢٩٣ . وهذا الاسم الشريف هو الذي اختاره الطائفة النقشبندية وهو أوّل ما يلقّنونه للمريد من غير فرق بين مريد كما في « تبصرة المرشدين » وغيره .

نعم ذهب بعضهم إلى أن من يستعد لتقديم الجذبة على السلوك فله اسم الذات ومن يستعدّ لتقديم السلوك على الجذبة فله النفي والإثبات من غير حبس النفس وكلاهما بالقلب إلى أن يستعدّ للجذبة وبعد ذلك يتلقن باسم الذات كمن يتلقن به في ابتداء الأمر ولكل وجهة راجع « تحفة الأحباب » و« خواجكان »

قال الشيخ الأكبر في « الفتوحات المكية » في الباب ٤٦٢ ثم إنّ الله تعالى جعل العالم الجسمي والجسماني في مَنْزِلَيْنِ منزلٌ يسمّى الدنيا ومَنْزل يسمّى الآخرة وجعل سكانهما الإنس والجان والمعتبر فيهما الإنس والمعتبر من الإنس الكمّل لا غير وهم الذين ذِكْرُهُمْ (الله) لا يزيدون عليه في نفوسهم هذا ذكرهم في نفوسهم . انتهى .

وفيه أيضاً في ٣٦١ فَاتّخَذَهُ أي ذكر لفظة (الله) أهل الله ذكراً وحده فأنتج لهم في قلوبهم أمراً عظيماً لم ينتجه غيره من الأسماء . انتهى .

وفي « الحدائق الوردية » وقال في كتابه « كيمياء السعادة » ولا تظنّ أنّ هذه الطاقة تنفتح من عين القلب بالنوم والموت فقط بل تنفتح باليقظة أيضاً لمن أخلص الجهاد والرياضة وخرج عن أسْر الشهوة فإذا جلس في مكان

خال مع تعطيل الحواس وفتح العين والسمع الباطنين وقال دائماً الله الله بالقلب دون اللسان إلى أن يصير لا خَبَرَ له من نفسه ولا من العالم وبقي لا يرى إلا الله انفتحت طاقة في القلب يرى فيها يقظة ما يرى في النوم من أرواح الملائكة والأولياء والصور الحسناء وما لا يمكن شرحه وهو أيضاً مذهب جماعة ولقيتهم على ذلك الذكر (الله الله) وأمروني به . انتهى ٢٩٢ راجعه ففيه البسط الأهمّ .

وفي « شمس المعارف الكبرى » أنّ هذا الاسم يعني (الله) هو اسم الله الأعظم باتفاق جمهور العلماء المتقدمين والمتأخرين . انتهى ٢٤ من جزء ٤ وذكره بالقلب فضيلة عظيمة على هذه الفضيلة فتدبره .

وقال المحقق ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » في ٤٥ وذكر لا إله إلا الله أفضل من ذكر الجلالة مطلقاً هذا بلسان أئمة الظاهر وأما عند أهل الباطن فالحال يختلف باختلاف أحوال السالك فمن هو في ابتداء أمره ومقاساته لشهود الأغيار وعدم انفكاكه عن التعلّق بها وعن إرادته وشهوته وبقائه مع نفسه يحتاج إلى إدمان الإثبات بعد النفي حتى يستوليَ عليه سلطان الذكر وجواذب الحقّ المرتّبة على ذلك فإذا استولت عليه تلك الجواذبُ حَتى أخرَجتهُ عن شَهَوَاتِهِ وإرادته وحُظُوظِهِ وجميع أغراض نفسه صارَ بعيداً عن شهُود الأغيار واستولى عليه مُراقبة الحق أو شهُوده فحينئذ يكون مستغرقاً في حَقائق الجمع الأحديّ والشهُود السرْمَديّ الفرديّ . فالأنسَبُ بحاله الإعراض عمّا يذكره بالأغيار والاستغراق فيما يناسب حاله من ذكر الجلالة فقط لأنّ ذلك فيه تمام لذّته ودوام مسرّته

ونعمته ومنتهى أربه[1] ومحبته بل إذا وَصَل السالك لهذا المقام وأراد قهرَ نفسه إلى الرجوع إلى شهود غيره حتى يُنْفيه أو يتعلّق به خاطره لا تطاوعه نفسه المطمئنة لما شاهدت من الحقائق الوهبيّة والمعارف الذوقية والعوارف اللدنية وقد فتحنا لك باباً تستدلّ بما ذكرناه في فتحه على ما وراءه فافهم مقاصد القوم السالكين السالمين من كل محذور ولوم وسلّم لهم تَسْلَمْ ولا تَنْتَقِدْ حقيقة من حقائقهم تندَمْ بل قل فيما لم يظهَرْ لك الله أعلم .

وكذا يقال في الذكر باللسان وبالقلب أو بالقلب فقط فبلسان أهل الظاهر ذكر اللسان والقلب أفضل مطلقاً . وعند أهل الطريقة في ذلك تفصيل تَفْهَمُهُ ممّا قبله إن وَعَيْتَهُ وتَأَمَّلْتَهُ فإن المستغرق قد يعرض له من الأحوال ما يلتجمُ به لسانه ويصير في غاية من مقام الحيرة والدهش فلا يستطيع نطقاً أو يتفرق بسبب نطقه مُتمثّل له من معالي تلك الأحْوال وما هو مستغرق فيه من بحار العرفان والكمال .

والحاصل أن الأولى بالسالك قبل الوصول إلى هذه المعارف أن يكون مُديماً لما يأمره به أستاذه الجامع لطرفي الشريعة والحقيقة فإنه هو الطبيبُ الأعظم فبمقتضى مَعارفه الذوقية وحِكَمه الربانية يعطي كلّ بَدَنٍ ونفس ما يراه هو اللائق بشفائها والمصلح لغذائها فإن لم يكن له أستاذ كذلك فلا يَعْدِلُ عن ذكر (لا إله إلا الله) بلسانه وقلبه بل يديم ذلك إلى أن يفتح الله له ما يَعْلَمُ به خير الأمرين في الترقي إلى شهود العين حَقّق الله لنا ذلك بمنه وكرمه آمين .

---

(١) الأرب الخ الحاجة (مص)

والذكر الخفي قد يطلق ويُرَادُ به ما هو بالقلب فقط وما هو بالقلب واللسان بحيث يسمع نفسه ولا يسمعه غيره ومنه « خير الذكر الخفي » أي لأنّه لا يتطرق إليه الرياء وأمّا حيث لم يسمع نفسه فلا يعتدّ بحركة لسانه وإنما العبرة بما في قلبه على أنّ جماعة من أئمتنا وغيرهم يقولون لا ثواب في ذكر القلب وحده ولا مع اللسان حيث لم يسمع نفسه وينبغي حمله على أنه لا ثواب عليه من حيث الذكر المخصوص .

أما اشتغال القلب بذلك وتأمُّل مَعانيه واستغراقه في شهودها فلا شك أنه بمقتضى الأدلّة يُثاب عليه من هذه الحيثيّة الثواب الجزيل . ويؤيّده خبر البيهقيّ « الذكر الذي لا تسمَعُهُ الحفظة يزيد على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين ضعفاً » هذا . انتهى كلام ابن حجر

أقول إنّ هذه الزيادة من جهة الفضيلة والتأثير لأنّ الحضور التام للذاكر إنما يحصل بالذكر القلبي غالباً وإن كان بالذكر اللساني نفع عظيم إلا أنّ الحضور قَلَّ ما يحصل به كما هو معلوم لدى الذاكرين المستغرقين . انتهى من تفسير الفاتحة المسمى بـ« مرآة الحامدين » . فتأمله فإنه كلام لذيذ ينحل به الإشكال عن قلوب علماء الظاهر .

وفي الحديث « فكر ساعة خير من عبادة ستين سنة » وقد عم ابن حجر في فتواه الفكر في هذا الحديث الذكر فراجعه وهذا الحديث أدّل الدلائل على أفضلية الذكر القلبي لأنّه ذكر في « الفتاوى العمرية » إن ذكر القلب بتفكر اللفظ مع ملاحظة معناه كما قيل الفكر ذكر القلب . فراجعه . وهكذا في « مرآة الحامدين » وقال الشبليّ قدس سره والذي نفسي بيده لَحُضُورُ قلبي في

استغراق نور ربّي خَيْرٌ من علوم الأولين والآخرين . انتهى عبارة « الفتاوى العمرية » و« ماهية التصوف »

وفي « الفتاوى العمرية » في تفسير خبر « الذكر الذي » .الخ يعني أنّ الذكر القلبي الذي لا تسمعه الكرام الكاتبون مِن الملائكة يزيد ثوابه على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين ضعفاً وذلك لبعده عن الرياء والسمعة وخلوصه عن كثير من الخواطر الدنيويّة بسبب الجمعيّة القلبيّة وقصر الهمّة على الذات الأقدس بالملاحظة التامّة .

وفي « الرسالة القشيرية » قال الأستاذ **الذكر ركنٌ قويّ في طريق الحق سبحانه وتعالى بل هو العمدة في هذا الطريق ولا يصل أحد إلى الله تعالى إلا بدوام الذكر .**

والذكر على ضربين ذكر اللسان وذكر القلب .

فذكر اللسان به يصل العبد إلى استدامة ذكر القلب والتأثير لذكر القلب فإذا كان العبد ذاكراً بلسانه وقلبه فهو الكامل في وصفه في حال سلوكه . انتهى .

وقال شيخ الإسلام زكريّا الأنصاري رضي الله عنه في شرحه على « رسالة القشيرية » قوله (وذكر القلب) فإن اقتصر على أحدهما فالثاني[1] أفضل انتهى . من شرحه على « الرسالة القشيرية » وفيه إنّ الذكر الكامل هو الاستغراق في المذكور . انتهى بتصرف فراجعه .

---

(١) أي ذكر القلب .

وفي « الفتاوى الحديثية » في ٣٦ لابن حجر وسئل ﷺ عن قول النووي لطف الله به في آخر باب مجالس الذكر من « شرح مسلم » ذكر اللسان مع حضور القلب أفضل من ذكر القلب . انتهى فهل يُؤْخَذُ من كلامه أنّه إذا ذكر الله بقلبه دون لسانه أنه ينال الفضيلة إذا كان معذوراً أم لا وهل إذا قرأ بقلبه دون لسانه من غير عذر ينال الفضيلة أم لا **أجاب** بقوله الذكر بالقلب لا فضيلة فيه من حيث كونه ذكراً متعبّداً بلفظه وإنّما فيه فضيلة من حيث استحضاره لمعناه من تنزيه الله وإجلاله وبهذا يجمع بين قول النووي المذكور وقولهم ذكر القلب لا ثواب فيه فمن نفى عنه الثواب أراد من حيث لفظه ومن أثبت فيه ثواباً أراد من حيث حضوره بقلبه كما ذكرناه فتأمّل ذلك فإنّه مهمّ ولا فرق في جميع ذلك بين المعذور وغيره والله سبحانه وتعالى أعلم . انتهى .

وفي « إظهار الحق » نقلاً من « شرح المشكاة » لابن حجر ونفي الثواب فيه أي في الذكر القلبي المحض من حيث الذكر أي من حيث الذكر الذي ورد الشرع بذكره باللسان لا ينافي حصوله من حيث المراقبة وحضور القلب فيه ثواب أيُّ ثواب . انتهى فليراجعه .

وقد قال الغزالي حركة اللسان بالذكر مع الغفلة عنه يحصل الثواب لأنّه خير من حركة اللسان بالغيبة بل هو خير من السكوت مطلقاً . أي المجرّد عن التفكّر قال وإنما هو ناقص بالنسبة إلى عمل القلب . انتهى .

وفي « الأذكار النووية » فضل الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان والأفضل منه ما كان بالقلب واللسان جميعاً فإن اقتصر على أحدهما فالقلب أفضل . انتهى .

وفي شرحه للعلامة ابن علان رحمه الله تعالى قوله (فالقلب أفضل) قال المصنف في « شرح مسلم » نقلاً عن القاضي عياض ذكر ابن جرير الطبريّ أنه اختلف السلف في ذكر اللسان والقلب أيّهما أفضل قال القاضي عياض وإنما يتصوّر الخلاف عندي في مجرّد الذكر الخفي الذي ذكرناه فذلك لا يقاربه ذكر اللسان فكيف يفاضله والمراد بذكر اللسان مع حضور القلب وإن كان لاهياً فلا واحتج من رجَّح ذكر القلب بأنّ عمل السرّ أفضل ومن رجَّح عمل اللسان قال إن العمل فيه أكثر لأنّه زاد باستعمال اللسان فاقتضى زيادة أجر[1]

قال القاضي فاختلفوا هل تكتب الملائكة ذكر القلب فقيل تكتبه ويجعل الله لهم علامة يعرفونه بها وقيل لا تكتبونه لأنّه لا يطّلع عليه إلا الله تعالى .

---

(١) ولأنّ فائدته تتعدى إلى السامعين فاقتضى زيادة أجر والصحيح الأول لبعده وخلاصه عن الرياء أقول وهذا يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال كما تقدم ذكره وأما الأذكار التي وردت فيها الأخبار والآثار كالتسبيح والتحميد والتكبير عقب المفروضات فلا بد من تلفظها باللسان انتهى نووي . أقول وكذا قراءة القرآن والتسابيح والتكبيرات في الصلاة وكذا تشميت العاطس وإجابة المؤذن والسلام مع عدم العذر وإلاّ فبالقلب فقط . كما في الخلاء ومحل النجاسات كما في « الباجوري » في آداب الخلاء وأما غير المأثورات فجائز مطلقاً انتهى من « الفتاوى العمرية » راجعه (منه رحم الله افلاسه)

قال المصنف في « شرح مسلم » الأصحّ أنّهم يكتبونه وإنّ ذكر اللسان مع حضور القلب أفضل[١] والله أعلم . وقول القاضي (وإن كان لاهياً فلا) مراده فلا خلاف في فضل الذكر بالقلب حينئذ وليس مراده فلا فضل فيه لأنّه قال قبله وأما ذكر اللسان مجرّداً فهو أضعف الأذكار وفيه فضل عظيم كما جاءت به الأحاديث . انتهى . ونقله المصنف في « شرح مسلم » انتهى كلام ابن علان .

وفي « البجيرمي » قوله حمد الله بقلبه أي ويثاب عليه كما مرّ وقولهم الذكر القلبيّ لا ثواب فيه محمول على ما لم يطلب بخصوصه وهذا مطلوبٌ فيه بخصوصه « ع ش » على « م ر »

قال بعضهم يؤخذ من هذا صحّة ما ذهب إليه السادة الصوفية من جواز الذكر بالقلب والثواب عليه بل هو أفضل من ذكر اللسان لخلوصه من الرياء ولو لم يكن فيه ثواب لما أمر السادة الفقهاء بالحمد به في المواضع المكروه فيها ذكر اللسان وهو الحق الذي ينبغي اعتقاده .

وفيه إنّ ما قاله الفقهاء إنما هو في الموضع الذي يكره ذكر اللسان وأجاب الشهاب ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » بقوله الذكر بالقلب لا فضيلة فيه من حيث كونه ذكراً متعبّداً بلفظه إلى آخر ما قال . ومرّ في هذه الرسالة نقلاً من عين « الفتاوى » فليتذكر .

وفي « حسبحال السالك » الذكر قسمان

---

(١) لعلّه عند أهل الظاهر أخذاً مما مرّ عن ابن حجر وغيره وليتذكره . (منه)

الأول التذكر وهو التكلّف أي تكلف السالك على لسانه ذكر الله .

والثاني الذكر الحقيقي وهو جريان القلب بالذكر دون اللسان فتسمية الأول بالذكر مجازٌ من قبيل تسمية السبب باسم المسبّب وأكثر الناس عنه غافلون . انتهى من « فتاوى عمريّة »

وفيه وفي « روح البيان » الذكر على مراتب والذكر اللسانيّ بالنسبة إلى ذكر القلبيّ تنزّلٌ . انتهى .

وحاصل المنقولات والاختلافات أن أفضلية الأذكار اللسانية إنما هو عند أهل الظاهر وأما عند أهل الباطن فالأذكار اللسانية بالنسبة إلى الأذكار القلبيّة مما يعدونها نزولاً عن المقام الأسنى والدرجة العليا ولكنهم إذا تنزلوا عن ذلك المقام توسلوا إليه بالأذكار اللسانية . وفي « مرآة الحامدين » إن ذكر اللسان لتحصيل ذكر القلب . انتهى . وأحياناً يستعملون الذكر باللسان ليقتدي بهم غيرهم وينتفع بهم سواهم وإذا تجلّى الله لهم بالمعيّة وحصلت لهم أعلام المشاهدة سقط الذكر سواء كان باللسان أو بالقلب ويعدّونه حينئذ ذنباً من الذنوب فيكون الذكر وقتئذ حجاباً راجع « جواهر القرآن » للغزالي وفي ذلك أنشدوا

بذكر الله تزداد الذنوب وتنكشف الرذائل والعُيُوبُ
وترك الذكر أفضل كل شيء وشمس الذات ليس لها مغيب

وأنشدوا أيضاً

لا يتــركُ الذكــر إلاّ مــن يُشـاهدُهُ وليــس يَشْهَدُهُ مَــنْ لَيْسَ يَـذْكُرُهُ
والذكر سَتْرٌ علــى مـذكــوره أبــداً فحيــن أذكــره فـي الحــال يستره
فــلا أزال مـــع الأحــوال أَشْـهَـدُه ولا أزال مــع الأنـفــاس أذكـــــره

الأبيات من « كشف الحجاب » للشعراني

وفيه أنّ الذكر دليل فإذا جَمَعَك المَدْلُولُ سقط شهود الدليل من قلبك . انتهى .

وفي « ميزان الشعراني » ويؤيّد ذلك قول الشبلي رحمه الله حين قالوا له متى تستريح فقال إذا لم أُرَ لله تعالى ذاكراً أي لأنّ الذكر لا يكون إلا في حال الحجاب عن شهود المذكور فما تمنّى الشبليّ إلاّ حضرة الشهود لأنّها هي الّتي لا يرى لله تعالى فيها ذاكراً بلسانه اكتفاء بمشاهدته تعالى ومُناجاته بالقلب وحضرة الحق هي حضرة بُهْتٍ وخرس[1] . قال الله تعالى ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ انتهى . وانشدوا أيضاً

فـتـــرك الـذكـر أولـــى بالشهــود وذكـــر الله أولـــى بـالـوجــــود
فكـــن إن شئت وُجْــدان الوجــود وكـــن إن شـئـت فــــي فضل الشهود

انتهى

وفي « الإحياء » في ٢٤١ وكذا في « عوارف المعارف » في ٣٠٠ قال بعضهم إني أقول يا ربّ يا الله فأجد ذلك على قلبي أثقل من الجبال لأنّ النداء يكون من وراء الحجاب . وهل رأيت جليساً ينادي جليسه . انتهى .

(١) وفي نسخة زيادة لشدة ما يطرق أهلها من الهيبة والتجلي .

وفي « الإحياء » في ٢٤١ من الجزء الرابع أيضاً إذا بلغ الرجل في هذا العلم الغاية رَمَاهُ الخلق بالحجارة أي يخرج كلامه عن حدِّ عقولهم فَيَرَوْنَ ما يقوله جُنوناً وكُفْراً فمقصَدُ العارفين كلهم وصلُهُ ولقاؤه فقط فهي قرّة العين التي لا تعلم نَفْسٌ ما أخْفِيَ لهم منها وإذا حصلت انمحقت الهُمُوم والشهوات كلّها وصار القلب مستغرَقاً بنعيمها . فلو ألقي في النار لم يُحسّ بها لاستغراقه ولو عرض عليه نعيم الجنة لم يلتفت إليه لكمال نعيمه وبُلُوغه الغاية التي ليسَ فوقها غاية . انتهى . ولذلك قال بعضهم

وهجره أعظم من ناره ووُصْلُهُ أطيب من جنَّته

انتهى منه

وقال أبو يزيد لو عذبني الله تعالى يوم القيمة لحبسني في الجنة . انتهى . يعني عدّه ذلك حجاباً عن الله مع أن الجنة مقصد العباد ومطلب الزهاد[1] والله أعلم .

وهذه أحوال أرباب المشاهدة من العارفين الذين يؤثرون التبتّل والتفرُّد والفكر والذكر حتى ينغمسوا في بحار المشاهدة ويَدْخلوا في جنّة المعرفة التي ثمارها غير مقطوعة ولا ممنوعة بل هي أبدية سرمديّة لا يقطعها الموت إذ الموت لا يَهْدم محلَّ مَعرفة الله تعالى . قال تعالى ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ ﴾ الآية . قال الإمام الغزالي في « الإحياء » في ٢٤٠ ولا تظننّ أن هذا مخصوص بالمقتول في المعركة فإن للعارف بكل نَفَسٍ دَرَجَةُ ألف شهيد . انتهى .

(١) ووقوع الحجب عند أهل الله تعالى أشد عذاباً من دخول النار راجع . (منه)

وفيه أيضاً أنّ جميع أقطار ملكوت السموات والأرض مَيْدانُ العارف يتبوَّأ منها حيث شاء من غير حاجة إلى أن يتحرك إليها بجسمه وشخصه . انتهى .

وفي « الإحياء » في ٢٢٩ من ج١ وقال أبو الدرداء قال رسول الله ﷺ « ألا أنبِّئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الورق والذهب وخيرٌ لكم من أن تلقوا عدوّكم فتضربون أعناقهم ويضربون أعناقكم قالوا وما ذاك يا رسول الله قال ذكر الله عز وجلّ دائماً » انتهى .

وفيه أيضاً في ٢٣٣ فإن قلتَ فما بال ذكر الله سبحانه مع خِفَّته على اللسان وقلة التعب فيه صار أفضل وأنفع من جملة العبادات مع كثرة المشقات فيها

فاعلم أنّ تحقيق هذا لا يليق إلا بعلم المكاشفة والقدر الذي يسمح بذكره في علم المعاملة أن المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب فأما الذكر باللسان والقلبُ لاهٍ فهو قليل الجدوى .

وفي الأخبار ما يدلّ عليه أيضاً وحضور القلب في لحظة بالذكر والذهول عن الله عز وجلّ مع الاشتغال بالدنيا أيضاً قليل الجدوى بل حضور القلب مع الله تعالى على الدوام أو في أكثر الأوقات هو المقدم على العبادات بل به تشرف سائر العبادات وهو غاية ثمرة العبادات العمليّة وللذكر أوّل وآخر فأوّله يوجبُ الأنسَ والحبَّ وآخره يوجبه الأنسُ والحبُّ ويصدر عنه والمطلوب ذلك الأنس والحبّ **فإن المريد في بداية أمره قد يكون متكلِّفاً بصَرف قلبه ولسانه عن الوسواس إلى ذكر الله عز وجل فإن وُفِّقَ للمداومة**

أنس وانغرس في قلبه حبّ المذكور . .الخ ثم إذا حصل الأنس بذكر الله سبحانه انقطع عن غير ذكر الله وما سوى الله عز وجل هو الذي يفارقه عند الموت فلا يبقى معه في القبر أهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية ولا يبقى إلا ذكر الله عز وجل فإن كان قد أنس به تمتّع به وتلذّذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه إذ ضرورات الحاجات في الحياة الدنيا تصدُّ عن ذكر الله عز وجل ولا يبقى بعد الموت عائقٌ فكأنّه خلى بينه وبين مَحْبوبه فعظمت غبطته وتخلّص من السجن الذي كان ممنوعاً فيه عمّا به أنسه . .الخ . وهذا الأنس يتلذَّذ به العبد بعد موته إلى أن ينزل في جوار الله عز وجل ويترقى من الذكر إلى اللقاء وذلك بعد أن يُبَعْثَرَ ما في القبور ويحصَّل ما في الصدور ولا ينكر بقاء ذكر الله عز وجل معه بعد الموت فيقول إنه أعدم فكيف يبقى معه ذكر الله عز وجل فإنه لم يَعْدِمْ عدماً يمنع الذكر بل عدماً من الدنيا وعالم الملك والشهادة لا من عالَم الملكوت . .الخ . ولأجل شرف ذكر الله عز وجل عظمت رتبة الشهادة لأنّ المطلوب الخاتمة ونعني بالخاتمة وداع الدنيا والقدوم على الله والقلب مستغرق بالله عز وجل منقطع العلائق عن غيره فإن قدر عبد أن يجعل همَّه مستغرقاً بالله عز وجل فلا يقدر على أن يموت على تلك الحالة إلا في صفّ القتال فإنه قطعَ الطمع عن مُهْجَتِهِ وأهله ومالِهِ وولده بل من الدنيا كلها فإنه يريدها لحياته وقد هوَّن على قلبه حياته في حبّ الله عز وجل وطلب مرضاته فلا تجرُّد لله أعظم من ذلك ولذلك عظم أمر الشهادة وورد فيه من الفضائل ما لا يحصى . .الخ .

وفي « بيان الأسرار » للسُهْروردي قدس سره في الفصل الرابع عشر والقلب لا ينام ولا يموت وهو مشغول في النوم واليقظة بحياة القلب بلا صوت ولا قيام ولا قعود فهو يخاطب الله تعالى بقوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ متابعاً للنبيّ ﷺ قال في تفسير القاضي في هذه الآية إشارة إلى حال العارف وانتقاله من حالة الغيب إلى الحضرة .

واستحق بمثل هذا الخطاب كما قال النبيّ ﷺ « الأنبياء والأولياء يصلُّون في قبورهم كما يصلُّون في بيوتهم » أي مشغولون بالله ومناجاته بحياة قلوبهم . انتهى اختصاراً .

ولقد أخبرنا ثقات أنّ امرأة مَنْسُوبَةً إلى طريقة شيخنا الحاج عبد الرحمن العسليّ قدس سره ماتت فوضعت امرأة على قلبها يدها فوجدت قلبها تتحرك ثم وضعت امرأة أخرى فوجدتها كذلك ثم وضع رجال آخرون[١] فوجدوا كذلك فغفر الله لها ولنا وأدخلنا وإيّاها في دار الجنان بفضله وكرمه آمين . فإذا وقعت المكالمة في حَقّ هذه المرأة لدى شيخنا العسليّ قدس سره استكتب منا من كتاب « مزكي النفوس » بما مُعَرَّبه هذا

مات في زمان رسول الله ﷺ رجلٌ من أهل الذكر فأراد أصحابه أن يغسلوه فقال عمر ﵁ أنا أغسله . وقال أنس ﵁ أنا أغسله وقال أبو الدرداء ﵁ أنا أغسله ثم قال عليه السلام إنه كان من أهل الذكر فيغسله أهل الذكر فأين سلمان الفارسي فقالوا إنه مشغول بالذكر في بيته فأرسل عليه السلام واحداً

(١) وفي « تنبيه السالكين » فوضع أخوها

لِيَدْعُوَهُ إليه فقال عليه السلام له « يا سلمان إن هذا الرجل من أهل الذكر وأنت من أهل الذكر فاغسله بحمله إلى الخلوة أنت من أهل التجريد وهو من أهل التجريد ويظهر لأهل الذكر من خوارق العادات وأنت تطلع عليه فاغسله في الخلوة لئلا يطّلع عليه غيرك » فحمله سلمان ﷺ إلى الخلوة وخلع منه لباسه وألقى على عورته منديله ثم مَدَّ يَدَهُ تحت المنديل إلى العورة ليغسلها فطرّد الميت المذكور يدَ سلمان من عورته فوقع سلمان على صدره باكياً متعجباً فوجد قلب الميت يذكر الله تعالى وإذا سمع ذلك بكى بكاء شديداً وتعجَّب عليه وقال كيف يتحرك الميت وكيف يذكر قلب الميت الله تعالى فحينئذ فتح الميت عَيْنه وقال يا سلمان هل يموت الكائنون مع الله فالذين حَيِيَتْ قلوبهم بذكر الله تموت أجسامهم ولا تموت قلوبهم وأنا لست بميت وحصل لقلبي حياة فتفرَّقْ منّي بعد تجهيزك إيّاي ثم إذا أخبر تلك الواقعة للنبيّ عليه السلام قال « المؤمنون لا يموتون بل ينقلون من دار الفناء إلى دار البقاء » . انتهى .

ومما يؤيّد هذا ما قاله الإمام اليافعي رحمه الله تعالى في « نشر المحاسن » من أن السيد الجليل العارف بالله نجم الدين الأصبهاني ﷺ طلع مع جماعة جنازة بعض الصالحين فلما جلس بعض الناس من أهل العلم يُلَقِّن الميت ضحك الشيخ نجم الدين ولم يكن الضحك عادته فَسُئِلَ عن ذلك فقال سمعت صاحب القبر يقول ألا تعجَبون من ميت يلقِّن حيّاً انتهى .

وقال الإمام السهروردي رحمه الله تعالى في « طفل المعان » فكما لا ينام القلب الحيّ فكذلك لا يموت كما قال النبيّ عليه السلام « تنام عيني ولا ينام قلبي » انتهى .

وقال فيه أيضاً فالواجب طلب الحياة القلبيّة الأخرويّة من أهل التلقين في الدنيا قبل فوت الوقت فإنّ الدنيا مزرعة الآخرة فإذا لم يزرع في هذه لم يحصد في الآخرة والمراد من المزرعة أرض الوجود لا آفاقي . انتهى راجعه في الفصل الثامن في بيان شروط الذكر .

واعلم يا أخي أنّ الداعي إلى إكثار الكلام في حق هذا المهمّ كثرة القيل والقال بين علماء الظاهر ووُجْداني إيّاهم يتكلّمون بما رأوْهم في الكتب ظانّين أنْ ليس فيها سواه .

فها أنا أطنبت الكلام وطولت النقول والمقال في حق ذلك بالتقرير والتحرير فعليهم أن يأخذوها من هذه الجَرَّة[1] الصافية الدُهْنَ الخالص بلا شائبة فالحمد لله ربّ العالمين .

ولا يخفى أنه لم يَصِلْ أحد إلى هذه المعارف الإلهية والأسرار الربانية إلا بالأعمال القلبية والعمل الذي يُتَوَسَّلُ به إلى النفائس فهو نفيس . فلعلّ هذه المنقولات من كتب الثقات الغير النقشبندية تكون عوناً لتحقيق ما يفعله السادة النقشبندية من اختيارهم الأذكار القلبية ولعلّ من يعترض عليهم من العلماء يتوب إلى الله إنه هو التواب الرحيم ولو لم يخرج عن إنكاره بعد ما تبيّن له الحق وظهر الأمر فلا كلام معه سوى أنْ يقال له سلام .

وأوّل ما يحصل لهم من نتيجة ذكر هذا الاسم المبارك (الله الله) بالقلب أن يصل القلب إلى حدّ لو تكلّف بإخطار غيره لا يخطر ولا يجوز أن ينتقل الذكر

---

(١) أي من اللبن الكائن في الجرة . (منه)

إلى ما فوقه مدة ما لم يحصل له هذه النتيجة وهذا أمر متحقق لا ينكره إلا من لا يجرّبه فوالله لو يعلم المنكرون ما عليه هؤلاء السادة النقشبندية لضاربوهم بالسيوف كيف لا وقد يرد عليهم من لذة أحوالهم ما لو قيل لهم اخرجوا من هذه الشغل لِتَدْخُلُوا الجنّة لا يخرجون ولله درّ القائل لو بِعْتُ لحظة من لَذَّة سَحَرٍ بملك قارون[1] في عمر نوح لكنتُ مغبوناً .

ولقد قال واحدٌ من مريدي شيخنا قدس سره إنِّي كنتُ لدى شيخي فطرأ عليَّ لذّة من غلبة الحال بحيث ينسى جميع اللذات بالنسبة إليها ثم قلت للشيخ هل يكون في الجنة لذة مثل هذه يا أستاذ فقال لي لو فتحت أبواب الجنان الثمانية ورأى جميع ما فيها من النعم لا تصل لذّة ذلك إلى هذه اللذة . انتهى . وهذه هي التي يسمونها (بالجنة المعجلة) رزقنا الله نصيباً منها ولا يُدرك كنهها إلاّ من ذاق وهلْ يعلم حلاوة العسل سوى من ذاق وكيف يظهر على السطوح غير مَنْ راق ولا يعرف ذا الفضل إلا من فاق وما بعد ظهور الشمس ضياء باق وقد ينكر الأعمى أنوار يوم برّاق ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ ﴾ لا يجد له واق .

فعلم مما ذكرناه أفضلية الطريقة النقشبندية وأفضلية أذكارها ولا شك أن مَنْ أنكرها وأنكر أهلها وتبدّل أذكارها بأذكار اختارها ومنع الناس عن الدخول في عهد أربابها فهو شيطان في زيِّ شيخ وذئبٌ من

---

(١) ومع هذا للنقشبندية مقام يعدون هذه اللذة المطلوبة من الشرك ولا يفهم حقيقته إلا من ذاق . (منه رحم الله إفلاسه)

الذئاب ولكن عليه ثياب وإن كان عالماً وعليه عباء . وهذا هو الذي حذَّر منه رسول الله ﷺ في قوله « أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان جاهل القلب »

وقد قسم العارفون الناس إلى أربعة رجال وهذا الذي ذكرناه هو أحدهم وأبعدهم من الله من حيث لا يشعر وهَرْوِلْ يا أخي ولا تقرب منه لئلا يخطفك بحلاوة لسانه ويحرقك بنار معاصيه التي ظنّ أنها حسنات ويقتلك بنتن قلبه الذي ملئ بحبّ الرياسات .

وفي بعض الآثار لا تقوم الساعة حتى تجلس الشياطين على الكراسي ويعظوا الناس والناس لا يشعرون أنّ ذلك الواعظ شيطان . انتهى من « المنن »

وقد لقيت واحداً منهم وصرّح بأنّ الدخول في الطريقة النقشبندية مما لا يجوز وأخبرني واحد من المعتقدين به أنه طلب منه الرخصة للدخول في عهد الشيخ النقشبنديّ فقال أنت إذاً على قصد شراء الكبريت الأخسّ بدل الذهب الإبريز .

وسمعت أيضاً هذا البعض المذكور يقول إن شيخه في زعمه كان يقول إنِّي أريد أنْ أقتل مريدي الذي ذهب لدى شيخ آخر غيري قبل أن أقتل سلداتاً كافراً . انتهى .

وقد قال هذا الكلام مراراً في مجمع من العلماء فتعجّبوا به ولعلّه افتراء محض على شيخه أو كان ذلك الشيخ على حدّ الاستقامة وكان غيره على نهج الابتداع والضلالة بمجرد التعصّب والدعوى ولذلك قال ذلك تهديداً

وترويعاً وتنفيراً وتحذيراً وإلا فلا مجال للشيخ أن يقول ذلك ولا أن يحجر على المريد وقد يجب على الشيخ المرشد أن يرى نفسه أقلّ من مريده وأعصى وأفسق منه بيد أنّه ينصحه امتثالاً للأمر الإلهي مع شهود أنّه أحسن منه حالاً وأكثر متشيخة هذا الزمان يهجرون مريدَهم إذا انتقل إلى شيخ آخر ويحطّون فيه ويقولون إنّه صار مرتدّاً ومن هذا حاله ما مشى على قواعد أهل الطريق ولا حول ولا قوة إلا بالله وما ألذّ ما قاله الشعراني في « المنن الكبرى » في ١٥٠ من الجزء الثاني وما أصدقه وما أحسنه ومما أنعم الله تعالى به عليّ شهودي كثرة غِشّي لأصحابي كلما كثروا لأني لو نصحتهم لَفَرُّوا منّي ولم يبق معي إلا القليل وهذا الخُلُقُ قلّ من ينتبه له من الفقراء بل ربّما يرى مقامه يعظم بكثرة المريدين والمعتقدين فليتفقد الفقير نفسه ولا يغترّ لانّه لولا مسامحته التلامذة بالإخلال بآداب الطريق ما كثروا حوله بل سمعتُ سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول **مَنْ خطر في باله أنّ إخوانه وتلامذته أدنى مَرْتبة منه عند الله وأنه أعرف منهم بالطريق فقد خرج عن الطريق وهم أحسن حالاً منه** أي من الشيخ لأنّهم لم يخطر لهم أبداً أنّه تلميذهم .

وسمعتُ سيدي الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول متى رأى الفقير أنّ له تلميذاً دُونَهُ في الدرجة فقد ادّعى الكِبْر والمتكبِّر عند الله لا يصلح أن يكون داعياً له فقلت له فما يُخَلِّصه من ذلك فقال أن ينصح أخاه مع شهوده أن أخاه أحسن حالاً منه وأكثر طاعة لله منه . انتهى .

وسمعته مراراً يقول من شرط الصادق **أن يرى غير جماعته بالعين التي يرى بها تلامذته على حدٍّ سواء** ومتى رجَّح نسبة تلامذته إليه على نسبة تلامذة غيره إليه فقد خرج من مراسم أهل الطريق . انتهى . وهذا الأمر لا يتنبّه له إلا قليل من الناس . انتهى .

ولقد وقع الكلام بيننا وبين واحد يدّعي أن شيخه هو النبي ﷺ بلا واسطة فتفحصت من حقيقة ذلك فقال إني رأيت النبيّ ﷺ في المنام ولقّنني وفي الحديث « من رآني في المنام فقد رآني » الحديث وحلف بالحلف المشدّد لدى مجمع من الناس بتأييد مشيخته بذلك الرؤيا فرددتُ كلامه بما في « مغني المحتاج » وغيره أن الحكم لا يثبت بالرؤيا وبما في « البريقة » لا مانع من أن يقول الشيطان أنا رسول الله . وبما مرّ قبيل الباب الخامس .

وقلت فما المقام الأوّل من المقامات التي شَرَطَ العارفون للأخذ عنه عليه السلام فقال هو المحبة والجذبة ثم رددت كلامه بدلائل ونصوص وبعد ذلك لم يجد له بدّاً إلا أن يقول لا يعمل بالكتب إلا العوام وأما أهل الكشف فإنما عملهم بما كشف لهم ويتركون المذاهب الأربعة فرددتُ مقالته هذا بنقول معتمدة فقال لا يكون الوليّ وليّاً إلا إن رأى الله سبحانه في كل ليلة وكلّمه ورأى اللوح المحفوظ فمن هذا حاله لا يحتاج إلى الكتب ولا إلى العمل بما فيها ولم يقبل كلامي وبعد ذلك أيّد مشيخته بكثرة الأتباع فقلت له لو كان الأمر في كثرة الأتباع لما سبق أحد في المشيخة من الشيطان فإنه ليس لغيره تابعٌ إلا واحداً من ألفٍ ثم قال ليس على وجه الأرض أحدٌ أحقّ منّي في

المشيخة وأقدم مني رُتْبة في الولاية وتكلّم بكلمات عجيبات ظاهرها يكفّر الرجل[١] والعياذ بالله . وأخبر مجاهدتَه من زمن صباه ومدح نفسه بكثرة الرياضات وشِدَّة الملازمة على الطاعات والزهد في الدنيا فلاَطَفْتُهُ بالكلام واعترف بأن لا شيخ له في الطريق سوى النبيّ عليه السلام إلى أنّه أخبر رؤياه المذكور للحاج محمد العبودي رحمه الله تعالى فقبّله واعتنقه بَيْدَ أنّه انتسب سلسلته إليه فكدت أن أبكي ندماً على ما حلّ به من هذه البلية العظمى بإيقاع الشيطان له في هذه الورطة الكبرى فكلّ من كان في ذلك المجمع من العلماء تيقنوا حقيقته وتبيَّنوا أنّه مدّع كذّاب وأبعاض آخرون من الجهال[٢] انتفخوا واستكبروا وفرحوا وافتخروا وبعض آخر من مريديه تدارك به اللطف الإلهي وتحقق بفطانته حقيقة حاله وقصد الانقطاع من دائرته وزاد شوقه للاتصال بذيل الشيخ جامع القطبتين ذي الجناحين العسلي قدس سره ثم بعد المفارقة من موضع المكالمة تكلّم هذا المدّعي بكلمات يحطّ بها سواه من مشائخ الديار ونسبهم إلى النقائص وعدَّ ما كنا نَرْتَكِبُهُ في حالة الشباب من المنكرات البَهْلَوَانيّة وظنّ أن الفضل الإلهي خاصّ بأمثاله المجتهدين لا نصيب منه لأحد لأمثالنا العاصين المقصِّرين وتكبّر علينا وعلى جميع مشائخ الطريقة بكثرة زهده وملازمة عبادته وصرّح ذلك في المجامع والمحافل رزقه الله الإنابة من هذه الجناية وهدانا وإياه إلى أحسن طريق بلطفه ومَنِّهِ إنه هو الجواد الكريم .

---

(١) وضعت في حق هذا البعض رسالة لطيفة ورددتُ فيها كلّ ما صدر منه من الشطحات وسميتها بـ« جهد المقل في ردّ شطحات المنكر المضل » فمن أراد إدراك الحق وتمييزه من الباطل فليقف عليها (منه رحم الله إفلاسه)

(٢) من المريدين .

قال الإمام البوصيري رحمه الله تعالى

صـاح لا تـأس إن ضعفت عـن الطا ـعة واسـتأثـرتْ بـهـا الأقـويـاء

إنّ لله رحـمـة وأحـق الـنـا س مـنـه بـالـرحمـة الضـعـفـاء

فابـق في العـرج عند مـنـقـلب الذو د ففي العـود تـسـبـق الـعـرجـاء

انتهى همزية

قال ابن حجر في « المنح المكية » في شرحه فكذلك تأخرك عن كثير من الطاعات ربّما أوجب لك سبق المكثر منها لأنّه قد يَصْحَبُك من الذل والافتقار والإخلاص ما يخلف تأخرك بخلاف المكثر قد يَصْحبه من العجب والافتخار ما يوجب تَأَخُّرَهُ . انتهى ٦٧٥

أخرج الطبراني عن معاوية بن حيدة عن النبيّ ﷺ أنه قال « إنّ الله عز وجلّ خلق مائة رحمة رحمة بين خلقه يتراحمون بها وادخر لأوليائه تسعة وتسعين »[1] . انتهى من « البدور السافرة » للسيوطي . والظاهر أنّ مراد الشارح بالرحمة المدّخرة العامة لمن ذكرهم هي الرحمة التي ذكرها في الحديث « بين خلقه » « حاشيةحفني على المنح » ٦٧٤

وفيه ومن مقام العارفين ما حُكي عن الإمام أبي محمّد النيسَابُورِي أنه دخل المسجد مرّة يعتكف في رَمَضان فرأى المتعبِّدين يجتهدون والقرَّاء يقرؤون فقطع الاعتكاف وخرج فقيل له في ذلك فقال لمّا رأيتُ تعظيمهم بعبادتهم واعتمادهم عليها دُونَ الله لم يسعني إلاّ الخروج خوفاً من نزول البلاء

(١) وفي كتاب آخر « إنّ الله عزّ وجلّ خلق مائة رحمة فمنها رحمة يتراحم بها الخلق فبها تعطف الوحوش على أولادها وأخّر تسعة وتسعون إلى يوم القيامة »

عليهم . انتهى ٦٧٥ وفي « المنح المكية » أيضاً فقد يُنتج القليل ما لا يُنْتِجُهُ الكثير بواسطة مزيد إخلاص وانكسار . انتهى من صحيفة ٢٧٦ راجعه .

قال الشعراني في « المنن الكبرى » في ١٧٧ من ج ٢ **وقد أجمع العارفون بالله تعالى على أن العبد ما دام يشهد نفسه فوق أحد من المسلمين فلا يصحّ له دُخُول حضرة الله تعالى أبداً لأنّها محرّمة على مَنْ فيه شيء من الكِبْرِ بإجماع** . انتهى .

وقال في « لواقح الأنوار القدسيّة » في ١٧٧ من شرط العمل الصالح أن لا يرى نفسه على أحد من خلق الله تعالى فمتى رأى له به فضلاً على أحد خرج عن كونه صالحاً . انتهى .

وفيه أيضاً الظهور يقطع الظهور ورُبّما استوفى من أظهرَ صلاحه في هذه الدار جزاء أعماله كلّها من كثرة الاعتقاد فيه وقضاء حوائجه وإرسال الهدايا له ونحو ذلك فيذهب إلى الآخرة صُفْرَ اليَدَيْنِ من الأعمال الصالحة . انتهى .

ولا يخفى على كل عالم أنّ الذنب قد يكون للعَبْدِ خيراً من طاعته لئلا يعجب بعمله ولو كان هذا العابد الزاهد المدّعي المذكور قد وقع في المعاصي لما ادّعى هذه الخلافة العظيمة بهذه الأكاذيب ولما جرّ الناس إلى جانبه بذكر هذه الأعاجيب فإنه سامحه الله تعالى لم يعرف أن صورة الطاعة قد تكون مَعْصِيَةً فأيّ معصية أكبر مما طرّد به إبليس عليه اللعنة عن باب الله تعالى بسببه كما هو مذكور في كلام الله عز وجلّ .

قال الشعراني في « لواقح الأنوار القدسية » في ٦٦ أخذ علينا العهد من رسول الله أن نُرَغِّبَ جميع أهل المعاصي في التوبة ونخبرهم بسعة رحمة الله لهم إذا تابوا وأنه لا يتعاظم عليه تعالى ذَنْبٌ أن يغفره ما عَدا الشرك ونلين لهم الكلام ونحسن إليهم كل الإحسان حتّى يحكوا ذلك لِرفقَتِهِمْ في المعاصي فلعلّ قلوبهم تلين بالتوبة وكذلك لا نؤيِّس أيضاً أن نخاطب التائبين بالألفاظ الحسنة المميلة لخاطرهم كلفظ السيادة ونراهم أطهرَ منّا قلباً لأنّهم قَريبُوا عَهْدٍ بتوبة وهي تجبّ ما قبلها من الذنوب بنصّ الحديث بخلافِنا فرُبَّما كان أحدُنا بعيدَ عهْدٍ بالوقوع في معصية أو كثير الطاعات المتوالية فيقول في نفسه بَعِيدٌ أن الله تعالى يُعذِّب مثلي وغاب عنه أنّه في تلك الحالة من أبْعَدِ الأبعَدِين عن حضرة الله عزّ وجلّ لعدم انكسار قلبه وأن الله يقول « أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي » أي من أجل مخالفتهم لأمري ودخول النقص في طاعاتهم فهم لا يَرَوْنَ لهم وَجْهاً عندي .

وسمعت سيدي عليّاً الخواص يقول إنما بَدَأَ الإمام القشيري في رسالته لمّا ذكر رجال الطريق بابن أدهم والفضيل بن عياض تقويةً لقلب المريدين لكَوْن ابن أدهم والفضيل سبق لهما زَمَنُ قَطِيعَةٍ فكأن الشيخ بذلك يقول إنّ مَنْ سبقت له العناية لا تضرّه الجناية حتى لا يستبعد المريد الذي سبق له زمن قطيعة بكثرة الفتح عليه من الله ومحو تلك الذنوب كلها . انتهى .

وسمعته مرة أخرى يقول كل من لم يذق من الفقراء مَرَارة القطيعة لا يَعْرف مقدار حلاوة الوِصال فكان من كمال حال الفقير الذي أراد الله أن

يُؤهّله لِتَرْبِيَةِ المريدين وإرشادهم وقوعه في بداية أمره ولو في نيَّة المخالفات وذلك لِيَصيرَ عنده حلمٌ على العُصات وصَبْرٌ على تقويم عوجهم وأيضاً أنّه بوقوعه في المعصية يَزُولُ عنه الإعجاب بعمله ويعرف سَعَة حلم الله عليه ويقوم بين يَدَيْهِ بالذلّ والإطراق والأدب الذي هو مَهْرُ دُخُول الحضرة الإلهية ولو أنّه لم يسبق له معصية لم يَعْرف ذلك وكان يسبق له مثل ما وقع في الإدلال على الله بعمله كما هو مُشاهد فيمن تربَّى على تورُّع وعَدَمِ ابتلائه بشيء من القاذُورات فتراه يرى الخلق كلّهم هالكين إلاّ هو هذا عَيْنُ الكبر الذي أدخل به المتكبرين النار .

ويؤيّد ذلك حديث العابد الذي عبد الله تعالى في جزيرة في البحر خمسمائة سنة وأن الله تعالى يقول له يوم القيامة ادْخل الجنّة برحمتي فيقول يا ربّ بل بعملي فيقول الله تعالى للملائكة قايسُوا بين عبادته الخمسمائة سنة وبين نِعْمَةِ البصر ففعَلُوا فرجحت نعمة البصر فأمر به إلى النار فقال يا ربّ أدْخِلْني برَحْمَتِكَ فأدخله .

وسمعت أخي أفضل الدين يقول حكم المعاصي حكم الزبل الذي يوضع في أرض شجر الفواكه فيحلّيها ويطيب طُعْمها أو كحكم الأنفحة للبنٍ فإنه مع حلاوته وطيب طُعْمه يحتاج إلى الأنفحة المنتنة الخبيثة الطعم لِتُثْبته وتصونَه عن الفساد . فعلى العاقل أن يتفكَّر في حكم مصنوعاتِ الله تعالى عزّ وجلّ ويعطي كلّ فعْل حَقَّه على الميزان الشرعي .

وقد مكث شخصٌ من أهل الجدال في سُوق أمير الجيوش في حانوتٍ فصار يُنْكر على أهل السوق من تُجَّار ودلاَّلين ويحكم ببُطلان بَيْعهم وشرائهم بأشياء لم ترد صريحة في الشريعة ممّا يخفى على كثير من الناس فشَكَوْا ذلك لي بحَضْرة أخي أفضل الدين فقلت لهم إن شاء الله أُكَلِّمه لكم فقال أخي أفضل الدين الكلام لا يُؤَثِّر في مثل هذا إنما يؤثر فيه صدمَةٌ إلهيّة ففي تلك الليلة وجدوه مع جارية جاره فقبضوا عليه بالوالي وأرادوا يَجْرسونه[1] بها وهي راكبة على ظهره فاجتمع عليه التجَّار والدلاّلون وشفعوا وخلَّصوه بعد علقة شديدة وغرامة فلوس فمن ذلك اليوم سكت عن الإنكار وصار هو يطلب منهم السكوت عنه فقال سيدي أفضل الدين **وعزَّة ربّي هذه الذلّة أنفع له من عبادته التي كان يتكبّر بها على الناس .**

فإياك يا أخي وتَنْفير مَنْ تاب من العصاة بكلامك الجافي وعدم إحسانك إليهم فإنّ إبليس ربّما قال لهم أيّ فائدة لكم في صُحْبة هؤلاء الفقهاء وتَرَكْتُمْ أصحابَكُمْ الذين كانوا يحبّونكم ويسترون عليكم زلاَّتكم وجئتم إلى مَنْ يحتقركم ويزدريكم ويكشف عَوْراتكم ويجيء لكم بحيلة الوالي فإذا صَغَوْا إلى كلام إبليس طَلَبُوا الرجوعَ إلى حالتهم الأولى ضرورة فَرِغِّبْ يا أخي مَنْ تاب من إخوانك في التوبة كلّ الترغيب وأحْسِنْ إليه كلّ الإحسان واذكُرْ له ما وَرَدَ في قبول التوبة من الآيات والأخبار تَكُنْ حكيم الزمان . والله يتولّى هداك . انتهى .

---

(١) أي يفتضحون .

ولقد طَوى هذا العارف الشعْراني قدس سره في هذه العبارات عدَّة منافع فعلى المتفطِّن البصير أنْ يتدبَّر بما فيها كلّ التدبُّر ولا يأمَنَ من مكر الله ولو كان على عبادة الثقلين ولا ييأس من رحمته ولو بلغت الذنوبُ عنان السماء فالحمد لله ربّ العالمين .

وسمعت شيْخَنا العالم الرباني والعارف الصمداني الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره يوصي مُريديه بالدعاء له بل رأيتُهُ يقبّل على يد بعض مريديه وكان قدس سره يقوم دائماً إذا جاء لديه مريدُه وكانت عادته أن يُشَيِّعه قليلاً حين يرجع مِنْ لَدُنْهُ وكان يخدم بنفسه وهذه الأخلاق المرضيّة تشعر بأنّ صاحبَها يرى نفسه في نظره أقلّ من مريده . فجزاه الله عنّا وعن أهلنا خَيْرَ الجزاء ورزقه العافية إلى يوم اللقاء آمين .

وقد سمعته رضي الله عنه **يُصرِّح بأنّه يكون خائفاً من أن يكون من الذين يأمرون الناس بالبرّ ويَنْسَوْنَ أنفسهم** كان يقرأ قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ وقوله ﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ ﴾ وقوله تعالى لداوود عليه السلام « عظ نفسك فإن اتعظت وإلا فاستحي مني » وقراءة هذه تشعر ما رسخ في قلبه من رؤية حقارة نفسه وعظمة خوفه من مولاه .

وسمعته رضي الله عنه يقول لو أكبّ جميع الناس على عُتْبَتِي أو رجع جميع مَنْ في دائرتي إلى شيخ آخر لا أبالي بهما ولا أتأثر . فالعياذ بالله من التفرقة بينهما . انتهى .

وسمعته ﷺ يقول الأنانية هي التي تمنع الرجل من الارتقاء إلى المقامات ويسقط بها من الأحوالات . انتهى .

وأخبرني واحد من أخصِّ أصحابه أنه قال له إنّي أريد لو كنت مريداً والمريدون يريدون أن يكونوا شيوخاً .

وكان ﷺ يُهَدِّدنا بالإشارة من طلب المريدين وطلب الشهرة ولم أسمعْ منه قطّ ولو كلمة واحدة فيها رائحة كبر وإعجاب بل كان سُدَاهُ ولحمتُهُ تواضع وخشوع وله مريدون علومهم كالجبال الشامخات ومعارفهم كالأمطار الجاريات وأنا لم أسمَعْهُ يذكرهم ولو مرة بل إنما عَرَفْتهم من جهة أنفسهم . رزقه الله التوفيق للتخلّق بأمثال هذه المحامد يوماً فيوماً آمين . ولا هكذا[1] أحوال أهل الدعوى من رجال هذا الورى في عصرنا هذا .

ولقد لقيتُ واحداً منهم فسمعْتُهُ يقول إنّ من مريديه مَنْ يجتمع مع الخضر عليه السلام ومنهم مَنْ يرى بعينيه النبي ﷺ ومنهم مَن يذكر الله تعالى ستين ألف مرّة في الملوين . انتهى .

وسمعته يقول إنه شيخ ديار كذا وكذا وإقليم كذا أي قال ذلك على قَصْد المَدْحِ والثناء ظانّاً منه أنهم بذلك القول يعتقدونه .

وسمعته يقول إنّ له إذناً من طرف أربعة مشائخ ومع ذلك قد وَجَدْته عند التجربة لم يضع قدماً واحداً في موضع الإرادة فضلاً عن موضع المشيخة

(١) أي كقواعد أهل الطريق . (منه)

حتى أنّي وجدته لا يعرف مواضع اللطائف وما هي وما كيفية جريان الأذكار بها مع أنّه يدّعي أنّه شيخ نقشبندي وقد أقْبَلَ إلَيَّ إقبالاً أكيداً وطلب منّي أن أكونَ مريداً له فلاطفته بالقول وألَنْتُ له الكلام لأسارق أحواله تدريجاً وأقرَّني آخراً أنه لا يعلم قواعد النقشبندية وآل أمرُهُ إلى أن يَرْجع إلى العتبة العليّة صاحب المعارف السنية سيّدي الحاج عبد الرحمن العسليّ قدس سره ووعدني بذلك والله أعلم بحقيقة ما سيقع في حقِّه غفر الله لنا وله وسامحنا وإيّاه بجاه نبيّه عليه أفضل الصلاة وأزكى التحيّات آمين . فكم وكم مرَّاتٍ طَرَّدوا الناس عن أبواب الصادقين وكم وكم بليّة أفشَوْا في هذا الورى في حقّ هذا الدين السليم فوالله إنّهم ألفَوا أمثالهم مكبّين على هذه المفاسد ظانّين أنهم هادُونَ مهتدون وهم على آثارهم مقتدون يعتقدون أنهم إلى ربّهم يرشدون . كلاّ وكلاّ بل إنهم ليصدّونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون عافاهم الله أنّى يؤفكون .

وزعم بعضهم أنّهم من السادات القادرية لمّا عجزوا عن فهم اصْطلاحات السادات النقشبندية ويفعلون أموراً لم يرد بها نصٌّ ولا حديث حاشا عن صدورها من السادات وما ذلك إلا بمجرّد جَلْبِ ما عند الناس من هذه الفانية ولا يَدْرون أنّ ذلك أشدّ من قبضة النار وخَرَط القتاد دونه ويكثرون بهذه المموهات سوادَهم ويزعمون أنهم على شيء وأنّهم إلى الله راشدون . وزعم بعضهم أنّهم أويْسيّون لما عجزوا عن الجواب إذا سئلوا من أين أخذوا الطريقة وإلى أيّ شيخ انتسبوا مع أنّهم لا يدرون معنى الأويسيّة وكيف التلقّي مع الروحانيّة وبأيّ شيء صَدَّرُوا طريقتَهم من الروحانية فما مَبْدَأ طريقتهم وما

منتهاها ومتى يستحق للإذن والتصرف وما اصطلاح الروحانيّين في تلقينهم الطريقة ولازم أن يكون التلقين مُرْتَبِطاً بالنبيّ ﷺ فإن كنت في شكٍّ ممّا قلناه فاسألهم عن هذه الأشياء وجَرِّبْهم ليطمئنّ قلبك بمَعْرفة ما عندهم فلعلّهم لا يدرون عن أيّ شيء يجيبون بل إنّهم لا يكادون يفقهون قولاً وهم عن أمر ربّهم معرضون وإنّهم في رَيْبهم يتردّدون وبالمَجْهول يعملون وفي غفلتهم يَعْمهون وعن دخول الناس في طريق الله يطردون فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وورد إليّ من طرف أخينا العالم الرباني مير سيف الله الحسيني الغازي الغموقي النژبكري النقشبنديّ مكتوبٌ وكان فيه هذه العبارات ثم اعلم يا أخي في الدين ومُوَاخى في طلب اليقين أوصيكم عن المخالطة مع هذه الطائفة يعني المتشيّخين بنفوسهم بالدعوى وأحذّركم منهم لِمَا أنّ أكثر الفتن في هذا الزمان في الدين والدنيا منهم وثُلْمَة الإسلام بهم والجهلاء يتمايلون معهم تمايل الغصن والنفس أمّارة لا تتبع إلا المنكر المخالف للدين وإيّاك والمجادلة معهم والاستماع لخزَعْبلاتهم والوثوق لأحد في حقّهم والقرب معهم والنصيحة لهم فإنهم لا يُطِيُعون لأحد ولو أوحي إليهم من ربّهم إلى آخر ما قال قدس سره .

ولقد صعد[1] واحدٌ منهم على منبر ووعظ الناس وقال في أثناء وعظه لا يجوز أخذ الطريقة ومع ذلك علّم هو الأذكار ولقّن الأوراد لمن جاء لديه في تلك القرية بما اختار في رأيه وتشيّخ على الناس وصار في اعتقادهم كالقطب

---

(١) وهو الذي مرّ ذكره وأيّد شيخوخته بكثرة الأتباع ورؤية النبيّ عليه السلام في المنام . (منه)

لكنّ المتدبر[١] العاقل علم بالنظر إلى مخالفة قوله أن ذلك الواعظ ليس شيخاً بل هو متشيّخ متصنع .

وقد أخبرني بعض العلماء ممّن أَثِقُ به رحمه الله تعالى أنّ واحداً من مريدي هذا المتشيخ المذكور حلف بطلاق زوجته طلاقاً بائناً أنّ ما يفعَلُهُ شيخنا العسليّ قدس سره من تلقين أذكار الطريقة النقشبندية وما يفعله مريدوه من الامتثال بما أمرهم به فهو مما لا يجوز .

وهكذا كان واحدٌ ممن يتشيّخون قال لواحد من العلماء افعل كذا وكذا ورداً واقرأ سورة الإخلاص كذا وكذا مرة من غير أن يطلب ذلك العالم منه وكان من المتفطنين العارفين أحوال المشائخ وأوراد طريقتهم فلذا لم يمتثل بما أمره هذا المتشيّخ ثم بعد زمان أخذ الطريقة النقشبندية من واحد من المأذونين وفعل الرابطة إلى الغوث الأعظم محمود الفعال قدّس سره فتكلّم ذلك المتشيّخ خلف هذا العالم بكلام جاف توبيخاً له وعتاباً في مجمع من الناس ثمّ بعد ذلك أرسل إليه مكتوباً يصرّح بأنّ ذلك العالم صار[٢] من المجرمين يعني لمجرد دخوله في تلك الطريقة وقد رأيت ذلك المكتوب بعيني رأسي وسلمته إلى يد العلماء الربانيّين فتعجّبوا به وبكاتبه وحكموا بالنظر إلى جميع ما فيها من الكلمات التي كالأعاجيب بأن ليس ذلك الكاتب من أهل الذوق والوجدان غفر الله له ولنا آمين .

---

(١) أي من آحاد أهل تلك القرية . (هامش الأصل)

(٢) وسبب ذلك أن هذا البعض كان يظن أن ذلك العالم المذكور صار من مريديه وأنه يمتثل بما أمر به (منه)

ولا يخفى أنْ ليس هذه من أحوال أهل الطريق وأخلاق أرباب التحقيق عصمنا الله تعالى من أمثال ذلك بمنّه وكرمه .

ولو لم يكن فيما فعلوا إلا طرد الناس عن أخذ الطريق الحق عن الكاملين المكملين لكان الأمر عليهم سهلاً ولكن تلقينهم الذكر المختار في رأيهم خلاف ما ورد عن رسول الله ﷺ ووصل عنه إلى المشائخ معنعناً مسلسلاً لمجرد جلب الناس إلى جوانبهم طمعاً بما في أيديهم أو حبّاً لاشتهارهم بينهم فذا أشدّ وأبغض وبذلك الذكر يهلك المنتسبون إليهم من حيث لا يشعرون ولا تحصل لهم النتيجة ولا يصلون ويتعدّى إليهم جميع ما في بواطنهم من المذمومات لأنّ للصحبة تأثيراً عظيماً والأحوال سارية والطبيعة سارقة ولا يتدبرون ما يترتّب على ما فعلوا بل يظنّون أنهم على إحياء الطريقة قائمون وعلى انتشار الدين مجتهدون حاشا ذلك وكلا فسيعلمون أيّ منقلب ينقلبون ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ .



الباب الخامس عشر
في بيان النقل الصريح من كتب أهل التحقيق
لإهلاك الذكر[١] الملقن المأخوذ من غير أهل التلقين من يذكر به

قال الشعراني في كتاب « الجواهر والدرر » وقد وقع أن الشيطان قال لعيسى عليه السلام مرة يا عيسى قل لا إله إلا الله فقال عيسى عليه السلام أقولها لا لقولك لا إله إلا الله فرجع الشيطان خائباً .

وإنّما قال لا لقولك لعلمه عليه السلام أن الشيطان ليس غرضه إلا أن يجهل الخلق الخواطر الربانية ويأخذوا منه . انتهى . ومثله في « خزانة العلوم » فافهم منه وتدبّره .

وقال نجم العرفان الحافظ سيد أحمد بن المبارك عن قطب الواصلين سيدي عبد العزيز الدباغ رزقنا الله تعالى من معارفهما نصيباً في كتاب « الإبريز »[٢] وسمعته ﷺ يتكلم على أسمائه تعالى وعلى الذين يذكرونها في أورادهم فقال ﷺ إن أخذوها عن شيخ عارف لم تضرّهم وإن أخذوها عن غير عارف ضرّتهم فقلت فما السبب في ذلك فقال ﷺ الأسماء الحسنى لها أنوار من أنوار الحق سبحانه وتعالى فإذا أردت أن تذكر الاسم فإن كان مع الاسم نوره وأنت تذكره لم يضرّه وإن لم يكن مع الاسم نوره الذي يحجب

---

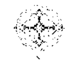
(١) إضافة إلى الفاعل .

(٢) وهو كتاب نفيس لم أرى إلى الآن مثله فلله درّ مؤلّفه

العبد من الشيطان حضر الشيطان وتسبّب في ضرر العبد والشيخ إذا كان عارفاً وهو في حضرة الحق دائماً وإذا أراد أن يعطي اسماً من أسماء الله الحسنى لمريده أعطاه ذلك النور الذي يحجبه فيذكره المريد ولا يضره ثم إنّ النفع به على النية التي أعطاه الشيخ ذلك الاسم بها فإن أعطاه بنيّة إدراك الدنيا أدركها أو بنيّة إدراك الآخرة أدركها أو بنيّة معرفة الله تعالى أدركها .

وأما إن كان الشيخ الذي يلقِّن الاسم محجوباً فإنّه يعطي مريدَهُ مجرّد الاسم من غير نور حاجب فيهلك المريد نسأل الله السلامة . **فقلت** فالقرآن العزيز فيه الأسماء الحسنى وحملتُهُ يَتْلُونه ويتلون الأسماء الحسنى التي فيه دائماً ولا تضرّهم فما السبب في ذلك مع أنهم لا يأخذونها من شيخ عارف فقال ﵁ سيّدنا ونبيّنا ومولانا محمد ﷺ أرْسَلَهُ الله بالقرآن لكلّ من بلغه القرآن من زمانه ﷺ إلى يوم القيامة فكلّ تالٍ للقرآن فشيخه فيه هو النبيّ ﷺ فهذا سبب حجب حملة القرآن نفعنا الله بهم ثم هو ﷺ لم يعط لأمّته الشريفة القرآن إلا بقدر ما يطيقونه ويَعْرفونه من الأمور الظاهرة التي يفهمونها ولم يعطهم القرآن بجميع أسراره وأنواره وأنوار الأسماء التي فيه ولو كان أعطاهم ذلك بأنواره لما عصى أحدٌ من أمّته الشريفة ولكانوا كلّهم أقطاباً ولما تضرّر أحدٌ بالأسماء قطّ . انتهى .

وفي « ترصيع الجواهر » إنّ السلوك في الطريق لا يكون إلا بواسطة الذكر وهو لا يفيد إفادة تامّة إلا إذا أخذه من تلقين مرشد كامل لسرٍ في التلقين يعرفه أهله ولعله هو الذي أشار إليه في « الذهب الإبريز » من أنّه يُعْطي



الاسم بنوره فيعمل في تنوير القلب عمله وإذا كان الاسم خالياً عن النور لا يكون له ذلك التأثير حتى أنّه إذا وقع قرطاس عليه اسم الله تعالى على الأرض سارعت الملائكة لأخذ النور الذي فيه ولو لا ذلك لهلك من وطأ عليه في الحال . انتهى[1] في ١١

(١) وفي نسخة زيادة في هذا المكان فليتدبره فليستنبط منه والله وليّ التوفيق وهو يتولّى الصالحين .



الباب السادس عشر
في بيان جواز الذكر بلا انتساب إلى شيخ مرشد
وبيان أن شرط الذكر النافع أخذه من أهله

قال صاحب « المجالس الإرشادية » من المجلس السادس والخمسين فإن قيل هل يجوز الذكر بلا إذن ولا انتساب إلى الشيخ **قلنا** الأفضل الإذن والانتساب إلى شيخ مرشد إن وجد وإذا لم يوجدْ فجائز . انتهى . المعنى في هذا ما مرّ آنفاً أنّ كلّ تال للقرآن فشيخه فيه هو النبي عليه السلام فافهم .

وفي شرح « تائيّة السلوك » **أن شرط الذكر النافع المفيد أن يأخذه المريدون من أهل الذكر كما أخذته الصحابة رضي الله عنهم من رسول الله ﷺ ولقّن الصحابة التابعين ولقّن التابعون المشائخ شيخاً بعد شيخ إلى عصرنا هذا وإلى أن تقوم الساعة** . انتهى . وهكذا في « المتممات » و« النور الساطع »

وفي « جامع الأصول الأوليآء » أنّ الذكر لا يفيد فائدة تامّة إلا بالتلقين والإذن بل جعله الأكثر شرطاً . انتهى .

ولا تحصل تصفية القلب بالأذكار السلوكية إلا إذا تلقَّنها من شيخ عارف . انتهى راجع « المتممات »

وفي « الفتاوى العمرية » إن قلت هل يمكن الذكر والفكر بلا اتخاذ شيخ واستاذ قلت نعم يمكن إن تعلّمت آدابه وأركانه وأصوله ولكن لا تقطع المسافة الروحانية كمثل مُرْكَب الرحى يظنّ أنه قطع بسيره ومروره مسافة كثيرة مع أنه يدور دائماً حول دائرة الرحى وعيناه مستورتان فبركة اليد الصحيحة كثيرة ونفع صاحب النسبة وفيرة . انتهى .

وفي « تعريف الأحياء بفضائل الإحياء » وكما أنّ الله تعالى جعل لعباده الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون رُتْبة فوق غيرهم كذلك جعل لِمَا يبرز منهم ويؤخذ عنهم بركة زائدة على غيره لأنّ ألسنتهم كريمة وأنوار قلوبهم عظيمة وهممهم عليّة وإشاراتهم سَنيّة حتى يكون للقرآن أثرٌ عظيم عند سماعه منهم وللأحاديث بهجة وحَلاوة وللمواعيظ منهم تأثير في القلوب ظاهر ولعلومهم وفقههم أنوارٌ ونفع متظاهر . انتهى في ١١

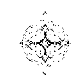
وقال العلامة الشيخ محمد بن يحيى التادفي الحنبلي رحمه الله في « قلائد الجواهر » قال سيدنا الشيخ عبد القادر ﷺ إن الإنسان إذا لم يكن تلقّن الذكر الشريف الذي هو التوحيد من شيخ مرشد له نسبة متّصلة بالنبي عليه السلام وإلا فبعيدٌ أن يستحضره عند الحاجة إليه في وقت مصيبة الموت . ولهذا كان الشيخ ﷺ كثيراً ما ينشد

مليحة التكرار والتثنّي لا تغفلين في الوداع عنّي

وقال علي ﵁ هذه الأبيات

إذ المَرْءُ ربّـــى نـفـســـه بـمُـــرَاده ... لــقـــد شــاد بُنْيـــاناً على غير أسِّه
ومـــن لـــم تربّه الـرجـــال وتُسْقِـهِ ... لـبـانـــاً لـــهم قَدْ درّ من ثدي قدسـه
فذاك لقيـــط مـا لـــه نسبة الـــورى ... ولـــن يـتـعــدّى غـيـــر أبناء جنسه
إذ المـرءُ لم يرتـد رداء من التُـــقـــى ... عـلـــى يـد أسـتـــاذ خـبـيـر بـنفسه
يُريـــه رعـــونـــات النفوس وكيدهـا ... ويشهده المحجوب عـنـــه بـحـــسّه
ولم يك مجذوباً عـلـــى يـــد قـــدرة ... وتـحـفـــظه الألطـاف من غير لُبْسـه
ويَبْدو له المكنون مـــن سرّ كَـوْنـــه ... وتجلّـى له الكأسـات في حال أنسـه
ويحســن منه الخَلق والخُلْق والحجى ... ويـــثـمـــر مـعـنـــاه بـــإنباع غرسه
فـذاك لعمري ناقـص الحظِّ عـاجـــز ... يـريـــد ســبيلاً وهـو يـــأتي بعكسه
أقل مبادي القـــوم أن يـــك هـكـــذا ... ومَـــنْ جـــاء بـالـــبهتان راح بجنسه

انتهى



الباب السابع عشر

في بيان أن الأخذ من الناقص مضر للآخذ والناقص كليهما وفي ذكر المواعيد المأثورة من السلف لمن جلس في مقام المشيخة بالدعوى وفي بيان من يصلح للإرشاد ومن لا يصلح له

ولقد علم أنّهم أجمعوا على وجوب اتخاذ الإنسان شيخاً يرشده[١] حتى قال الإمام الأوحدي محمد علي الچوخي رحمه الله في « الفتاوى » مجيباً لمن سأله .

أقول والذي نفعله هو اتخاذ شيخ مرشد لنا إن ظفرنا به ولو بالسفر إليه بصرف ما يجب صرفه في سفر الحج فراجعه .

وفي وصايا الشعراني فاطلب لك شيخاً يرشدك ولو كان بينه وبينك بعد المشرقين . انتهى من « المواهب البريقة » لكن يجب أن يكون ذلك الشيخ المرشد مأذوناً بالإذن الصريح من قبل شيخه الكامل بأن يرشد ويلقن على شروط ما كان عليه السلف رضي الله عنهم أجمعين . ولا يجوز أن يتصدّر لمن لا استناد له إلى السلسلة العليّة لما قيل الإسناد من الدين ولو لا الإسناد لقال من شاء ما شاء والإسناد سلاح المؤمن والإسناد سنّة من السلف . قاله أحمد بن حنبل انتهى من « الفتاوى العمرية »

وأخذ الطريق من الناقص مضرٌّ للطالب كما قال الإمام الرباني مجدّد

---

(١) وفي نسخة وقال الشعراني وقد أجمع أهل الطريق . .الخ .

الألف الثاني قدس سره ويضرّ الناقص لأنّه قال[١] في « تصديق المعارف » في تفسير قوله تعالى ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ من سورة يوسف ولو كان الشيخ والعياذ بالله غير مأذون يكتسب من المريد أوصافاً ذميمة من غير أن ينتقص من المريد شيء من أوصافه الذميمة ويسلب أوصافه الشريفة ويقدّمها إلى الضياع والتلاشي وهذا مجرّب . انتهى .

وقال في « روح البيان » إنّ من لم تتصل نسبه المعنويّ بواحد من أهل النفس الرحمنيّ وادّعى لنفسه الكمال والتكميل فهو زانٍ في الحقيقة ومن هو تحت تربيته هالكٌ لأنّه ولد الزنا .

وربّما يكره بعض أهل الطلب على التردّد لباب أهل الدعوى ويصرفه عن أهل الحق عناداً وغرضاً ومرضاً واتباعاً لهواه فهو إنما يُكْرِهه على الزنا لأنّه بملازمة باب أهل الباطل يصير المرءُ هالكاً كولد الزنا إذ يفسد استعداده فساد البيضة نسأل الله تعالى أن يحفظنا من مكر الماكرين . انتهى كلام « روح البيان »

وفيه أيضاً في سورة الفرقان وفي الآية إشارة إلى الأصنام المعنويّة وهم المشائخ المدّعون والدجالة المتصنعون فإنّهم ليسوا بقادرين على إحياء القلوب وإماتة النفوس فالتابعون لهم في حكم عابد الأوثان فليحذر العاقل من اتخاذ أهل الأهواء متبوعاً فإنّ الموت الأكبر الذي هو الجهل إنما يزول بالحياة الأشرف الذي هو العلم فإن كان للعبد مدخلٌ في إفادة الخلق بالعلم

---

(١) وفي نسخة لما في « تصديق المعارف »

النافع ودعائهم إلى الله تعالى على بصيرة فهو الذي يُرْقي غَيْرَهُ من الجهل إلى المعرفة وأنشأه نشأة أخرى وأحياه حياة طيبّة بإذن الله تعالى وهم رتبة الأنبياء[١]

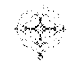
وفيه أيضاً في سورة آل عمران قال الشيخ الصفيّ قدس سره إن الذين يدّعون المعرفة وتمكينهم في مقام الإرشاد ويراؤون جلباً لحطام الدنيا عذابهم أشد من عذاب النساء الزانيات ولدْنَ أولاداً من الزنا مع وجود أزواجهن وأولادهنّ سبعين مرّة . فلو نظرت إلى شيوخ الزمان وجدت أكثرهم مدّعين ما لم يتحقّقوا به يضلّون الناس بأكاذيب ويرون أساليب ليس فيها أثر المعاني والحقيقة فعلى العاقل أن لا يغترّ بظاهرهم ولا يخرج عن المنهاج مقتفياً بآثارهم بل يجتهد إلى أن يميز بين الحق والباطل والعارف والجاهل عصمنا الله تعالى وإياكم من الزيغ وسيئات الأعمال . انتهى كلام « روح البيان »

وفي مكتوبات محمود الفعال أفندي وقال في « عوارف المعارف » في فصل شرح رتبة المشيخة إن الصالحين والسالكين ينقسم على أربعة أقسام سالك ومجذوب وسالك متدارك بالجذبة ومجذوب متدارك بالسلوك **فالسالك المجرد لا يؤهَّل للمشيخة** ولا يبلغها لبقاء صفة نفسه عليه فيقف عند حظِّه من رحمة الله تعالى عليه في مقام المعاملة والرياضة **والمجذوب المجرّد من غير سلوك لا يؤهّل للمشيخة** فيقف عند حظّه من رحمة الله

(١) وفي نسخة وهم رتبة الأنبياء ومَنْ يَرِثُهُمْ من العلماء العاملين . انتهى

تعالى **والسالك الذي هو متدارك بالجذبة يؤهّل للمشيخة** لأنّه أخذ في طريق المحبّين في حال من أحوال المقربين بعد ما دخل من طريق أعمال الأبرار والصالحين ويمكن للأتباع أن ينقل منه إليهم علوم ويظهر بطريقته بركة ولكن قد يكون محبوساً في حاله محكماً حاله فيه لا يطلق من وثاق الحال ولا يبلغ كمال النوال يقف عند حظّه وهو حظٌّ وافر وأمر ثنيٌّ قول الله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾

ولكنّ المقام الأبلغ الأكمل في المشيخة القسم الرابع **وهو المجذوب المتدارك بالسلوك** يبادئُهُ الحق بالكشوف وأنوار اليقين ويرفع عن قلبه الحجب ويستنير بأنوار المشاهدة وينشرح صدره وينفسح ويتجافى عن دار الغرور وينسب إلى دار الخلود ويرتوي من بحر الحال ويتخلّص من الأغلال والأعلال ثم يفيض من باطنه على ظاهره وتجري عليه صورة المجاهدة والمعاملة من غير مكابدة وعناء بل بلذة وهناء ويكسو قالبه بصفة قلبه لامتلاء قلبه بحبِّ ربّه ويلين جلده كما لان قلبه وعلامة لين جلده إجابة قالبه للعمل كإجابة قلبه فيريده الله تعالى إرادةً خاصة ويرزقه محبّةً خاصّةً من محبّة المحبوبين المرادين قال الله تعالى ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أخبر أنّ الجلود تلين كما أنّ القلوب تلين ولا يكون هذا إلا حال المحبوب المراد . انتهى كلام « المعارف » بأدنى اختصار .



لكنّ الكلام والحكمة مملوّ فيها لأنّ شيخنا وسيدنا ممّن وافق اسمه مسماه[1] وهو أعلم في هذا الباب جوّز جلوس السالك الغير المجذوب في مقام المشيخة وتربية المريد بإذن شيخه المعتبر إذناً صحيحاً في اليقظة بأنّ يدَه يد شيخه . انتهى كلام المكتوبات .

وقال الإمام المعصوم في مكتوباته ما حاصله حرّر أنّ من أذن شيخه له في واقعة لتلقين الذكر وتربية المريدين وأرواح السادات الماضية ظاهرون حاضرون هل يجوز لهذا الشخص اعتماداً على هذا تلقين الذكر وتربية المريدين **فالجواب** إنّ الإجازة لتعليم الطريقة أمر عظيم لا تثبت بالواقعة ولا يجوز الاعتماد عليه إلا أن يكون الإذن في اليقظة من شيخ معتبر مأذون إذناً صحيحاً . انتهى .

(١) وهو مولانا محمود الفعال ﷺ

الباب الثامن عشر
في بيان السبب لعدم اعتقاد الناس في الشيخ الكامل ولاعتقادهم في المتشيخ الناقص

وفي بيان كون الأمور كلّها تابعة لاعتقاد المريدين لا للمشائخ ولو كانوا من أقرب المقربين فلقد وجدنا هذا الخلق لا يفرّقون بين المحقِّ والمبطل وبين الصالح للإرشاد وغيره بل وجدنا أكثرهم يميلون إلى جوانب أهل الدعوى[1] ويأخذون منهم ما لا أصل له في طريقة ما من الطرق ولا يقربون إلى أبواب أرباب الكمال والتكميل زاعمين أنهم ليسوا بمقام مريدٍ من مريدي أشياخهم في زعمهم .

وأظنّ والله أعلم أنّ سبب ذلك كون الكامل كصورة العوام لا يتميّز منهم ولو بشيء من الأعمال والأقوال وهذا[2] حاله في الظاهر لأنّ نهاية كل عارف ترجع إلى صورة بدايته . كذا في « المنن »

وقد يتلوّن الشيخ بحسب الجالسين معه .

وفي « الذهب الإبريز » إن الوليّ الكامل يتلوّن على قلوب القاصدين ونيّاتهم فمن صفتْ نيّته رآه في عين الكمال وظهر له منه الخوارق ومن

---

(١) ومن أراد أن يدرك معنى هذا الكلام فعليه الرجوع إلى « لطائف المنن » من صحيفة ٢٣ من الجزء الأول . (منه رحم الله إفلاسه)

(٢) أي كونه كصورة العوام . (هامش الأصل)

خَبُثَتْ نيَّته كان على الضدّ من ذلك وفي الحقيقة ما ظهر لكلّ واحد إلا ما في باطنه من حسن وقبح والوليُّ بمنزلة المرآة التي تتجلّى فيها الصور الحسنة والصور القبيحة فمن ظهر له من وليّ كمالٌ ودلالة على الله فليحمد الله تبارك وتعالى ومن ظهر له غير ذلك فليراجع على نفسه .

قال ﵁ وإذا أراد الله شقاوة قوم وعدم انتفاعهم بالوليّ سخَّرهم الحقُّ فيما هم فيه من قبح ومخالفة فيظنُّون أنه على شاكلتهم وليس كذلك حتّى أنّه يتصوّر في طور الولاية أن يقعد الولي مع قوم يشربون الخمر وهو يشرب معهم فيظنّون أنّه شارب الخمر وإنّما تصوَّرت روحه في صورة من الصور وأظهرت ما ظهرت وفي الحقيقة لا شيء وإنّما هو ظلّ ذاته تتحرّك فيما تحرَّكوا فيه مثل الصورة التي تظهر في المرآة فإنك إذا أخذت في الكلام تكلَّمت وإذا أخذت في الأكل أَكَلَتْ وإذا أخذت في الشرب شربت وإذا أخذت في الضحك ضحكت وإذا أخذت في الحركة تحرَّكت وتحاكيك في كلّ ما يصدر منك وفي الحقيقة لم يصدر منها أكلٌ ولا غيره لأنّها ظلّ ذاتك وليست بذاتك الحقيقية فإذا أراد الله شقاوة قوم ظهر الوليّ معهم بظل ذاته وجعل يرتكب ما يرتكبون والله الموفق . انتهى ٢٢٠ فتدبره فإنّه كلام نفيس قلّ من يتفطّن له في هذا الزمان .

وفي « الفيوضات الإحسانية » روي أنّ محمود الغازي دخل على الشيخ أبي الحسن قدس سره لزيارته وجلس ساعة ثم قال يا شيخ ما تقول في حق أبي يزيد البسطامي فقال هو رجل من اتبعه اهتدى واتصل بالسعادة

الأبديّة . فقال محمود وكيف ذلك وأبو جهل رأى رسول الله ﷺ ولم يخلص من الشقاوة فقال الشيخ في جوابه إن أبا جهل ما رأى رسول الله ﷺ وإنما رأى محمد ﷺ ابن عبد الله يتيم أبي طالب ولو كان رأى رسول الله ﷺ لخرج من الشقاوة ودخل في السعادة ثم قال ومِصْدَاق ذلك قوله تعالى ﴿وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾ فالنظر بعين الرأس لا يوجب السعادة بل النظر بعين السرّ والقلب والمتابعة التامّة تورث ذلك . . الخ . فمن نظر شيخه بعين الإجلال والتعظيم معتقداً رسوخ قدمه في مقام الولاية وأنه صاحب مدد ودعاء مجاب انتفع به ووصل إلى مقام الولاية ورتبة الصلاح ومَنْ نظره بأنه فلان ابن فلان يأكل ويشرب مثله فلا تحصل له منه فائدة ولا ينتفع به كما في الحديث « لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه » . انتهى .

وفي « لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية » للشعراني قدس سرّه ما يليق إيراده هنا وهو هذه العبارات وقد مشى الصادقون من المريدين على هذه القاعدة[١] مع أشياخهم فإن ظنُّوا بشيخهم أنه يحميهم من إبليس بنظره حماهم وإن ظنُّوا بشيخهم أنه لا يقدر على حمايتهم فلا يصحّ لهم حماية ولذلك أمروا مريدهم أن لا يغفل عن شهود كونه معه لأنّه ما دام يشهد شيخه ملاحظاً له فهو محفوظ من كل آفة ومتى غفل جاءته الآفات من كلّ جانب . ومما جربناه نحن أن من كان اعتقاده فينا مُتَوَفِّراً مهما طلب من الحوائج قضي له ومَنْ لم يكن اعتقاده فينا متوفِّراً لم تقض له ولو كنَّا أقطاباً

(١) أي حسن ظنّ بشيخهم .



فالمدار على حسن ظنّ المتوجّه لا على الشيخ وربّما تقضى حاجة المعتقد ولم يكن يعلمها الشيخ إلا إن أَعْلمه بها المتوجّه إليه . انتهى . فهو كلام نفيس مهمّ أيَّ مهمّ .

ومن هنا قالوا كلّ من رأيته فاعتقده خضراً . وقالوا أيضاً الأمر تابع لاعتقاد المريدين لا للمشائخ . والله الموفِّق للاستقامة وإليه يرجع الأمر كلّه وهو وليّ الهداية .

قصة مهمة

وممّا يدلّ على هذا ما وقع لامرأة مع قطب الأقطاب عبد القادر الكيلاني قدس سره قال في « منتخب جواهر القلائد » جاءت امرأة ذات يوم إلى حضرة الغوث والتمست من حضرته الدعاء ليعطيها الله ولداً فراقب وشاهد اللوح المحفوظ فلم يَرَ لها ولداً مكتوباً فيه فسأل الله أن يعطيها ولدين فجاءه النداء من الله ليس لها ولد مكتوب في اللوح فأنت تطلب لها ولدين فسأل أن يعطيها ثلاثة أولاد فجاءه النداء أيضاً مثل الأوّل فسأل أن يعطيها أربعة أولاد فجاءه النداء أيضاً مثله فسأل أن يعطيها خمسة أولاد فجاءه النداء مثله فسأل أن يعطيها ستة أولاد فجاءه النداء كالسابق فسأل أن يعطيها سبعة أولاد فجاءه النداء يكفي يا غوث لا تطلب الزيادة . فبهذه الإشارة جاءت البشارة إليها بإعطاء الله لها سبعة أولاد ذكور فأعطاها الغوث مقداراً من التراب وكانت تلك المرأة حينئذ كاملة الصدق في حضرة الغوث فوضعت تلك التراب في فضة وعلَّقتها في عنقها كالتعويذة فأكرمها الله بسبعة أولاد ذكور وبعد مدة فسد اعتقادها في حق الغوث وقالت التراب الذي أعطانيه الغوث أيّ فائدة تحصل منه فبمجرَّد تفوّهها بهذا الكلام مات أولادها فجاءت إلى الغوث باكية وتضرعت فقالت يا غوث أغثني . فقال الغوث كان ذاك الزمان زمانه ففي هذا الزمان ليس فيه فائدة . وفي رواية قال لها الغوث ارجع إلى بيتك فبأيّ نية جئت بها إلينا تجديهم . فراحتْ إلى بيتها فوجدتهم أحياء فشكرت الله تعالى . اللهم انفعنا ببركاته ﷺ آمين . انتهى من « تفريج

الخاطر في مناقب الشيخ عبد القادر » من عينه في ٣٨ من المنقبة السادسة والأربعين .

وقال الشعرانيّ في « المنن الكبرى » في الجزء الأول في ١٧٠ فمن جملة اعتقاد المسلمين فيّ أنّني أعطي أحدهم القَشَّة من الأرض إذا طلب منّي الدعاء لمريضه أو كتابة ورقة وأقول له بخّر المريض بها . فيفعل فيحصل له الشفاء بإذن الله تبارك تعالى فأعْرِفُ أنّه لولا شدّة اعتقاد أحدهم ما شفى الله تعالى مريضهم بدخان تلك القشة فإن الأمور تجري بها المقادير الإلهيّة سُرْعَة وبُطْأً بحسب قوّة الاعتقاد وضعفه حتى إنّ بعض من لا اعتقاد عنده من المجادلين يأخذ القشة وعنده شك في أنّ تلك القشة تنفعه فلا تنفعه وقد جاءني مرّة فقيه يأخذني سياقاً لصهره لما غضبت زوجته وكان قد جعل لها خمسين ديناراً فلم يرضوا أن يردوها له فقلتُ له خذ هذه القشة وأعطها لصهرك فإنّه يردّها لك بلا فلوس . فقال لي لا تمزح معي فإنّي مكروب . فلا زال الفقراء به حتى حصل عنده بعض الاعتقاد فأخذ القشة فبمجرد ما أعطاه لصهره قال له اذهب فخذ امرأتك . فتعجّب الفقيه من ذلك وقال **أحوال الفقراء لا تدخل تحت حكم العقل** . انتهى .

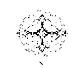
فإذا كان حال الشيخ الكامل المكمّل رجوعه إلى صورة بدايته وكانت عادته تلوّنه بلون جلسائه ينظر الخلق إلى الكامل فيرونه يتكلّم ويتبسّم وينبسط ولا ينقبض كالعوام ولا يعلمون ما في باطنه من دوام الحضور والمراقبة وكونه مع الحق تعالى في الباطن مع كونه مع الخلق في الظاهر كما هو شأن الكامل وكونه في مقام لا يشغله الحقّ عن الخلق والخلق عن الحقّ وينظرون

إلى الناقص المدّعي الغرار الطمّاع الجرار فيَرَوْنَهُ على صورة شيخ كأنّه حزينٌ عاشق إلى مولاه متفكِّر في أمر أخراه مُدْبرٌ عن أمر دنياه خالص من أسر شهواه مُنْفَلِتٌ عن سجن هواه ويراقب ذلك الغرار على ترك ما ينقصه لدى الحاضرين معه ويطأطئ رأسه كأنّه مهموم مغموم متدبّر في جلال الله وجماله والله خبير بما في قلبه مطّلع على ما في سريرته ويجهر صوته بالأذكار ويصيح بصيحات ويتحرّك بحركات ويدعو لهم بدعوات بحيث يسمعهم بالأصوات فيظنّون حينئذٍ أنه هو الكامل الفريد مع أنّه عند الكامل في الحقيقة ليس بمقام مريد وقد مرّ ما وقع لبعض الإخوان من اعتقاده فيمن لم يضع قدمه في الطريق وسوء ظنّه في قطب الأولياء الحاج عبد الرحمن العسليّ قدس سره .

وسألني بعض إخواننا المعنويّين رحمه الله ما السرُّ في ميل النّاس إلى الأخذ عن شيخ يجهر بالأذكار ويبتدع بالأوراد مع أنّه لم يكن شيخاً أذن له شيخ وعدم ميلهم إلى الأخذ ممّن لا يجهر مع أنه أفضل وأحق وأقدم رتبة في مقام المشيخة **فقلت له** السرّ فيه وجود الحظوظات النفسانية في الأذكار اللسانية والدعوات الجهرية وتخليط البدعات في تلك الطريقات وإذا ابتدع في العبادات[1] حلاّه الشيطان كما ورد في الحديث « من عمل ببدعة حلاه الشيطان في العبادة وألقى عليه الخشوع والبكاء » فقال صدقْتَ والله . ومرّ ما قاله عمدة العلماء مير سيف الله الحسيني قدس سره في بعض مكاتيبه والنفس أمّارة لا تتبع إلا المنكر المخالف للدين . انتهى . فما أصدق ما قاله جزاه الله عنا خير الجزاء ورزقه الاستقامة إلى يوم اللقاء آمين يا مجيب .

---

(١) وفي نسخة والدين .



الباب التاسع عشر
في بيان غرور الشيطان في إظهار التواجد من حيث يظن الناس أنهم على شيء

قال الغوث الأعظم أحمد ضياء الدين في « المتممات » وللشيطان وساوس كثيرة فإنه يحسن لبعض الناس إظهار التواجد عند الذكر أو سماع القرآن ويدخل عليه بصورة نصيحة وهو أنّك إذا تشبهت بالواجدين تكون منهم ويتلو له البيت الذي قال بعضهم

وتشبَّهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبّه بالرجال فلاح

ثم إذا تواجد وتبع ما أمر به الشيطان تجلى له من المِصْرَاعِ السفلي فينفخ فيه فيحصل له حرارة فيسوّل له أن هذا من تجلي حضرة الحق فيصرخ فيحصل الانقباض لمن سمعه من أهل الباطن وعلامة ذلك لو كان وجده صحيحاً لأثَّر في جميع من كان حاضراً نعوذ بالله من اتباع الشيطان . انتهى .

وفي « الإبريز » ما ينبغي أن يورد هنا لنفاسته ولعل الإخوان ينتفعون به وهو هذه العبارة وكنت معه[1] رضي الله عنه ذات يوم بموضع فجلس معنا رجل وبينما الشيخ رضي الله عنه يتكلَّم إذ جعل الرجل يصيح صياحاً منكراً . وطال ذلك من

---

(١) أي مع عبد العزيز الدباغ رزقنا الله شفاعته يوم القيامةآمين .

وفي « البهجة » قالوا عمل المريد يسير وإن كان كأمثال الجبال وعمل العارف كثير وإن كان كمثقال ذرّة . انتهى .

أمره فقال لي الشيخ ﷺ بعد ذلك هو شيء كبير لولا أن الشياطين تلعب به ويفسدون عليه صلاته فقلت يا سيدي وكيف

فقال ﷺ إن وجهة القلوب إلى الله تعالى هي صلاتها كما أنّ ركوع الذات وسجودها هو صلاتها وإنّما شرعت الصلاة وسائر الطاعات لتحصّل هذه الوجهة فهي نتيجة العبادات وفائدتها التي هي سبب ربح العبد ورحمته فإذا رأت الشياطين شخصاً أراد أن تحصل له هذه الوجهة من ذكر أو سماع كلام رقيق أو نحو ذلك نفذوا على قلبه فأفسدوا عليه وجهته حَسَداً لبني آدم وبُغْضاً فيهم فتحصل لهذا الصائح مفاسد منها فساد الوجهة التي هي سبب ربحه ومنها أن يظنّ أنه على شيء ومنها ما يخشى عليه من الانقطاع لأنّه بذلك الصياح يظنّ أنه على شيء وكذلك الناس يظنون أنه على شيء فيشيرون إليه **وويل لمن أشارت إليه الأصابع**[1]

قلت ومما يؤيّد هذه الحكاية التي ذكرها الشيخ زروق ﷺ وملخّصها أنّ قوماً من الفقراء كانت عندهم بفاس مبيتة فكلّموا[2] شخصاً صادقاً في الذهاب معهم وكان أعمى فذهب معهم إلى الموضع فبينما هم يذكرون إذ قال الشيخ الأعمى ﷺ يا قوم قد دخل عليكم الشيطان في صورة عنز بقرونها ثم قال

(١) فحركات الوجد نوعان اختيارية كحركة الإنسان الصحيح فهذا غير مشروعة وعلامته أن ينقبض أهل الباطن بسماع صوت صاحبه وهو مجرب عندي . واضطرارية وهي التي لا يقدر النفس على منعه كما لا يقدر النفس أن يمنع الحمى إذا غلب . وهذ الوجد حقيقي وعلامته أن يتأثر جميع من في المجلس . أخذ بعضها من « بيان الأسرار » وبعضها من « المتممات » راجعهما (منه رحم الله إفلاسه)

(٢) وفي نسخة فتكلّموا

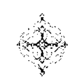
فمن هو صاحب الغفارة الحمارة منكم فإنيّ رأيت الشيطان يشمّه شمّاً عنيفاً ثمّ صاح الأعمى وقال إنه نطحه بقرونه حتى غاصت فيه فلم يفرغ من كلامه حتى صاح صاحب الغفارة وخرج من حسِّه ثم قال الأعمى ومن هو صاحب اللباس الفلاني فيكم فإنّي رأيت الشيطان قد انتقل إليه يشمّه ثم صاح لقد نطحه والله بقرونه نطحة منكرة فصاح المشموم وغاب عن حسِّه . انظر تمام الحكاية فافتضحوا بحضور ذلك الصادق معهم وكانوا قبله يحسبون أنهم على شيء فكانوا على جهل مركّب .

وقد اتّفق أنه صاح بعض الناس بحضرة شيخ عارف فقال له الشيخ إني تبعتُ صَيْحَتَكَ حتى دخلتْ إلى قبر بمقبرة كذا . فقال الصائح ولم يكن من أصحاب ذلك الشيخ صدقتَ يا سيدي لما مررْتُ بكم فوجدتكم تذكرون محبوبكم ذكرت أنا محبوبتي وكانت ابنة عمّ لي ماتت وذلك هو قبرها فلما تذكّرْتها صحْتُ من ألَمِ فراقها والله أعلم . انتهى ١٧١

وهكذا أحوال هذا الخلق في هذه الديار الجبليّة يظنّون أنّ ما حصل لهم من الخشوع والبكاء والتأوُّه والصياح والحركة والاضطراب وَقْتَ الذكر في المجامع والمحافل هو من الله مع أنّ أكثرها في الحقيقة من الشيطان أو من تسويلات النفس وأكثر شغل مشائخهم بزعمهم الوعظ والنصيحة في المساجد والمجالس وهذا شيء مخوف أيضاً ينبغي للمشتغل أن يتفطّن لئلا يكون سعيه تابعاً لمكائد الشيطان وتزييناته من حيث لا يشعر .

وفي « خزانة العلوم » ومن مكائد الشيطان أن يعرض الشرّ في معرض

الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ أما تنظر إلى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة مَا لَكَ رحمةٌ على عباد الله تنقذهم من المعاطب بنصحك ووعظك وقد أنعم الله عليك بقلب بهيرٍ ولسان ذلق فكيف تكفر نعمته وتسكت عن إشاعة العلم ودعوة خلق الله إلى الصراط المستقيم فكذلك لا يزال يستجرّه بلطائف الحيل إلى أن يشتغل بوعظ الناس ثمّ يدعوه إلى أن يتزيّن ويتصنع وهو في أثناء ذلك يؤكّد فيه شوائب الرياء وقبول الخلق ولذّة الجاه والتعزّز بكبر العلم واحتقار الخلق فيستدرج المسكين بالنصح إلى الهلاك وهو يظنّ أن قصده الخير وإنما قصده الجاه والقبول ويظنّ أنه عند الله بمكان وهو عنده ممّن قال فيهم رسول الله ﷺ « إن الله ليؤيّد هذا الدين بالرجل الفاجر » . انتهى .



الباب العشرون

في أن إرسال الأوراد إلى البعداء كما هو شأن الأبعاض من المتشيخة في ديارنا والتلقين بالوكيل ليس بجائز لأنه لم ينقل من السلف أنهم فعلوهما ولم نجد له دليلاً ما في الكتب

قال سليمان الزهدي خليفة الشيخ خالد البغداديّ قدس الله أسرارهما في « مجموعة الرسائل » وكتب الشيخ أسري لسيدي الشيخ سليمان إلى الطائف طائفة من الحجاج يريدون الانتساب ويرجون أن تأمر لوكيلهم أن يلقن الذكر لهم . وأجاب إن تيسّر الطلوع إلى الطائف فنِعْمَ فإن لم يتيسّر فيأخذونها من خلفاء بلادهم فكلّنا واحدٌ فلا يمكن بالوكيل . انتهى .

وهكذا سمعت شيخنا قطب الأولياء الحاج عبد الرحمن العسلي رزقه الله تعالى ما فيه صلاحه في الدارين آمين يقول إن التلقين بالوكيل لا يجوز **وإنما يحيى القلب بقلب حيّ** . انتهى .

الباب الحادي والعشرون
في قاعدة التلقين وبيان كيفية أخذ الذكر

فهو أن يستخير المريد والشيخ أو أحدهما فقط لحديث « ما خاب من استخار » فإذا وافقت استخارتهما فذلك وهو المطلوب أو صحّت أحدهما فيستدلّ به على الإذن من حضرة علام الغيوب وحينئذ يُجْلسُ الشيخ المريد بين يديه بعد أن تكون الطهارة كاملة لديه ويلصق ركبتيه إلى ركبتيه كما فعل جبرائيل عليه السلام مع النبيّ عليه السلام ثم يأخذ بيده اليمنى كالمصافح ثم يستتيبه عن جميع المخالفات[١] والمعاصي والقبائح ويأمره بالاستحلال مع أرباب الحقوق وردّ المظالم وترك البدعة والعمل بالسنة واجتناب الرخصة والأخذ بالعزائم ثم يقرأ معاً هاتين الآيتين بنيّة التوبة من جميع ما يخالف الله كما قال موسى ويونس (سبحانك تبت إليك وأنا أوّل المؤمنين لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) ثم يغمض المريد عينيه والشيخ يتكلم بالتهليل ثلاثاً كما علّم النبي عليه السلام لعليّ ثم يقرأ قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ الآية للتبرّك وللإشارة إلى أنّه كأنما يبايع لرسول الله ﷺ ثم يضع[٢] الشيخ والمريد أيديهما على ركبتيهما ثم يذكر الشيخ بقلبه اسم الذات على نيّة التلقين والتعليم لقلب المريد ثلاثاً بالمدّ والحضور كأنه يشاهد الملك الغفور

---

(١) ومن سياسة بعض المشائخ أن يكتفي في تعليم التوبة للمريد بالإجمال لئلا ينفر ويستصعب وهكذا أن لا يعاهده على أنه لا يعصي الله ويوفي ما أمره به من الأوراد لأنه إن عاهد على ذلك ونقضه المريد يقع في الإثمين . ومر ذلك في هذا كتاب . (منه رحمه الله)

(٢) هذا كيفية تلقين اسم الذات إن كان الشيخ نقشبنديّاً (منه)

ثم يأمر بالاستغفار والفاتحة والإخلاص[١] إلى السلسلة والرابطة لشيخه بشرط أن يعتقد أنه خليفة النبي عليه السلام في الفيض والإمداد وأنه نائب عنه في تربية الخلق والإرشاد . انتهى « متممات »

وفي « حسبحال السالك » إن احتاج الشيخ إلى التوجه إلى المريد يصلي أولاً على النبي ﷺ ويقرأ الإخلاص ثلاث مرات والفاتحة مرة فبعد إعطاء ثوابها لروح النبي ﷺ ولأرواح أصحابه ولأرواح مشائخ الطريقة الصديقيّة وسائر مشائخ الطريقة يقول يا رب من جنابك الشريف وجناب حبيبك الشريف أَوْصِلْ الفيض ونور الذكر الذي حصل لي بواسطة المشائخ الكرام وَوَصل إلى قلبي إلى قلب هذا المريد وأعِنْهُ فيرمي بتلك النيّة إلى قلب المريد اسم الذات المستجمع للأسماء والصفات بالتوجه مقدار عشرة دقائق فبهذا الأسلوب يتأثّر قلب الطالب في توجُّه واحد بعناية الله تعالى ويفيد محبَّة الله تعالى وهكذا ينظر الشيخ إلى سائر الألطاف بتقابل روحه بروح المريد ويتوجّه كما سبق . ثم إذا جرى الذكر على القلب أو على سائر اللطائف يُلقِّن الذكر بالنفي والإثبات ويتوجَّه إليه بالجمعية والحضور . انتهى .

وفيه أيضاً في موضع آخر ثمّ إنّ الشيخ يُلَقِّن على قلب الطالب ويتوجّه إليه به قدر ربع ساعة أو ثُمن ساعة فحينئذ يحصل له أثر الذكر وإنّ المريد يخلص قلبه عن الأشغال بإمالة قلبه إلى قلب الشيخ فبعد ذلك يديم على الذكر بلا تغافل ولا تكاسل وبلا انقطاع التوجه إلى الشيخ . انتهى .

---

(١) هكذا في النسخة التي بيدنا ولعله وإهداء ثوابها إلى السلسلة .

الباب الثاني والعشرون
إن الكرامة ليست بشرط في كون الإنسان وليّاً مرشداً
وإن ظهورها محلّ الفتنة والانقطاع والعياذ بالله سبحانه

فظهور الكرامات والكشوفات على أيدي هؤلاء المتشيخين فيخبره المنتسبون إليهم ولكن لا نجد من رآه منهم بعينه . ولو سلّم ظهورها على أيديهم فلا نسلّم أهليّتهم للإرشاد لأنّه لا يصير الشخص شيخاً بالكشف وخرق العادة فإن للشيطان كشوفاتٍ وخوارق فليس هو بمكان عند الله بل هو أبْغَضُ خلق الله إليه تعالى وأبعدهم من جنابه وليست الكرامة شرطاً في الولاية وقد يكون من لم ينكشف أفضل ممن انكشف كما في « رسالة الخالدية » و« أعلام الهدى » و« الفتاوى الحديثية » لابن حجر .

وفي « بيان الأسرار » فإنّ كرامة الأولياء وأحوالهم غير مأمونة من المكر والاستدراج . انتهى . وفي « ترصيع الجواهر » إنّ تعلّق القلب بالكرامة سبب البعد عن الله تعالى انتهى بالمعنى وفيه **أنّ العبودية مع استقامة خير من ألف كشف وكرامة** . انتهى . فراجعه من الباب السابع .

وفي « روح البيان » في سورة النحل إن الكشوف السفلية بما كان في مرتبة الطبيعة غير مقبولة وعوام الناس يعدّون أصحاب أمثال هذه الكشوفات الأقطابَ لكونهم على الجهل لا يميِّزون بين الخير والشرّ . انتهى .

وقال الخادمي في شرح « النصائح الولديّة » للغزالي كما حكي في « الفوائح » إن جماعة هربوا من عبد الواحد لقوّة تكليفه إيّاهم بالمجاهدة فرأى أحدهم بعد مُدّة فقال أين كنت فقال نحن كل ليلة ندخل الجنة ونأكل نعيمها فقال خذوني الليلة معكم فأخرجوه معهم إلى الفضاء فلمّا جنَّ الليل إذاً بقوم عليهم ثياب خضرٌ وإذاً بساتين وفواكه فلما أرادوا أن يتفرّقوا قال لهم أين تذهبون أليس الجنة دار خلود كإدريس عليه السلام فلمّا أصبحوا إذاً هم في مزبلة بين روْثِ الدواب فتابوا كلهم .

وفيه أيضاً عن الديلمي إن واحداً من السالكين رأى في بريّة طريق مصر الشيطان على عرش[1] بين السماء والأرض فسجد له فظنّ أنّه الربّ تعالى ثم حكاه بجماعة من المشائخ فقالوا هو الشيطان لحديث « إن للشيطان عرشاً بين السماء والأرض » الحديث فالرجل أعاد صلواته وجدد إيمانه ثم عاد إلى المكان الذي رآه فيه ولعنه وأنكر عليه . انتهى ٦٩

وفي « الإبريز » وسألته ﷺ عن فلان من أهل القرن العاشر فقال ﷺ إنه فتح عليه ووقف به الحال فرجع ساحراً من جملة السحرة . فقلت وكيف ذلك فقال ﷺ أوّل ما يفتح على العبد يرى معاصي العباد وأسبابها وكيف يقعون فيها والضبابة الظلمانية التي تستمد منها ذوات أهل الظلام والعياذ بالله ونحو هذه الأمور . فإذا أراد الله بصاحب هذا الفتح شرّاً ركن عقله إليها وأدام الفكر فيها فإن وقف به الفكر ساعة واحدة انقطع عن الله والعياذ بالله

(١) هكذا في النسخة التي في يدنا لعله العرش .

فلا يبقى في نظره سوى ما سبق ذكره في الفتح وذلك الذي سبق هو مخيَّم الشياطين ومحلٌّ فتنتهم لبني آدم فيصير مشهده ومشهد الشياطين واحداً فيصيرون معه يداً بيدٍ فيسخِّر على يده السحر ويرجع من جملة السحرة وإذا أراد الله بصاحب الفتح خيراً فتح عليه ما يشغل فكره عما سبق وهكذا لا يزال يُرْقيه في كلّ لحظة إلى ما لا نهايةَ والله أعلم . انتهى .

وفي « الفتاوى العمرية » وأما الكرامة فليست بشرط للمرشد لأنّ الكرامة ما نقلت عن الصحابة والتابعين إلا عن بعضهم حتى لم ينقل من الصديق الأعظم مع أنّه أفضل الأمّة .

والحاصل أنّ أفضل الكرامة هو الاستقامة كما قالت به رابعة العدوية حتّى إنّ بعض الأولياء لم يقبل الكرامة أصلاً ولم يشرب الماء الذي ارتفع من البئر كرامة له وقال لا أشربه إلا بإخراجي بيدي بالحبل والدلو « روح البيان »

وقد قال عبد الله القرشي من لم يكن كارهاً لظهور الكرامات والآيات فهي أيضاً سببٌ للشقاوة ولذا قيل الكرامة حيض الرجال . « روح البيان » . انتهى كلام « الفتاوى العمرية » وراجع « الفتاوى » لابن حجر ففيه البسط السديد في حق هذا المطلب .

ولقد قال لي واحد إن شخصاً من مريدي متشيِّخ كان داخلاً في الخلوة بأمره فإذا خرج من الخلوة قال لي إنّي رأيت جميع من مات ممّن كنتُ أعْرفهم في مدّة حياتهم وحكاه متعجِّباً به وظنّ أنّه من علامة الخصوصية

وأمارة الخلوصية فقلت له ليس ذلك من علامة الخير بل هو من علامة الانقطاع عن الله لأنّه إذا كانت هذه الأشياء الظاهرة الدنياويّة والمخلوقات المرئية حجاباً عن الله وسبباً شاغلاً عن توجّه القلب إلى ذاته عزّ وجل فظهور الأموات وأحوالهم والكشف عما هم فيه من الأمور الأخرويّة يكون سبباً لزيادة الحجُب فوق الحجب والخطرات فوق الخطرات . **وإنما الكرامات قلّة الحجب القلبيّة وحصول الجمعيّة**[١] **بربّ البريّة** والغيبَةُ عما سوى الله بمحْوِ الكون كلّه عن صفحة القلب فانتبه القائل ورجع عما كان متعجِّباً به وصدَّق قولي .

وفي « السير والسلوك » وقد مثّلوا حال مَنْ وقف عند ما ظهر من الكرامات بحال مَنْ طلب بيت الله الحرام وسار مع الحجاج وقطع من الطريق أكثره فعند ذلك عرضتْ امرأة حسناء لم ير الراؤون مثلها فأدْهَشَتْهُ وأخذت عقلَه فأراد الإقامة عندها ليمتلئ بها ويواصلها فقام إليه أمير الحجاج وقال له لا تقُمْ هنا فتنقطع عن الحاج ولكن اذهب معنا وزرْ بيت الله فإذا رجعْنا نقعد عقدك وتدخل عليها بالحلال وإن أقمْتَ فلا يحصل لك الوصال وإذا وصل ولا بد فبالحرام لا بالحلال فتنقطع عن بيت الله وتعصيه فغلب عليه هَوَاه وانقطع عن رفقته فدلّى[٢] منها وأزال البَرْقع عن وجهها فإذا هي عجوزة مقلقلة الأسنان قبيحة المنظر منتنة الفمّ فندم حيث لا ينفعه الندم فأراد أن يلحق رفقته فما قدر فصار يبكي الليل والنهار فالمرأة مَثَلٌ للكرامات التي يطلبها السالك في

(١) أي جمع قلب .

(٢) أي تحيّر

سلوكه وبيت الله الحرام مثلٌ لحضرة القرب وطريق الحج مثال لطريق القوم رضي الله عنهم .

فالسالك لا شكّ أنّه إذا وصل إلى حضرة القرب تصير الكرامات كلّها طَوْعَ يديه وإن غلب هوى السالك عليه فطلب الشيء قبل أوَانِه وتعرَّض لطلب الكرامات أتْعَبَ نفسه فيما لا يعنيه وانقطع عن مطلبه فإذا حصلت له الكرامة وجدها كوناً من الأكوان لا تنفعه في الدنيا ولا في الآخرة فإذا عرف حقيقتها ندم وبكى لأنّه تَقَهْقَرَ عن مقامه الذي تعب عليه حتّى حَصَّلَه . انتهى .

فاللائق بمَنْ ظهر على يديه أنواع الكرامات وأصناف الكشوفات أن لا يغترّ بها لأنّه لا يصير الإنسان شيخاً مرشداً إلا إن سلك مقامات الطريق وأذن له شيخه للإرشاد بالإذن الصريح ولو وقع على يده الكشف بأكثر من ألوفٍ والله أعلم .

وقال الإمام الرباني في بعض مكاتيبه الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى لِيَطِبْ قلب الأخ الأعزِّ السيد مير محمد نعمان وليعلم أنّ ظهور الخوارق والكرامات ليس من شرط الولاية وكما أن العلماء ليسوا مكلَّفين بحصول الخوارق والأولياء أيضاً ليسوا مكلَّفين بظهور الخوارق فإنّ الولاية عِبَارة عن قرب إلهيٍّ جلّ سلطانه يكرم بها أولياؤه بعد نسيان السوى شخص يعطى هذا القرب ولا يعطى الاطلاع على المغيَّبات والمحدثات وشخص ثان يعطى هذا القرب ويعطى الاطلاع على المغيبات والمحدثات وشخص

ثالث لا يعطى من القرب شيئاً ويعطى الاطلاع على مغيبات وهذا الشخصُ الثالث من أهل الاستدراج وجعله صفاء النفس مُبْتلى بكشف المغيَّبات وألقاه في الضلالة وآية ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ علامة حالهم والشخص الأوّل والشخص الثاني اللذان مشرفان بدوْلة القرب من أولياء الله تعالى لا يزيد كشف المغيبات شيئاً في ولايتهم ولا ينقص عدم الكشف شيئاً من ولايتهم والتفاوت بينهم إنما هو باعتبار درجات القرب وكثيراً ما يكون صاحب عدم كشف الصور الغيبيّة أفضل من صاحب كشف تلك الصور وأسبق منه قدماً بواسطة مزيّة القرب الحاصل له . صرّح بهذا المعنى صاحب « العوارف » الذي هو شيخ الشيوخ ومقبول عند جميع الطوائف في كتابه « العوارف » فمن لم يصدِّق هذا الكلام مني فليراجع ذلك الكتاب فإنه ذكر فيه بعد ذكر الكرامات والخوارق وكلّ هذه مواهب الله تعالى وقد يكاشف بها قوم ويعطى وقد يكون فوق هؤلاء من لا يكون له شيءٌ من هذا لأنّ هذه كلّها تقوية اليقين ومن مُنح صرف اليقين لا حاجة له إلى شيء من هذا فكلّ هذه الكرامات دُون ما ذكرناه من تَجَوْهُرِ الذكر في القلب ووجود ذكر الذات . انتهى .

قال إمام هذه الطائفة الخواجه عبد الله الأنصاري الملقب بـ « شيخ الإسلام » في كتابه « منازل السائرين » إنّ الفراسة على نوعين فراسة أهل المعرفة وفراسة أهل الجوع والرياضة

ففراسة أهل المعرفة في تمييزهم من يصلح لحضرة الله جلَّ وعلا ممّن لا يصلح ومعرفتهم أهل الاستعداد الذين اشتغلوا بذكر الله سبحانه ووصلوا إلى حضرة الجمع .

وفراسة أهل الرياضة وأرباب الجوع مخصوصة بكشف الصور والإخبار عن المغيَّبات المختصة بالمخلوقات ولما كان العالم أكثرهم أهلَ انقطاعٍ عن الله سبحانه واشتغالٍ بالدنيا مالت قلوبهم إلى أهل كشف الصور والإخبار عمّا غاب من أحوال المخلوقات فعظّموهم واعتقدوا أنهم أولياء الله وخاصته وأعرضوا عن كشف أهل الحقيقة واتّهموهم فيما يخبرونه عن الله سبحانه وقالوا لو كان هؤلاء أهلَ الله كما يزعمون لأخبرونا عن أحوالنا الغيبيّة وأحوال سائر المخلوقات وإذا كانوا لا يقدرون على كشف أحوال المخلوقات فكيف يقدرون على كشف أمور أعلى من هذه وكذّبوهم في فراستهم المتعلقة بذات الواجب وصفاته جلَّ وعلا بهذا القياس الفاسد وعميت عليهم الأنباء الصحيحة ولم يعلموا أنّ الله قد حمى هؤلاء عن ملاحظة الخلق وخصّهم بجناب قدسه وشغلهم عما سواه حماية لهم وغيرة عليهم ولو كانوا ممّن يتعرّضون لأحوال الخلق ما صلحوا للحق سبحانه . انتهى كلامه .

وقال كلمات آخر أيضاً أمثال ذلك . وإنما سمعت حضرة شيخ قدس سره يقول كتب الشيخ محيي الدين بن العربي أنّ بعض الأولياء الكرام الذي ظهرت منه كرامات وخوارق كثيرة ندم في آخر النفس من ظهور تلك الكرامات وقال

تمنّياً يا ليت هذه الكرامات لم تظهر منّي فلو كان التفاضل باعتبار كثرة ظهور الخوارق لا يكون للندامة على ذلك الطور مَعْنى .

فإن قيل إذا لم يكن ظهور الخوارق شرطاً في الولاية كيف يتميّز الوليّ من غير الوليّ وكيف يتبيّن المحق من المبطل

أجيب لا يلزم التمييز بل يكون المحقّ ممتزجاً بالمبطل فإنّ اختلاط الحق بالباطل لازم لهذه النشأة الدنيويّة **والعلمُ بولاية وليّ ليس بلازم أصلاً** وكثير من أولياء الله تعالى لا اطلاع لهم في ولايتهم فكيف يكون الاطلاع على ولايتهم لازماً لغيرهم .

وفي النبيّ لا بد من الخوارق ليتميّز النبي من غير النبيّ فإن العلم بنبوّة نبيٍّ واجب . والوليّ لما كان داعياً إلى شريعة نبيّه كفاه معجزة نبيّه فلو كان الولي يدعو إلى ما وراء الشريعة لما كان له بدٌّ من خارق وحيث كانت دعوته مخصوصة بشريعة نبيّ لا يلزم الخارق أصلاً العلماء يدعون إلى ظاهر الشريعة والأولياء يدعون إلى ظاهر الشريعة وباطن الشريعة يدلّون المريدين والطالبين أوّلاً على التوبة والإنابة ويرغِّبونهم في إتيان الأحكام الشرعية ويهدونهم ثانياً إلى طريق ذكر الحق جلَّ وعلا يؤكّدون في استغراق جميع أوقاتهم بالذكر الإلهيّ جل سلطانه إلى أن يستولي الذكر ولا يبقى في القلب غير المذكور أصلاً ليحصل النسيان عن جميع ما سوى المذكور حتى لو كلّف بتذكّر الأشياء لا يكاد يتذكَّر .

ومن اليقين أنّه لا حاجة للوليّ لأجل هذه الدعوة التي تتعلّق بظاهر الشريعة وباطنها إلى الخوارق أصلاً والشيخوخة والمريديّة عبارتان عن هذه الدعوة التي لا تعلّق لها بالخوارق ولا مساس لها بالكرامة مع أنّا نقول إن المريد الرشيد والطالب المستعد يحسّ في كل ساعة في أثناء سلوك الطريق خوارق شيخه وكراماته ويستمدُّ منه في المعاملة الغيبيّة في كلّ زمان ويجد منه فيها مدداً وظهور الخوارق بالنسبة إلى الأغيار ليس بلازم .

وأمّا بالنسبة إلى المريدين فكراماتٌ في كراماتٍ وخوارق في خوارق **وكيف لا يحسّ المريد خوارق الشيخ فإن الشيخ أحيا القلب الميّت وأوصل إلى المكاشفة والمشاهدة فإذا كان عند العوام الإحياء الجسديّ عظيم الشأن فعند الخواص الإحياء القلبيّ والروحيّ برهان رفيع البنيان .**

كتب الخواجه محمد پارسا قدس سره في « الرسالة القدسيّة » **فلما كان الإحياء الجسدي معتبراً عند أكثر الناس أعرض عنه أهل الله واشتغلوا بالإحياء الروحيّ وتوجَّهوا إلى إحياء القلب الميّت** والحقُّ أنّ الإحياء الجسديّ بالنسبة إلى الإحياء القلبيّ والروحيّ كالمطروح في الطريق وداخل في العبث بالنظر إليه فإنّ هذا الإحياء سبب حياة أيام معدودة وذاك الإحياءُ وسيلة للحياة الدائمة بل نقول إنّ **وجود أهل الله في الحقيقة كرامة من الكرامات ودعوتهم الخلق إلى الحق جلّ سلطانه رحمة من رحمات الله تعالى وإحياءَهُمْ القلوبَ الميتةَ آيةٌ من الآيات العظمى وهم أمان أهل الأرض وغنائم الأيام بهم يُمْطرون وبهم يُرْزَقُون** واردٌ في شأنهم كلامهم



دواء ونظرهم شفاء هم جلساء الله وهم قوم لا يشقى جليسهم ولا يخيب أنيسهم والعلامة التي نتميّز بها محقّ هذه الطائفة من مبطلهم هي أنّه إذا كان شخصٌ له استقامة على الشريعة ويحصل للقلب في مجلسه مَيْلٌ وتوجُّه إلى الحق سبحانه وتعالى ويُفْهَم حصولُ بُرُودة عما سواه تعالى فذلك الشخص شخصٌ محقٌّ ولأنْ يُعَدَّ من الأولياء على تفاوت درجاتهم مستحق وهذا أيضاً بالنظر إلى أرباب المناسبة والذي لا مناسبة له فهو محض محروم مطلق . شعر .

مـن لـم يكـن في نفسـه مَيْلُ الهـدى فَشُهُودُه وَجْـهَ الـنـبـيّ لا يـنـفعه

انتهى « الدرر المكنونات النفيسة » من ١٤٠ من الجزء الثاني

الباب الثالث والعشرون
في ردّ دعوى من يقول لا يجوز اتخاذ الشيخ
ويطعن على مريدين ويستهزئ بهم والعياذ بالله

فتلك المذكورات شأن بعض العلماء من ديار عصرنا سامحه الله تعالى وألهمه رشده وهداه إلى ما يرضاه آمين وهي مما يتوجَّه إليه ضرره دنيا وأخرى لأنّه قد ارتكب كبيراً وأنكر مجمَعاً وصرّح بالرأي قولاً كيف لا **وقد قال بوجوبه**(١) **أئمة من المذاهب الأربعة وأجمع عليه العلماء السلف والخلف وقد حكموا بكفر من أنكر على ما أجمع عليه الأئمة** والله أعلم . حتى أنّ أبا حنيفة رحمه الله تعالى أخذ الطريقة عن تلميذه قبل وفاته بسَنَتَيْنِ فقال حين وفاته **لولا السنتان لهلك النعمان** .

وقد كان الإمام أبو حنيفة يَرَى بكشفه نجاسة الذنوب التي تسيل مع ماء الوضوء كما ورد في الحديث فلأجل ذلك قال بنجاسة الماء المستعمل . كذا في « ميزان » الشعراني ومع ذلك أخذ الطريق .

وكان الشافعي رضي الله عنه يجلس بين يدي شيبان الراعي الأميّ كالصبيّ بين يدي المرضعة .

وكان الإمام ابن حنبل رضي الله عنه يقول لولده لمّا صحب أبا حمزة البغدادي وعرف أحوال القوم يا ولدي **عليك بمُجالسة هؤلاء القوم فإنهم زادوا علينا بكثرة**

---

(١) أي اتخاذ الشيخ .

العلم والمراقبة والخشية والزهد وعلوّ الهمة . انتهى بعضها من « الفتاوى العمرية » وبعضها من « مكتوبات » الإمام الرباني فراجعها .

وكان شيخنا قدس سره يستكتب منّا أشياء من كتاب « مزكي النفوس » ومن جملتها هذه العبارات يجوز الذهاب في طريق في موضع له زمان ومكان وقد يقع المريد في وقتٍ من الأوقات في درجة ليس فيها مكان ولا زمان ولا علامة وإذا وقع في ذلك الدرجة التي ليس فيها مكان ولا زمان ولا علامة ولا طريق ولا رفيق يلزم عليه بالضرورة أن يصحب بالرجل الكامل والمرشد والمربّي الذي ذهب ورفق مع المرشد كرَّات ومرَّات بجذب إلهيٍ وتوفيق وموافقة مرشد .

ثم العشق درجة لا مكان وجذبة الحق كذلك لا مكان وتوفيق إلهيّ لا علامة أي هي أشياء لا يتصرَّف فيها النفس والعقل والحال والروح وتصرُّفها في عالم البشر يعني في عالم الظاهر وأمّا تصرف العشق فهو فوق عالم البشرية ومَنْ أراد أن يذهب في هذا الطريق الذي ليس له مكان ولا زمان ولا علامة لا بدَّ من أن يذهب إلى مرشد كامل وهو الذي وقع في عالم العشق ليُفْنِيَ ذلك المرشد بشريَّته بتلقين الذكر والتربية فلو ذهب واحد إلى طريق ليس فيه علامة فيبقى بلا وصول إلى الله تعالى فوَقْتاً يصل من الله تعالى ما يعجز عنه المخلوقات ولا يعلمه إلا الله تعالى ثم يقع سير الطالب إلى عالم الأنفس فإذا يقع في عجائب عالم الأنفس ويبقى فيها مغروراً بذوقه ويذهب أكثرون في عالم الأنفس إلى الكفر والعياذ بالله تعالى وكذلك لا يكون الهمَّة

لمن يبقى في عالم الأنفس وقد يحصل لهم الترقِّي في وقت ما لكن تغلب عليهم الأنفس فلا يصلون ولا يقعون في عالم الأرواح فلو أرادوا أن يصلوا إلى عالم الأرواح ينبغي لهم أن يتخذوا مرشداً كاملاً . انتهى .

وفي « حسبحال السالك » ما حاصله إن لم يسلّم المريد نفسه إلى المرشد باقتدائه عقل غيره لا يصل إلى مقصوده ويبتلى بسوء حاله .

فإن قيل القرآن وعلم الشريعة قد بيّنا سبيل الطريق والمرشد إلى هذا الطريق هو النبيّ عليه السلام ولطف الله فكيف الاحتياج إلى اتخاذ الشيخ

فالجواب المرشد في الحقيقة هو القرآن وعلم الشريعة والنبي عليه السلام ولطف الله **لكنّ المريد في أوّل الأمر كالمريض الذي قرأ علم الطبّ وجمع الأدوية والمعجونات لمرضه وزاد مرضه بها لكون بعض الأدوية مما يهلك بها الإنسان فاحتاج إلى غيره من الأطباء** فكذلك الداخل في طريق السلوك يحتاج إلى الشيخ لإزالة المهالك المعنويّة . انتهى .

واستكتب شيخنا قدس سره أيضاً من ذلك الكتاب ما حاصله هذا لاحظوا إلى حكم الله تعالى أنّ الخضر عليه السلام أدنى مقاماً من موسى عليه السلام بدرجات ومع ذلك ذهب هو لديه لطلب العلم اللَدنيّ والمستحيون حرموا من العلم اللَدني وأنت تقول مع كونك عالماً كبيراً ما الحاجة إلى الذهاب لدى المرشد فجميع الأنبياء الذين بعثوا من لدن آدم إلى نبينا عليهم السلام والأولياء الذين جاؤوا بعدهم سَعَوْا على هذا التوحيد لكن لم يذهب منهم إلى هذا الطريق ولو واحداً بغير مرشد وكل مَنْ قصَدوا أن يذهبوا إلى هذا الطريق

بغير مرشد وقعوا في الشبهة وماتوا على سوء الخاتمة نعوذ بالله وكلهم صاروا ضالِّين ومضلِّين .

وإذا كان الحال كذلك يجب على الطالب البتّة طلب الشيخ المرشد المأذون الذي إجازته صحيحة ولا يكون الوصول بكثرة العلم والعقل ألا ترى أنّ كلب الصيد المعلّم إن دلّ خلف الصيد بقول « بسم الله » يجوز عند الحنفيّ أكل لحم ما قتله من الصيد وإن لم يكن الكلب مُعَلّماً يكون ما قتله نجساً ولا يجوز أكل لحمه وهكذا كل مَنْ لم يصل إلى المرشد يكون كذلك انتهى .

وقال في « الحديقة النديّة » اعلم - أسعَدَك الله بالتوفيق وحلاّك بالتصديق - أنّ تَعلُّم علم الباطن من المهلكات والمنجيات وآداب السلوك والمعاملات فرضُ[1] عينٍ على كل مَنْ لم يرزق قلباً سليماً بالجذب الإلهيّ والعلم اللَدنيِّ والنفس القدسيّة الفطريّة وقليلٌ ما هم وأحكام الدين إنّما تُبْنَى على الأكثر الأغلب وتعلُّم علم الظاهر لا يُغْنِي عن استفادته كما ثبت ذلك عن كثير من العلماء الأكابر المتقدّمين والمتأخرين من الحنفيّة كابن الهمام وابن الشبلي والشرنبلالي وخير الدين الرملي والحموي مُحشي « الأشباه » وأمثالهم .

ومن الشافعية كسلطان العلماء العزّ بن عبد السلام والإمام الغزالي وتاج الدين السبكي والسيوطي وشيخ الإسلام القاضي زكريا الأنصاري والعلامة الشهاب ابن حجر الهيتمي المكي .

---

(١) وهكذا في « ابن حجر » و« الرملي » من كتاب سير (منه)

ومن المالكية كالعارف أبي الحسن الشاذلي وخليفته الشيخ أبي العباس المرسي وخليفته الشيخ ابن عطاء الله الإسكندري والعارف ابن أبي جمرة وناصر الدين اللقاني والشيخ العلاّمة المحقق العارف أحمد زروق البرنسي وغيرهم .

ومن الحنابلة كالشيخ عبد القادر الجيلي وشيخ الإسلام الشيخ عبد الله الأنصاري الهروي والشيخ ابن النجار الفتوحي وغيرهم فإنّ هؤلاء العلماء الأجلَّة بعد التضلُّع من علوم الظاهر اشتغلوا بتحصيل علوم الباطن واستفادتها من أهلها بالصحبة والخدمة والسلوك وحسن الاعتقاد والإخلاص والتخلية عن الرزائل والتحلية بالفضائل انتهى . وراجع « البهجة » في ٤

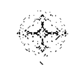
قال الفخر الرازي ولمّا قال الله تعالى ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ لم يقتصر عليه بل قال ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ وهذا يدل على أنّ المريد لا سبيل له إلى الوصول إلى مقامات الهداية والمكاشفة إلاّ إذا اقتدى بشيخ يَهْديه إلى سواء الصراط ويجنِّبه عن الأغلاط والأضاليل وذلك لأنّ النقص غالب على أكثر الخلق وعقولهم غير وافية بإدراك الحقّ وتمييز الصواب عن الغلط فلا بدّ من كامل يقتدي به الناقص حتى يتقوَّى عقل ذلك الناقص بنور عقل ذلك الكامل فحينئذ يصل إلى مَدارج السعادات ومعارج الكمالات . فراجع « تفسير الكبير » انتهى . من « الفتاوى العمرية »

ونحن سمعنا هذا المنكر كثيراً يعظُ الناس في المحافل والمجامع ويحثهم على كثرة ذكر الله تعالى ويخبرهم فضائل الأذكار والأوراد . فليت شعري هل

يفعل المريدون إلا ما حثَّ الناس إليه من ذكر الله وأيّ شيء يقول لمن قال له نحن نتبع أمرك ونقبل وعظك وقد أمرنا شيخنا بما أمرتنا به فشيخنا معينك ومصدّقك فلعلّه لا يدري ما يقول .

ومن أراد أن يعلم بيان وجوب اتخاذ الشيخ الكامل لكلّ فرد من أفراد الرجال والنساء ووجوب تعلّم علم الباطن من الشيخ المرشد فليطلع على كتب أهل التحقيق من الفقهاء والصوفية فقد بسطوا في حقها الكلام وأثبتوا فيها الدلائل والنصوصات بحيث لا يبقى بعدها إنكار ولا يأتي من بين يديها ولا من خلفها إشكال كـ « التحفة » لابن حجر من كتاب (السير) والرملي منه و« فتاوى » ابن حجر في ٥٧ و« المتممات » و« جامع أصول الأولياء » و« لطائف المنن » و« الميزان الكبرى » و« الميزان الصغرى » و« لواقح الأنوار القدسية » و« الأجوبة المرضية » للشعراني و« الفتوحات الإلهية » لزكريا الأنصاري و« الفتاوى العمريّة » و« رسالة عبد اللطيف » و« الفتاوى » لمحمد علي الچوخيّ قدس سره فقد بسط الكلام بأحسن بساط و« النور الساطع » و« الأنوار القدسية » و« عوارف المعارف » و« الإحياء » و« البهجة السنيّة » و« المواهب البريقة » و« مجموعة الرسائل » و« شرح تائية السلوك » و« ترجمة الرشحات » و« النفائس السانحات » و« روح البيان » و« سلك العين » وشرحه و« تصديق المعارف » و« بيان الأسرار » و« الخادمي على النصائح الولدية » و« الرسالة الخالدية » و« الذهب الإبريز » وغيرها فهذه الكتب المذكورات ممّا قلّبنا أوراقها ورأينا أعْيانها وتحقَّقنا بما فيها في تقرير هذه المسألة فليراجع المنصف إليها .

وقد قصَدْتُ مرة أنْ أحْصي ما أوصى به الشعراني في حقِّ اتخاذ الشيخ في كتابه « لواقح الأنوار » فلم أطِقْ على إحصائه وحصره لكثرته فهذا سلطان العارفين وعمدة العلماء العاملين في المذاهب الأربعة يُوصي بذلك فكيف يسوغ لمن أضاع عمره في الغفلات وخرّب أوقاته في الفلوات وصار حَيْران والِهاً ينبغي أن يبكي على ما فرّط في حقِّ الله تعالى وحَقِّ عباده من أمثالنا أن ينكر على ما أجمع عليه أصحاب هذه التأليفات وما اتَّفق عليه علماء المذاهب الأربعة المتفقات قديماً وحديثاً رزقنا الله والمنكرين التوفيق وهدانا وإياهم إلى سواء الطريق فكم وكم مرّات تكلَّم هذا الفقيه في حقِّ الفقراء الصادقين بما تقشعرُّ به جُلُودهم وكم وكم افترى هذا المسكين على هذه الطائفة النقشبندية بما لم يتحقَّق منهم من الأكاذيب فيغفر الله لنا وإياهم آمين .



الباب الرابع والعشرون
في وجوب ملازمة المريد على ما أمر به شيخه من الذكر

ولقد سمعْنا أنّ واحداً من العلماء قد طعن فيمن لازم على ما وضع عليه أستاذه الجامع لطرفي الشريعة والحقيقة ولا ينتقل إلى الأذكار والدعوات خلف الصلوات قائلاً إنّي أبارز وأباحث على مَنْ أَمَرَ بتلك الملازمة وأسْألُهُ من أين أخذ هذا الأمْرَ وفي أيّ كتاب وجَدَه **فقد تحقّق وتبيَّن قول مَنْ قال مَنْ اكتفى بالفقه تفسَّق**[1] ولله درّ ابن الفارض ﵁ حيث قال في تائيته

ونهج سبيلي واضح لمن اهتدى ولكنها الأهواء عمّت فأعمت

انتهى

أي وطريقته المستقيمة التي هي فناء الوجود واضحة لمن اهتدى بالنور الأزليّ الذي رشّ على الخلق فمن أصابه منه اهتدى ولكن أهواء النفس عَمَّتك فأعمتك عن رؤية تلك الطريق لأنها مبنية على مخالفة النفس . وهواها يعمي البصر كما ورد « حبّك الشيء يعمي ويصم » انتهى من « كشف الوجوه الغرّ » ١١٣

قال ابن الفارض ﵁ في ديوانه أيضاً

وعن مذهبي لما استحبّوا العمى على الهدى حسداً من عند أنفسهم ضلّوا

انتهى

---

(١) ومن أراد إدراك حقيقة هذا القول فعليه بمطالعة « فتاوى » ابن حجر في ٢١٧

المعنى هنا زيادة الغفلة في النفس والقلب وعدم التيقظ لأمر الله تعالى والانهماك في عمل الجوارح بالقوى النفسانية مع الإعراض عن الله تعالى وعدم الالتفات إلى تجلياته وظهوراته في آثار قدرته الكلية . انتهى من « شرح الديوان » في ١٠١ لعبد الغنيّ النابلسيّ قدس سره .

فنقول وبالله التوفيق قال الشيخ الإمام التاج الدين ابن عطاء الله في كتاب « تاج العروس » **ولا تكن كمن يريد أن يحفر بئراً فيحفر ذراعاً هنا وذراعاً هنا فلا ينبع له ماءٌ أبداً بل احفر في مكان واحد فينبع لك الماء** . انتهى . هذا الكلام منه ﷺ إشارة إلى الملازمة على ذكر اسمٍ واحدٍ وتكثير ذكره من غير أن ينقل إلى غيره . وراجع « ماهية التصوف » لأبي سعيد الخادمي و« المتممات » فالأولى والأصلح لمن له شيخ أن يلازم على ما أمر به شيخه ولا ينتقل إلى غيره .

وفي « الباقيات الصالحات » أنّه وقعت المباحثة بين شخصين قال أحدهما الذكر أفضل من تلاوة القرآن وقال الآخر التلاوة أفضل من الذكر فخرج شيخنا في ذلك الأثناء وقال فيما ذا كنتم تتكلمون فعرضوا عليه المباحثة فقال **الكون مع الله أفضل من الكلّ** .انتهى ١٤٠ . يعني أن ما يؤدي إلى وجهة القلب إلى الله والحضور معه فهو أفضل . ولا شك أنّ ملازمة الذكر أشدّ جلباً ممّا سواه لصرف القلب إلى الكون مع الله فافهم والله أعلم .

وفي « النفائس السانحات » في تذييل « الباقيات الصالحات » أن المداومة على الذكر من فرائض طريق أولياء الله تعالى **فينبغي الإكثار من الذكر بترك جميع مرادات النفس فإنّ القلب لا ينجلي من غير ذكر كثير** . انتهى .

وفيه أيضاً في موضع آخر ينبغي للسالك أن يعمّر أوقاته ويستغرقها بالذكر والعبادة وحفظ مدركته عن الالتفات إلى السوى وصون سرّه وهمّته عن التوجه إلى غير مفهوم لفظة الجلالة حتى تكون ملكة حضوره . انتهى .

وفيه أيضاً إن التكثير من تكرار اسم الذات مثمرٌ لنسبة الجذبة الإلهيّة . انتهى .

وكذا في « الباقيات الصالحات » جاء مولانا يوماً حجرتي ورأى مصحفاً في الرفّ فقال ما هذا الكتاب قلت هو مصحف قال إن ذلك من علامة البطالة يعني أن وظيفة المتبدئ في بداية سلوكه الاشتغال بالنفي والإثبات . وقال إن تلاوة القرآن من وظيفة المتوسطين والصلاة شغل المنتهين وأهم المهمات للمبتدئين الاشتغال بالنفي والإثبات . وترك الأهم والاشتغال بغيره بطالة كمن يقرأ الفاتحة في قعوده زعماً منه أنها أم القرآن . انتهى فتدبره .

وقال الشيخ مم دبر الروشيّ قدس سره في كتابه « إظهار الحق » نقلاً عن الشعراني . وقال أيضاً سمعت سيدي عليّاً المرصفي رحمه الله تعالى يقول إياكم وأن تنكروا على شيخ أمر مريدَهُ بتقديم صلاة النافلة أو الذكر مثلاً على طلب العلم أو عكسه فإنّ في ذلك مشاهدة صحيحة للأشياخ وكذلك لا ينبغي لكم الإنكار على شيخ ينهى مريده عن صلاة النافلة أو العلم ويأمره بالذكر فإنّه ربّما رأى نيّته في العلم فاسدة بالكشف والقرائن ورأى عنده جهلاً بالله تعالى لغلظ حجابه فأمره بالذكر .

إذا رأيتم المريد يكثر من النافلة ويقلّل من الذكر فاعلموا أنه بطّال لا يجيء منه شيء في الطريق لأنّ الصلاة النافلة من صلاة الكمل لا المريدين . انتهى .

وفي « الفتاوى العمريّة » **اعلم أنّ الذكر هو العُمْدة في جميع الطرق العليّة فلا يصل أحد إلى الله تعالى إلا بدوام الذكر والفكر والحضور والمراقبة** وذلك أفضل العبادات وأقرب الطاعات والقربات في الطرقات بعد أداء الفرائض والواجبات والسنن المؤكدّات لأنّ العابدين لو اشتغلوا بجميع الطاعات سوى ذكر الله تعالى ليلاً ونهاراً قلّما يحصل لهم تزكية النفوس وتصفية القلوب وهو مأمورٌ وثابت بالأدلة الأربعة وأفضليته ثابتة بقوله تعالى ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ أي ولذكر الله أكبر في إزالة مرض القلب من الصلاة وتلاوة القرآن فإن الصلاة وإن كانت تنهى عن الفحشاء والمنكر وكذا التلاوة لا توصلان إلى الله تعالى بل توصلان إلى الجنة والثواب العظيم **وأما الذكر** فهو موصل إلى الله[1] تعالى فبينهما فرق عظيم لأنّ قيمة الذكر بقدر المذكور فحينئذ فذكر الله أكبر من تلاوة القرآن وصلوات النوافل . « روح البيان » ملخصاً

---

(١) هذا عند أهل الباطن والسالكين وأما عند علماء الظاهر أن قراءة القرآن أفضل كما صرّح بذلك عمدة المذاهب الإمام النووي في « التبيان » قبيل الباب الثالث وفي « فتاوى الرملي » وسائر الكتب الفقهية والسلام . (هامش الأصل)

اعلم أن الذكر من الواجبات لأنّ الأمر إذا تكرّر يكون للوجوب على قاعدة الأصوليّين وقد تكرّر الأمر في القرآن والحديث في مواضع لا تحصى . « هدية الذاكرين » . انتهى .

وقد يكون الذكر حديث نفسٍ بالنسبة إلى غيره[١] فافهمه .

وقد قال العالم الرباني أدرة العرادي النقشبنديّ رحمه الله تعالى ورزقه ما فيه صلاحه في الدارين آمين **إن الشيخ طبيبٌ والمريد مريضٌ والطبيب يعطي المريض ما يوافق مرضه من المأكولات** ويمنعه من غيره وإن كان من أشرف المطعومات . انتهى ما قاله في حق حثِّ الأشياخ المريدين على ملازمة الأذكار لا على قراءة القرآن وذلك القول منه رحمه الله في غاية التحقيق لأنّ المريد مريض بمرض الغفلة بسبب كثرة الخطرات فقد مسّت الحاجة لدفع مرض الغفلة بكثرة الذكر في جميع الأوقات . وقد شبّه صاحب « الرشحات » الذكرَ بالفأس يقطع به شوك الخواطر . فراجعه

وقراءة القرآن قد تحمل قارئه مرّة إلى التفكر في الجنان ومرة إلى التخيل في النيران ومرة في التدبر في قصص الأنبياء عليهم السلام ومرة إلى ما وقع بين الكفرة والفجرة ومرة إلى أحوال الدنيا والآخرة فناسب لمن غلب على قلبه الغفلات أن يلازم الأذكار الملقنات لا بالقراءة والدعوات لئلا تكون سبباً

---

(١) يعني أنّ الذكر بالأسمآء الفروعيّة كالغفور والرحمن يطلب الأغيار كالمغفور والمرحوم كما مر في الباب الرابع عشر ولذا قال الشعراني في كتاب « الجواهر والدرر » فما في الأذكار أعظم فائدة من ذكر الاسم (الله الله) لأنّه لا يطلب أحداً من الأغيار

لزيادة الخطرات إلى أن يصير الحضور القلبيّ ملكة راسخة لا يشغله شيء من الأغيار ويصير كالبحر يحمل كلّ ما ألقي إليه ولا يتكدّر .

وقال الغزالي في « جواهر القرآن » **إن الذكر أفضل من قراءة القرآن للذاهب**[١] **إلى الله** . انتهى بالمعنى وباختصار .

وفيه أيضاً في موضع آخر إن كنت ذاهباً إلى الله مستغرقاً به لم تفتقر إلى ترتيب الأوراد بَلْ وِرْدك واحدٌ وهو ملازمة الذكر . انتهى .

فما في الأذكار أعظم فائدة لطرد الغفلة عن القلب من ذكر الاسم (الله الله) لأنّه لا يطلب أحداً من الأغيار كما يطلب قراءة القرآن والدعوات وسائر الأسماء الإلهية فتدبره فإنه نفيس لا ينكره إلا خسيس .

---

(١) فاللائق لقارئ القرآن حال قراءته أن يقف مع صاحب الكلام لا مع ما يدل عليه الكلام . وهذا دقيق لا يفهمه إلا حاذق . (منه رحمه الله)



الباب الخامس والعشرون
في بيان من يجوز أن يرابط به ومن لا

وأما ما يفعله بعض الأولياء الذي أجازه شيخه الكامل رحمه الله تعالى وجعلنا معهما في دار الجنان من أمره بفَعْلِ الرابطة على نفسه مع كون شيخه لا يأمر بذلك ولو إلى نفسه بل يفعل هو ومريده الرابطة الشريفة إلى روحانية الغوث الأعظم محمود الفعال الألمالي قدس سره فالقلب يتردد فيه ويتحيّر والمطلوب من الله العفو والمسامحة إن كان في ذلك التردّد والتحير زلّةٌ .

فقد قال الخاني في « البهجة السنية » ثم اعلم أن الرابطة إنما تفيد إن كان مع الإنسان الكامل المتصرف بقوّة الولاية لأنّ الإنسان الكامل مِرآة الحق سبحانه وتعالى **فمن ينظر إلى روحانيّته بعين البصيرة يشاهد الحق فيها** وأطال فيها الكلام ثم قال **تنبيه** قد علم مما تقرّر أن المراد بالمرشد الكامل الذي يصلح أن يجعل رابطة للمتوسلين به هو الذي حصل له مقام البقآء بعد الفناء في الله تعالى الأتمين ولكن هنا مزلّة الأقدام لأنَّ هذه الطريقة العلية مندرجة بدايتها في نهايتها ونهايتها في بدايتها فربّما يحصل للمريد بعضُ أحوال قبل فنائه فضلاً عن حصول بقائه فيظنّ كمال نفسه ويأذن للمريدين في أن يَجْعَلُوهُ رابطة فيخسر هو ومن رابطه فلا بدّ أن يشهد له بحصول الكمال وأنّه بلغ مبلغ الرجال أهل الفضل والعرفان كشيخه ومرشده الكامل ويأمره بذلك . وقد أخلّ بهذا الشرط في هذا الزمان

أكثر أصحابنا الذين حصل لهم الإذن بتلقين الذكر من جناب حضرة سيّدنا وسندنا ونور أبصارنا وضياء قلوبنا أبي البهآء ضياء الدين شيخنا الشيخ خالد النقشبندي المجدديّ قدس الله تعالى سرّه وأمرهم أن يلقّنوا رابطةَ نفسه للمريدين لأنّه مشهود له بالكمال ومأذون له بذلك من قِبَلِ مرشده الكامل المشهود له كذلك فبعضهم في حياة شيخنا قدس سره أَخَلُّوا بهذا الشرط وأمروا المريدين الذين دخلوا الطريقة عندهم بأن يرابطوا بهم مع نهيه وزجره لهم عن ذلك كما يشهد بذلك كتابه قدس سره إلى خادم بابه وقدوة أحبابه الشيخ فلان عصمه الله عمّا وَصَمَه وصَانَهُ عمّا شانه آمين أما بعد فقد قال كثير من نجوم الاهتدآء ومصابيح الاقتداء بأنّ الكفران هو نسيان المنعم بسبب الاشتغال بنعمه . وصرَّح محقّقو طريقتنا بأنَّ رابطة مَنْ لم يفن عن وجوده لا تورث الفنآء للسالك بل قد تورِّطُه المهالك وأنتم ما كان المأمول منكم أن تقطعوا عنّا السّلام والكلام بل كمال المروءة والوفاء كان مقتضياً أن تُواجهُونا أحياناً بأنفسكم وإلاّ فتراجعونا بالنّقير والقطمير وتذكّرونا دائماً بالتحرير مع السفير ومن خدّامنا من هو أبعد شقة منكم وأقدم صحبة وأكثر خِدْمةً لا يتحرّك بدون إشارتنا . ولا تَقِسْ هذه الطريقة بخُزَعْبَلاَت متشيّخي العصر وتُرَّهَات أرباب الخدع والمكر **فالشيخ المحقق واسطة بين المريد وربِّه والإعراض عنه إعراض عنه فلا تعلّموا رابطة صورتكم لأحد ولو ظهرت له فإنّه من تلبيس إبليس ولا تستخلفوا أحداً إلاّ بأمري فضلاً عن مزاحمتهم لخلفآء الأطراف** من نحو أرزنجان وبدليس ولئن تماديتم في التغافل الذي تستعملونه لنُعرض عنكم بالكلية وخَرْطُ القتاد دونه ومن أنذر

فقد أعذر والسلام ختام . قاله بلسانه ورقمه ببنانه حضرة العبد المسكين خالد النقشبندي المجددي الكردي العثماني . انتهى .

وقال فيه أيضاً بعد نقل صورة الإجازة والمقصود من ذلك أن حضرة سيّدنا ومولانا الشيخ خالد قدس سره لم يأمر المريدين أن يرابطوا بصورته المباركة إلا بعد أمر شيخه له بذلك وشهادته له بالكمال والوصول إلى الفناء والبقاء الأتمين ومن كان كذلك فيسوغ له ذلك . والعجب العجيب أنّ بعض مريدي هذا المنهيّ المزجور هم كذلك يأمرون المنتسبين إليهم بأن يرابطوا بهم فلا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم . وبعضهم بعد وفاته وانتقاله إلى الدار الآخرة أمروا المنتسبين إليهم بأن يرابطوا بهم وادَّعى بعضهم أنّ الميّت إذا انتقل إلى دار الآخرة لم يبق له التفاتٌ إلى الدنيا وهذا القائل خطؤه أشدّ من خطأ مدّعي الكمال في نفسه لأنّه يفهم من قوله إِنْكَارُ تصرّف الأولياء بعد موتهم نعوذ بالله من ذلك وكأنّه غفل عمّا هو متّفق عليه بين أهل الطريق .

ثم قال بعد كلام قليل واعلم أن جناب سيّدنا وشيخنا ضياء الدين الشيخ خالد النقشبندي المجددي قدس سره خرجت روحه الزكيّة من الدنيا إلى المقامات العليّة من الآخرة ولم يشهد لأحد من أصحابه بالكمال ولم يأذن لأحد بأن يجعل نفسه رابطة فيما نعلم بل كان ينهى عن ذلك أشدّ النهي كما قدّمنا لك بعضه .

وكان إذا سئل عن حال المريدين يقول ما عندي مريدٌ بل إسماعيل نصف مريد يعني جناب سيّدنا وشيخنا الشيخ إسماعيل القائم مقامه بعد وفاته قدس سره وجناب سيدنا الشيخ إسماعيل خرج من الدنيا ولم يأذن لأحد أن يرابط بصورته الشريفة مع أنّه مشهود له ببعض الكمالات من مرشده الكامل ومنصوبٌ مقامَه .

وكذلك جناب سيّدنا ومولانا وشيخنا الشيخ عبد الله الهروي قدس سرّه لمّا جلس مجلس الكمال بعد سيّدنا الشيخ إسماعيل قدس سره الجليل لم يأذن لأحد أن يرابط بصورته حتى انتقل إلى دار البقاء .

فانظر أيّها الأخ إلى أدب هؤلاء السادات الكرام الذين هم أخصّ رجال الطريقة العلية النقشبندية الخالدية .

وأنا الفقير إلى الله أقول لي بِهِمْ أُسْوَةٌ لا أرضى لأحد ممّن يحبّنا أن يرابط بغير حضرة جناب سيّدنا قطب العارفين الشيخ خالد قدس سره العزيز وقد أطلنا الكلام هنا لأجل التنبيه والتحذير من الاغترار بذلك لأنّ ضرره عظيم على المريدين **لأن المقصود من الرابطة طرد الغفلة ودفع الظلمة عن القلب وإبعاد وساوس الشيطان عنه والناقص هو عاجزٌ عن دفع الغفلة والظلمة وطرد الشيطان عن قلبه** فكيف بمن يستحضره ويُدلّك على أنّ سبب ادِّعاء الرابطة من بعض الناقصين حصول الأحوال في الابتداء ما ذكره الغوث الصمداني مجدد الألف الثاني قدس سره في بعض مكتوباته بقوله ولمّا كان في هذه الطريقة العلية اندراج النهاية في البداية ظهر للمبتدئين في هذه الطريقة أحوالٌ

تشبه أحوال المنتهين بحيث لا يفرّق بين هذين النّوعَيْن من الأحوال إلاّ عارفٌ حديد البصر من الرجال فعلى هذا التقدير لا ينبغي أنْ يجازَ صاحب تلك الأحوال فإنّ في هذه الصورة ضرر صاحب تلك الأحْوال أكثر من ضرر من يصير مريداً له إذ يحتمل أن يمنعه **تخيُّل الكمال عن الترقيات بل يمكن أن يوقِعه حصول الجاه والرياسة الّتي هي من لوازم مقام الإرشاد في البلاء فإنّ أمارته بعد باقية على كفرها** ولم تجد التزكية سبيلاً إليها ولا للقلب سياسة عليها . انتهى الخاني في « البهجة السنية »

الباب السادس والعشرون
في بيان أن الجاهل لا يجوز أن يكون داعياً إلى الله تعالى
وبيان بعض أوصاف الشيخ المرشد

سمعت شيخنا يحكي عن شيخه العالم الرباني الحاج جبرائيل أفندي قدس سرهما أنه قال إن الخلافة أمرٌ عظيم لا يجوز أن توضع إلا فيمن اجتمع فيه العقل والعلم معاً ولا يجتمعان في شخص واحد إلا نادراً . انتهى .

وسمعته ﷺ يقول في حق واحد من المأذونين ليس في ديارنا أحد أحسن أحوالاً منه إلا أنه جاهل والجهل لا يترك شخصاً إلا نقص منه شيئاً . انتهى .

وسمعته ﷺ يعيب على شيخ أَذِنَ لجاهلٍ ولو كان مشى على المقامات . وما قاله ﷺ يوافق بما في كتب أهل التحقيق .

قال الغزالي في « النصائح الولدية » **وشرط الشيخ الذي يصلح أن يكون نائباً للرسول ﷺ أن يكون عالماً** أي بعلوم الشرائع والأخلاق وبصيراً بعيوب النفس . **لا أنّ كلّ عالم يصلح له** . أي أن يتخذ شيخاً يقتدى به ومرشداً . انتهى « خادمي »

وفي « ترصيع الجواهر » وأما الصفات يعني صفات الشيخ المرشد فهي أن يكون عالماً بالشريعة على قدر ما يحتاجه المريد من الفقه وعقائد التوحيد بحيث يزيل الشبه التي تعرض للمريد في البداية وإن لم يكن متبحراً . ويكون عالماً كمالات القلوب وآفات النفوس وأمراضها وأدويتها وكيفيّة حفظ

صحتها واعتدالها وأن يكون على اعتقاد أهل السنة والجماعة وأن يكون عاقلاً بالعقل الديني والمعاشي وشجاعاً وعفيف النفس بل قال بعضهم أنه يجب على الشيخ أن يتعفّف عن مال المريد إلا من علم أنه يفرح ويستبشر بقبول ماله وأن يكون عالي الهمّة مشفقاً على المريد وحليماً وعفوّاً وحسن الخلق وصاحب إيثار وكريماً ومتوكلاً ومسلماً وساكناً في الحركات وثابت القدم في الإرادات وصاحب هيبة . فالموصوف بهذه الصفات متخلّق بأخلاق الله تعالى فيوصل المريد إلى الحق بإذنه في مدة قصيرة بشرط أن يكون المريد قابلاً . انتهى .

وفيه قبيل هذا والحاصل أنّ الشيوخ نوّاب الله تعالى في العالم كالرسل عليهم الصلاة والسلام فلهم حفظ الشريعة وحفظ القلوب ومراعاة الآداب وَحَظ الشيخوخة من العلم بالله تعالى أن يعرف من الناس موارد حركاتهم ومصادرها والعلم بالخواطر مذمومها ومحمودها وموضع اللبس الداخل فيها من ظهور الخاطر المذموم في صورة المحمود ويَعْرف ما لهم وما يَحْوُون عليه من الخير الذي يُرْضيه تعالى ومن الشر الذي يسخطه ويعرف العلل والأدوية ويعرف الأزمنة والسنين والأمكنة والأغذية وما يصلح المزاج وما يزعجه ويفسده ويعرف الفرق بين الكشف الحقيقي والكشف الخياليّ ويعلم التجلّي الإلهيّ والتخيُّل الشيطاني ويعرف التربية كما ذاق ويعرف انتقال المريد من الطفوليّة إلى الشباب إلى الكُهُولة ويعلم متى يترك التحكم في طبيعة المريد ويحكم في عقله ومتى تصدق خواطر المريد ويعلم ما للنفس من الأحكام وما للشيطان من الأحكام والأوهام وما تحت قدرة الشيطان

ويعرف الحجب التي تعصم الإنسان من إلقاء الشيطان في قلبه ويعلم ما تكنه نفس المريد مما لا يشعر به المريد ويفرّق للمريد إذا فتح عليه في باطنه بين الفتح الرحماني والفتح الشيطاني ويعلم بالتوسم أهل الطريق الذين يصلحون والذين لا يصلحون ويعلم التحلية التي تحلَّى بها نفوس المريدين الذين هم عرائس الحق وهم له كالماشطة تزيّنها فهم أدباء الله عالمون بآداب الحضرة وما تستحقه من الحرمة .

وبالجملة فالشيخ الكامل هو الجامع جميع ما يحتاج إليه المريد السالك في حال تربيته وسلوكه وكشفه إلى أنْ يتأهّل للمشيخة ومهما نقص شيئاً مما يحتاج إليه المريد فلا يحلُّ له أن يقعد على منصبة الشيخوخة وإذا تصدَّى للتسليك والحالة هذه **كان ضالاًّ مضلاًّ كالطبيب الجاهل يمرِّض الصحيح ويقتل المريض ويفسد أكثر مما يصلح** .انتهى ١٢ . نعم السالك الناقص الذي أذن له شيخه الكامل المتصف بما ذكر يجوز له ذلك لأنّ يدَه يدُ الكامل وتربيته وتصرفه تربية الكامل وتصرفه كما مرّ في الباب الثالث والله أعلم .

قال في « قلائد الجواهر » في ١٢ ومما ينسب إليه يعني عبد القادر الجيلاني ﷺ هذه الأبيات

إذا لم يكــن للشـيخ خمــس فوائد	وإلا فـقــد جــال يقود إلـى الجهل
عليمٌ بأحكـــام الشريــعــة ظـاهـراً	ويبحث عـن علم الحقيقـة عن أصل
ويظـهـر لـــلوُرَّاد بـــالبشر والقِــرى	ويـخضــع للمسـكين بالقول والفعل
فذاك هـــو الشيـــخ الـمــعظم قدره	عليم بـأحـكــام الــحرام مـن الحلّ
يُهذِّب طـــلاب الطـريـــق ونفسـه	مـهَّــذبة مــن قبل ذو كـــرم كـلـي

وقال ﷺ وصفة المقتدى به للسلوك أن يكون عارفاً بالعلوم الشرعية والطِبيَّة ومصطلح السادة الصّوفية ولا يستغني عن ذلك . انتهى .

وفي « شرح تائية السلوك » للعلامة الوحيد عبد المجيد الشرنوبي الأزهري قدس سره وكان سيد هذه الطائفة الإمام الجنيد يقول لا يستحق الرجل أن يكون شيخاً حتى يأخذ حظّاً من كل علم شرعيّ ويتورَّع عن جميع المحارم وأن يزهد في الدنيا وأن لا يشرع في مُدَاوَاة غيره إلاّ بعد فراغه من مداواة نفسه ثم قال وإياك ومتابعة من لم يكن على هذه الأوصاف فإنه من جنود الشيطان واعْتَبِرْ أقواله وأفعاله وأحواله وزِنْها بميزان الشريعة والطريقة فإن رأيت شيئاً مخالفاً لهما فردَّه فإن كان صاحب حال صحيح ورددته فما عليك من ردِّه بحكم الشرع ولا تتخذْه شيخاً ومرشداً انتهى ٢٠

وقال صاحب « الرائية »

وللشيخ آيـات إذا لـم تكـن لـه	فما هو إلاّ في ليالي الهوى يَسْرِي
إذا لم يكنْ علم لدَيْه بظاهر	ولا باطن فاضرب به لجج البحر
وإن كان إلاّ أنه غيرُ جامع	لوصفيهما جمعاً على أكمل الأمر
فأقربُ أحوال العليل إلى الردى	إذا لم يكن منه الطبيبُ على خبر

انتهى

وفي « تنبيه المغترين » للشعراني قدس سره إن الجاهل لا يجوز الاقتداء به لا في طريق الظاهر ولا في طريق الباطن راجعه وفي « المنن » في ٢٥ ج١

وسمعت سيدي عليّاً الخواص رحمه الله تعالى يقول قد أجمع أشياخ الطريق على أنّه لا يجوز لأحدٍ التصدُّر لتربية المريدين إلا بعد تبحُّره في الشريعة وآلاتها . انتهى راجعه .

وفيه أيضاً في موضع آخر في ٦٨ فمن أراد من الفقهاء أن يصحب أحداً من هؤلاء القوم فليعاشره وينظر فإن رأى أفعاله وأقوالَه[١] على الكتاب والسنة وعقيدته صحيحة فليصحبه وإلاّ فليتركه بعد أن ينصحه . انتهى .

وفيه أيضاً قبيل هذا ما معناه إنما كرامة الولي الاستقامة على الشريعة لا غير فهذه هي أعظم الكرامات . **ولقد** رأيت في عصرنا هذا شيخاً أُمِّيّاً يتكلَّم في الكشوفات والكرامات ويخبر ما ظهر له من خوارق العادات **وأظن والله أعلم أنّ سبب شيخوخة أكثر المتصدِّرين للإرشاد في ديارنا من طرف الكشف والكرامة فإذا ظهر لهم منها شيء ظنُّوا أنهم صاروا من الخواص** مع أنهم لم يضعوا قدماً واحداً في أوّل مقام من مقامات الإرادة فضلاً في مقام المشيخة .

ورأيت في هامش « ترصيع الجواهر » من منهوّاته هذه العبارة وقد قسم الكشف في « الذهب الإبريز » إلى قسمين نورانيّ وظلمانيّ وفرّق بينهما

بأنّ **النوراني** هو الاطلاع على الأشياء الباقية كالجنة واللوح المحفوظ .

(١) هكذا في النسخة التي بيدنا ولعلّ موافقة على الكتاب .



وأما **الظلمانيّ** فهو الاطّلاع على الأشياء الفانية كأن يطَّلع على ما في دور الناس من طعام وغيره وهذا النوع قد يحصل بالرياضة وهو غير مُعتَدّ به والسالكون يستجيرون منه . انتهى وقد مر الكلام في « الكشوفات » مبسوطاً في الباب الثاني والعشرون . فينبغي للعاقل أن لا يغترَّ بها والله وليّ التوفيق .

وسمعت شيخنا الحاج عبد الرحمن العسوي قدس سره يحكي عن شيخه الحاج جبرائيل أفندي روح الله روحه أنّه قال إنّ مهماتي وتصرُّفي استطاعتي على منع ظهور الكشف للمريد وعلى سلب الوجد والجذبة ممّن يظهر عليه . انتهى . يعني أنّ أكثرهما من الشيطان وأغلبهما من الحظوظات . فافهم .

البَابُ السّابعُ والعِشْرُونَ

في مسائل مُتفرّقة متعلّقة بأَحْوالِ المتشيّخةِ جرّهم الله تعالى وإياي إلى طريق الحق وسامحهم الله بحرمة السادات

وقد قصدت الآن أن أقصّر جُهْدَ المقلّ في ردّ شطحات المنكر المضل على هذا الباب تبركاً بالعدد الوتري لما أنّ الله وترٌ يحب الوتر .

قال الشعراني في « المنن » في الجزء الأول في ٦٨ ومراد جميع أشياخ الطريق بتسليكهم النّاس أن يوصلوا المريد إلى مقام العمل بالإخلاص الذي كان عليه السلف الصالح أو بَعْضه لا غَيْرُ فإن اشتغل أحدهم بعد ذلك بالعلم أو صلَّى أو صام أو حج أو تورّع أو زهد كان محفوظاً من الرّعونات التي تجرح مقام الإخلاص أو تحبط العمل . انتهى .

ولا يخفى أنّ تكميل الغير فرْع كمال الإنسان وهو درجة الولاية الخاصّة فمتى طلب الشيخ من دَعْوَته وتلقينه وإرشاده عوَضاً أو غرضاً أو حَظاً من حُظُوظات النفس فلا شك أنّ المريد يتبعه بالضرورة ولا يخلص في العبادة لأنّ للصّحبة تأثيراً عظيماً وقد يسرق الطبع بالطبع والمرء على دين خليله وقد صار اتباع المريد بمن لا يخلص في إرشاد الناس إلى الحق سبباً لهلاكه لإنّه قد يحصل التأثير في الأشياء بما عليه مُباشرها عند المباشرة شرّاً كان أو خيْراً بل ينتقل ذلك التأثير إلى الجمادات والمطعُومات ويسري منها ذلك التأثير إلى مَنْ يتعاطى بها ولقد أردت أن نبيّن ذلك بأبلغ بسط بإيراد المنافع النفيسة التي أكثر الخلق عنها غافلون .

قال عبد المجيد الخاني في « الحدائق الوردية » في ١٦١ في ترجمة عبيد الله أحرار قدس سره في قوله تعالى ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ هذه المعية **إما حسية** وهي مصاحبتهم ومجالستهم فمن داوم على ذلك نوّر الله قلبه بأنوار باطنهم وأنعم عليه بالتحقيق بأخلاقهم . **وإما معنوية** أن يكون متوجهاً لروحانيتهم رابطاً قلبه بهم بحيث يكون مستحضراً لهم غيبة وحضوراً فإنه إذا أحكم هذا الارتباط القلبيّ انعكس عليه جميع أسرارهم أو المراد من هذا الأمر الواجب الامتثال أن الطالب ينبغي أن يرابط قلبه بالصادق وهو من تنزّه عن الغير والسوى يقال رمح صدوق أي لا انحراف فيه ولا اعوجاج أي فلا ينبغي أن يلتفت إلى شيء آخر حتى التجليات الأسمائية والصفاتية أو المراد كن عاشقاً واصحب لا غير فإن كان استاذك نحويّاً فلا بدّ أن تصير نحويًّا أو محويّاً فمحويّاً جليس إمام النحو في النحو يرتع وصاحب قيس المحو يبرع في المحو لأنّ الله تعالى قد أعطى الإنسان صفة التأثير والتأثر بالصحبة ولهذا أمر بها فلا عمل أنفع ولا أجذب للأحوال منها بدليل جذبة من جذبات الحق توازى عمل الثقلين . انتهى .

وذكر محمد خاني في « البهجة » في ٥٢ والشيخ عبد المجيد الخاني في « الحدائق الوردية » في ١١٣ **أنّ النظر إلى وجوه أصحاب الأخلاق الذميمة والأفكار الفاسدة ينطبع في القلوب الصافية بما في قلوبهم بمجرد ذلك النظر** راجعهما .

قال عبد المجيد وقال الغزالي في « جواهر القرآن » واعلم أن المقصود من طهارة الثوب وهو القشر الخارج ثم من طهارة البدن وهو القشر القريب

طهارة القلب وهو اللب الباطن . وطهارة القلب عن نجسات الأخلاق أهم الطهارات كما سنذكره في القسم الثالث ولكن لا يبعد أن يكون لطهارة الظاهر أيضاً تأثير في إشراق نورٍ مّا على القلب فإنك إذا أسبغت الوضوء واستشعرت في نظافة ظاهرك صادفت في قلبك انشراحاً وصفاء كنت لا تصادفه قبله وذلك لسر العلاقة التي بين عالم الشهادة وعالم الملكوت فإن ظاهر البدن من عالم الشهادة والقلب من عالم الملكوت بأصل فطرته وأما هبوطه إلى عالم الشهادة كمثل الغريب عن خلته وكما ينحدر من معارف القلب آثار إلى الجوارح فكذلك قد يرتفع من أحوال الجوارح التي من عالم الشهادة وكذلك جعلها رسول الله ﷺ في الدنيا ومن الدنيا وقال « حبّب إليّ من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة » ولا تستبعد أن يفيض من طهارة الظاهر أثر على الباطن ففي بدائع صنع الله أمورٌ أعجب من هذا إذ **قد عرف بالتجربة أن الجَامِعَ في حال مباشرته لو أدمن النظر إلى بياض مشرق أو حمرة قانية**[1] **حتى غلبت تلك الصورة على نفسه مال لون المولود إلى ذلك اللون الذي غلب عليه** وأنّ الجنين وقت ما يتحرك في البطن تميل صورته إلى الحسن إن كان الأم مشاهدة في تلك الحالة لصورة حسنة بحيث غلبت تلك الصورة على نفسها ولذلك أمر رسول الله ﷺ المباشر عند مباشرته أن يحضر في قلبه إرادة صلاح المولود ويدعو الله بذلك فيقول اللهمّ جنّبنا الشيطان وجنّب الشيطان ما رزقتنا حتى يفيض الله مبادي الصلاح على الروح التي يخلقها عند القاء البذر في محل

(١) أي صافية

الحرث بواسطة الصلاح الغالب على قلب الحارث كما يفيض الله نور المرآة المحاذية للشمس على بعض الأجسام المحاذية للمرآة . انتهى .

وفي « **الشرعة** » ويمثل بين عينيه صورة رجل على أحسن خلقة وأقوم جثة ثم يطأ . انتهى أي لأنّ الولد يصير على صورة ما عليه المجامع والله أعلم . وهكذا في شرح « شرعة الإسلام »

وقال الشعراني في « المنن » ومما أنعم الله تعالى به عليّ كثرة شفقتي على ذريتي من قبل أن تحمل بهم أمهم **وذلك إني لا أجامع أمهم قط وأنا غافل عن الله تعالى وتبارك كما مر في نعمة قبله ولا أجامعها وأنا غضبان** ولا أنا مقبل على الدنيا ولا أنا مخاصم أحداً لحظ نفس ولا أنا حسود أو متكبّر على أحد من المسلمين وذلك كله عملاً بقول بعض [أهل] الكشف إن الولد يكوّنه الله تعالى بقدرته على صورة الحال التي كان عليها والده حال الجماع من باب ربط الأسباب بالمسببات . وهذا وإن لم يصح فيه شيء من الشارع ﷺ **فالتحرز منه أولى عملاً بكلام أهل الكشف** والله غالب أمره فلا أثر للطبيعة في تخليق الولد فافهم . فعلى ما قاله أهل الكشف ينبغي لمن كان متلطخاً بشيء من الصفات المذمومة شرعاً أن لا يجامع زوجته أيام توقع الحمل إلا بعد أن يتوب من كلّ ذنب توبة خالصة ثم يجامع .

وكان الشيخ أحمد بن عاشر المغربي شيخ تربة السلطان قايتباي رحمه الله تعالى لا يجامع زوجته من حين تحمل حتى تضع حملها وتعظمه خوفاً من الولد من الغيلة الواردة في الحديث وإن قيل بنسخ ذلك وكان إذا مدحوه على

ذلك يقول وهل ذلك إلا خلق البهائم فإن البهيمة بمجرد ما تحمل لا تمكن الفحل يعلوها أبداً . انتهى .

وكان سيدي عليّاً الخواص رحمه الله تعالى يقول ليتأمل الشخص في صفات أولاده فإن وجد صفاتهم حسنة فهي أخلاقه أو سيئة فهي أخلاقه من حيث النطفة نزلت من ظهْرِه بتلك الصفات فلا يلومنّ إلا نفسه . انتهى .

وفي « شرح الفصوص » والصور التي تشهدها المرأة أو تخيلها حال المواقعة لها تأثير عظيم في صورة الولد . قيل إن امرأة ولدت ولداً صورته صورة البشر وجسمه جسم الحيّة ولما سئلت عنها أخبرت بأنها حين المواقعة رأت حيّة . انتهى .

وفي « الباقيات الصالحات » وقال قدس سره في بيان كون الصحبة مع الأجانب والأغيار موجبة لفتور النسبة وقع يوماً فتور على وقت الشيخ أبي يزيد البسطامي قدس سره فقال لأصحابه قد دخل في مجلسنا هذا أجنبي قد طرأ عليّ فتور بسببه فالتمسوه فقال الأصحاب بعد تفتيش بليغٍ ليس في المجلس أجنبي فقال التمسوه من بيت العصا فالتمسوه منه فوجَدوا عصاً أجنبية فرموها بعيداً فكان الشيخ واجداً[1] لوقته في الحال وتبدلت تفرقة بجمعية وانشراح البال . انتهى .

وفيه أيضاً وقع الفتور على واحد لأجل نعل أجنبية في صف النعال فرموها خارج البيت فحصلت الجمعية وهكذا في « ترصيع الجواهر » راجعه .

(١) هكذا في نسخة التي بيدنا ولعله وجد .

وفي « الباقيات الصالحات » أيضاً وقال قدس سره إن تأثير الجمادات من أعمال الناس وأخلاقهم أمر مقرّر عند أرباب التحقيق . انتهى .

وفي « النفائس السانحات » أن السيد نور محمد البدواني قدس سره كان لا يأكل طعام الأغنياء أصلاً لعدم خلو أكثره من ظلمة الشبهة . جاء طعام من بيت واحدٍ من أهل الدنيا فقال تظهر منه ظلمة ثم قال لمولانا مرزاجان جانان قدس سره على وجه الالتفات أمعن النظر في هذا الطعام فتوجه إليه امتثالاً لأمره ثم قال إن الطعام من وجه الحلّ ولكن تطرقت إليه الظلمة والعفونة بسبب الرياء فيه . وإذا استعار كتاباً من أبناء الدنيا كان لا يطالعه إلى ثلاثة أيام قائلاً بأن ظلمة صحبة الأغنياء غشيت غلافه وجلده فإذا زالت ببركة صحبته كان يطالعه حينئذ . انتهى .

وفي « الرشحات » إن الاحتياط في اللقمة من اللوازم حتى ينبغي كون من يطبخ الطعام على طهارة كاملة وأن يوقد النار بالحضور والشعور .

وكان حضرة الخواجه بهاء الدين قدس سره لا يأكل من طعام صدر عند طبخه غضب أو كلام فاحش وكان يقول إن لهذا الطعام ظلمة لا يجوز لنا أكله .

وخرج حضرة شيخنا مرة وقت السحر للتوضؤ في قرية « تل كلاغلان » وهي قرية واقعة على فرسخين من سمرقند وكان في غاية البرد من فصل الشتاء وقد وقع ثلج عظيم ومرّ بباب المطبخ ورأى فيه غلامين قد ملأ القدور الكبار بالماء وسخناها لطهارة الأصحاب ويتكلمان في ذلك الأثناء بالهزل فوقف ودعاهما وغضب عليهما وطلب العصا ليضربهما وعاتبهما كثيراً وقال

ألم تعرفا أنه ينبغي أن يحضر القلب وقت تسخين الماء وطبخ الطعام وأن يحفظ اللسان عما لا يعني من فضول الكلام حتى يظهر نور الحضور في قلب من توضأ بهذا الماء أو أكل من ذلك الطعام **فإن الماء المسخن بالغفلة والطعام المطبوخ بالفترة تحصل منهما ظلمة في الباطن وغفلة** فشفع لهم مولانا لطف الله الذي من مقرّب الأصحاب ومقبول الأحباب فعفى عنهما ومضى لسبيله . انتهى .

وفي « الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية » للفاني في الله الشيخ عبد المجيد بن محمد الخاني الخالدي النقشبندي عفى الله عنه في ترجمة رئيس الطريقة بهاء الدين محمد نقشبند قدس سره وكان يصنع الطعام للفقراء بيده المباركة ويخدم مائدتهم بنفسه الشريفة وإذا اجتمعوا للطعام يوصيهم بالمحافظة على الحضور ويؤكّد عليهم في ذلك أشدّ التأكيد وكلّما أراد أحدهم أن يتناول لقمة مع الغفلة ينبّهه من طريق الكشف عليها ويمنعه من أكلها ويقول صدور الأعمال الصالحة إنما هو من الطعام الحلال إذا أكل مع الحضور ولا يحصل العبد الحضور في جميع الأوقات لاسيّما أوقات الصلاة إلا بهذا . وكان إذا قدم إليه طعام في حال غضب أو كراهية أو حصل فيه أدنى مشقة بل لو كان وضع فيه أحد مِلْعقة على هذا الحالة لا يمدّ يده إليه ولا يدع أحداً ممن معه أن يتناول منه شيئاً .

وروي أنه ذهب مرة إلى « غزيوت » فقدم إليه أحد مريده طعاماً فقال له كان صانعه منذ عجن عجينته إلى أن تمّ طبخه في حال غضب فلا يليق بنا أن

نأكل منه فإن كلّ ما جعل في مثل هذه الأحوال لا خير فيه ولا بركة بل يجد الشيطان فيه سبيلاً فكيف ينتج . انتهى في ٣٥

وفي « الرسالة الخالدية » وكذا في « المتممات » **لقمة الحضور تورث الحضور ولقمة الغفلة تورث الغفلة** .انتهى .

ولقد كان شيخنا ذو الجناحين الحاج عبد الرحمن العسليّ يهدّدنا من أكل الطعامّ المفعول بيد الحائضة وكنا لا نأكل ذلك الطعام ولا نترك أحداً من أضيافنا أن يأكل منه بل نسعى أن نفعله بيدنا فالحمد لله رب العالمين .

ضرر طعام الحائضة والغافلة

وقد كنت مرّة في حجرة عند مسجد في قرية « عَسَبْ » وكان بي من الأحوال ما يعجبني حتى كنت وقتئذ بحيث لا أفهم من أصوات الناس وقت محاورتهم ومكالمتهم إلا الذكر بلفظة الجلالة وكنت أجد جميع لطائفي تتحرك بحركات عجيبة بالذكر بحيث لا أطيق أن أسكنها ولو في الخلاء ومحلّ النجاسة . ففي ليلة سلب عنّي تلك الأحوال ولم أشعر سببه فطرأ عليّ من الندامة ما لا يوصف ثم عرَّفْتُ ما وقع لي الشيخَ المذكور قدس سره فقال لعلك أكلتَ طعاماً صنعَ بيد الحائضة وتوجه إليّ وقال قد حصل لك قبض عظيم . انتهى . وهذا بشؤم مباشرة شيء مسّ به يد تاركة الصلاة .

ورأيت في « تسهيل المنافع » أن المرأة الطامة يعني الحائضة تدنو من إناء اللبن تَسُوطه فيفسد وما ذلك إلا لشيء فصل عنها فوصل إلى اللبن وقد تدخل البستان فتضر كثيراً من الغرس من غير أن تمسه . انتهى ١٧٤

فيمن أكل الدنيا بالدين

وقد نهانا الشارع ﷺ عن الأكل من طعام المتكلّفين والمتباهين والمتفاخرين . كذا في « المنن » ولعلّ سرّ النهي أنّ النبيّ ﷺ قال « طعام البخيل داء » لأنّ البخيل يعطيه وفي قلبه ثقل فيورث للآكل منه ثقلاً وهكذا المتكلّف يصنع الطعام وفيه ثقل فاتحد العلتان . فافهمه . ومن أكل من طعام المتفاخرين يحصل منه التفاخر والتباهي بلا شكّ . وكذا تهدّدوا من أكل طعام من يأكله بدينه أي لئلا يصل للآكل أثر شؤم أكل الدنيا بالدين وهو أقبح من أكلها بالدنيا فليتدبر العاقل المنصف الغير المتعصب المتعسف كيف يكون حال من يأكلون الدنيا بدينهم من متشيخة هذا الزمان ويجعلون دعوتهم وإرشادهم شبكة لاصطياد الدنيا من أبنائها .

ولقد قال الفضيل ﷺ لأنْ آكل الدنيا بالطبل والمزمار أحبّ إليّ من أن آكلها بديني . انتهى .

ولقد لقيت واحداً منهم فكان الناس يَدُورُونَ حَوْله دوران الرحى ويُقَبِّلُونَ يده ويصافحونه ويُعْطُونه دراهم مَعْدُودَة حتّى قال لي من كان معه وقتئذ لعلّه وصل في كيسه عشرة تَوَامِينَ وهو سامحه الله تعالى وَجَدْتُهُ جاهلاً بالطريق جَهْلاً مُرَكّباً ولو علم الناسُ ما علمتُ منه لَمَا أَعْطَوْهُ ولو فلساً واحداً وقد أوصيته بالدعاء فقال لي إن المبالات بالدعاء لا تقع من القلب إلا في دائرته وقال لي اذكر (لا إله إلا الله) عشر مرات وصلّ على النبيّ عليه السلام كذا

فقلت في سرّي أقولها لا لقولك كما قال كذلك عيسى عليه السلام للشيطان وفارَقْتُ مِنْهُ بالوداع وداع مَنْ لا يرجع إليه ثانياً . ولا يخلو حال أمثاله من أمْرَيْن إما أن يكونوا صالحين في نفس الأمر أو غير صالحين

فإن كانوا صالحين ومُرْشدين كاملين فقد أكلُوا بدينهم وإن كانوا غير صالحين فقد أكلوا حراماً بالشرع لأنّ الناس لو اطلعوا إلى أنّهم ليسوا من أهل التربية والإرشاد لم يعتقدوهم أبداً ولم يعطوهم شيئاً بل ربّما يبصقونهم على وجوههم ولم يجالسوهم .

وفي « تنبيه المغترين » للشعراني وكان وهب بن منبه يقول من طلب الدنيا بعمل الآخرة نكس الله قلبه وكتب اسمه في ديوان أهل النار . انتهى .

وفيه أيضاً وقد قيل لابن مبارك رحمه الله تعالى مَنِ الناسُ عندَك فقال العلماء العاملون المخلصون . قيل له فمن الملُوك قال الزهاد في الدنيا . قيل له فمن السفلة قال الذين يأكلون الدنيا بعلمهم وعملهم ودينهم . انتهى .

وفيه وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول إذا طلب العالم الدنيا ذهب بهاؤه .

وكان الحسن البصري يقول عقوبة العلماء تكون بموت قلوبهم وموت قلوبهم يكون بطلبهم الدنيا بعمل الآخرة فيتقربون بذلك من أبناء الدنيا . انتهى .

وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول قرأت في بعض الكتب المنزّلة أنّ أَهْوَن ما أنا صانع بالعالِم إذا طلب الدنيا بعلمه أن أحرمه لذيذ مُناجاتي .

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ يَقول إذا رأيتم العالم يحبّ الدنيا فاتَّهِمُوه في دينه فإنّ كل محبٍّ يخوض فيما أحبّ . انتهى .

وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول لولا نقصٌ دخل على أهل القرآن والحديث لكانوا خيار الناس ولكنهم اتّخذُوا علمهم حرْفة ومَعَاشاً ولذلك هانوا في ملكوت السموات والأرض . انتهى « تنبيه المغترين »

وقال الشعراني ولو جُعْتُ وعرَيْت لا آكل ولا ألبس بالدين . انتهى راجع « المنن » قال الله تعالى ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ .

قال الإمام البركوي رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي بعمل الآخرة . انتهى .

ولا شك أن من طلبَ الدنيا بدينه وجرَّ الناسَ إلى جانبه بغُرورِ حِيَلِه محضاً لجلب الدراهم والدنانير لا طلباً لرضاء خالقه وامتثالِ أمْره فَتسْمِيَتُهُ باسم الشيطنة ألْيَقُ من تسميته باسم المشيخة ويَدْخل كلّ مَنْ لم يَعْترضه في وعيد المداهنة ولا يجوز لأحد أن يُصاحبَه بالمُداراة إلاّ إن كان قصْدُه بالمُصاحبة أن يجرَّه تدريجاً إلى الحق بالمسارقة ويخرجَه عمّا هو فيه بالمناصحة عافاهم الله تعالى وإيانا عمّا لا يليق بشأن الربوبية فبالنظر إلى ما مرّ من هذه النقولات تيقّن تأثُّر الجمادات بأحْوالِ مَنْ يَصْحَبُها بالمباشرة . ولا يخفى أنّ التابعين لهؤلاء المتشيّخة مع اتحاد جنسيّتهم يُوقعُونهم في المهلكة

مع أنّهم ظانون أنّهم على حالة مَرْضِيّة لأنّهم بصُحْبتهم يسارقون أحوالهم السيّئة ويتعدَّى منهم إليهم ما في بَواطنهم من حُبّ هذه الفانية ويتصرّف فيهم الشيطان كما يتصرف الصبْيَان بالكرّة مع أنه ليس معهم نُورٌ إلهيٌّ بلا مِرْيَةٍ لأنّ تلقينهم لهم صار خالياً عن نور النسبة والمَعْرفة فلذا تسبّب الشيْطَانُ في إهلاكهم بقوّته الغضبيّة وقد هداهم إلى رؤية أنفسهم الأمَّارة قائلاً إنّكم على شيء عظيم من العُبُوديّة وغَيْرُكُمْ أدْنى مَقاماً منكم وأنتم الأعلون بالخصوصيّة كلاّ وكلاّ بل أرْداهُمْ في مهلكة العُجْب والأنانيّة بحيث لا رجاء للخلاص منها ولو بشيء من الحيلة ولعلّهم صاروا بكثرة صَلاتهم وعباداتهم وأذكارهم المأخوذة من شيوخهم في زعمهم مُعْجِبينَ[1] مدلين وقد جَهلُوا ما ورد في الخبر « إنّ صَلاة المدل لا ترفع فوق رَأْسه ولأنْ تضحك وأنت مُعْترفٌ بذنبك خيرٌ من أن تبكي وأنت مدلٌّ » ولقد كانوا قبل الأخذ منهم خائفين من الله منكسري القلب ظانّين أنهم من المستحقين لعذاب الله نادمين على ما فعَلوه من مخالفة أمْرِ الله ولا يخفى[2] أنّ هذا خيْرٌ لعباد الله من أن يَعْبُدُوه عبادة الثقلين مُعْتَقدين أنهم بمكان عند الله كيف لا وقد قال التاج ابن عطاء الله في « حِكَمِه » معصية أورثت ذلاًّ وافتقاراً خيْرٌ من طاعة أورثت عزّاً واستكباراً

---

(١) والعجب هو استعظام النعمة والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى المنعم فإن انضاف إلى ذلك إن غلب على نفسه أنّ له عند الله حقّاً وأنّه منه بمكان حتى يتوقع بعمله كرامة في الدنيا واستبعد أن يجري عليه مكروه استبعاداً يزيد على استبعاده ما يجري على الفساق يسمّى هذا إدلالاً بالعمل فكأنه يرى لنفسه على الله دالّة كذا في « الإحياء » في ٢٨١ من ربع المهلكات راجعه (منه)

(٢) أي الكون على هذا الحال والخوف . (منه)

ولا شكّ أنّ شيخَهُمْ في زعمهم هو السبب الظاهر لوُقوعهم في هذه الورطة لأنّهم استكبَرُوا به استكباراً وظنوا أنهم بتعلّقهم به صارُوا آمنين من عذاب الله تعالى وبعباداتهم المخلوطة بالشوائب المحبطة عُدُّوا من أخصّ الخواص من أهل الله حاشا ذلك وكلاّ بل شيْخُهُمْ في زعمهم أرْداهُمْ في المهالك وسَلَّمَهم إلى أيدي الشياطين(١) ليتصرّفوا فيهم بما أرادُو منهم وجرَّهم الإبليس بحبل غروره إلى ذَنْبٍ طرّده الله عن رحمته لأجله وحَثّهم إلى أن يقول كلّ منهم أنا خيْرٌ منه . ولم يُبالوا سوى كثرة العبادات بل اعتقدوا في نفوسهم أنهم من أخْيَرِ عباد الله مع أنهم في الحقيقة عبدة الحظوظات . **وأحسن أحوالهم أن يعبدوه تعالى للخوف من النار أو للطمع في نعيم الجنان فلا شك أنّهم صاروا عبدة الثواب .**

وقد قال الغزاليّ في « الإحياء » إن العامل لأجل الجنّة عامل لبطنه وفرجه . انتهى . فما أخس همّة من يعبد الله تعالى لأجل الجنّة مع أنّ الله تعالى يقول ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ الآية فانظر إلى نكارة قوله ﴿شَيْئًا﴾ وكن عالي الهمّة لعلّ الله ينزل بك شيئاً من الرحمة الهابطة وسيأتي إن شاء الله تعالى أن الأصنام المعنوي كالأصنام الحسيّة على حد سواء . وقد صدق القائل في حق هؤلاء المدّعين أنّهم قطاع طريق الله كيف لا وقد دلّوهم إلى أن يعبدوا لأنفسهم ويتخذوا أهْواءَهم آلهة وهم يحسبونَ أنهم يحسنون صُنْعاً والمقصود من إيجاب الله تعالى جميعَ العبادات على عباده تعالى أنْ

(١) كيف لا وقد قالوا ومَنْ ليس له شيخ فشيخه الشيطان فافهم (منه)

يُقرُّوا له بالذلِّ والافتقار وأن يخضعوا رقابهم له مُعْترفين بالربوبيّة فإذا فقد هذا فأيّ فائدة من العبادة وأيّ ثمرة من الرياضة وإنّما الثمرات منها هي مَحْوُ البشريّة باستيلاء أوصاف الربوبيّة وخروج النفس من الأنانيّة ولا نفع في شجرة لا تجنى منها ثمرة . والله ولي التوفيق .

وقد روي أنّ إبليس عَبَدَ الله تعالى ثمانين ألف سنة ثم بعد ذلك تَكَبَّر وقال أنا خَيْرٌ منه وبذلك وقع فيما وقع ولقد وَجَدْنا في مريدي مُتشيّخي زماننا رَوَائح رؤية نفوسهم على سواهم بل علمنا منهم أنّهم يظنّون بهم[1] خيْراً ويُسيئُون بغيرهم ظنّاً . وأخبرنا بعض الثقات أنّ شيْخَهم في زَعْمهم هدَّد لهم من الاجتماع بالطائفة النقشبندية ولو علم هذا البعض - سامحه الله تعالى وإيانا بفضله وهدانا وإياه إلى سبيله - ما عليه النقشبنديّة من الحضور الدائم لأمَرَهُمْ بعدم افتراقهم منهم أبداً ليأخذوا من أنوار قلوبهم حَظّاً .

وهذا التهديد من علامة الجهل المركب بتراكم الرَيْنِ على القلب ولعلّه تعصّب وتحزّب وكأن سره قد تخرَّب ولم يذق ما ذاقه أهل الله وما جرَّب ولو كان شيخاً ما تحجَّر وما تعصَّب ولا يتحجَّر على المريد إلاّ من أحبّ الجاه ولم يحسن ظنّه بمَنْ أناب .

وأخبرنا أخونا العالم الرباني المأذون الحاج حبيب الله رزقه الله الاستقامة دائماً ووفقنا وله سرمداً إني اجتمعت مرّة مع الاثنين من متشيخة الزمان في ذلك المجلس واحد من مريدي قطب الأولياء سيدي الحاج عبد الرحمن

---

(١) أي بأنفسهم .

العسلي قدس سره وجعلنا الله تعالى مقبولين عنده اللهم آمين فإذا توجهت قلبي إلى قلوبهما كنت تنعكس إليّ الخطرات المتراكمات والهواجس المتزاحمات وإذا توجّهت قلبي بقلب ذلك المريد كنت ينعكس إليّ الحضور بحيث أكاد أفني الوجود . انتهى .

وماهية الشيخ هو الدليل إلى الله تعالى فمن أراد أن يعرف الشيخ الكامل ويميّزه من غيره فليقابل قلبه بقلبه فإن انتفى عنه الخواطر أو نقص فهو الشيخ الكامل وإن زاد على قلبه خطرات فهو الناقص المنتحل وهذا من دلائل معرفة الشيخ . كذا ذكره الخادمي في شرحه على « النصائح الولديّة » للغزالي قدس سرهما .

وقال لي أبونا العالم الرباني أدرة العرادي أدخله الله بُحْبُوحَةَ الجنّة المعجّلة آمين إنّ الناسَ يظنّون أنْ ليس في قلوبهم شيءٌ من محبطات الأعمال من الرياء وغيره وليس كما ظنّوا بل إنهم لا يَعْرِفُونها ولا يتفحَّصُون عنها وكذا لم يُدْرِكُوها وظنّوا أنهم خالصون منها . انتهى .

وهو كما قال ﷺ وجزاه عنا خير الجزاء لأنّ أكثرهم لا يعرفون القلب ولاَ مَحَلَّهُ حَتّى أن أبعاضاً منهم لا يجوزونَ استعمال الذكر بالقلب ولا يخفى أنّ القلب مَنْبَتُ الأخلاق المَذْمومات ومنبع المهلكات الموبقات ومحلّ النجاسات المعنويّات فلا شك أنّ مَنْ لا ينظر إلى النجاسة ولا إلى محلّها لا يبصرها ومن لا يَعْرِفُ محلّها لا يغْسِلها ولا يمكنُ تطهيرُها إلاّ باستعمال الماء على مَوْضعها فافهمه .

ومن يدّعي على خلاصه من شوائب المهلكات الباطنيّة ولو كان على شيء من العبادات البدنيّة فهو في غرور وعن إدراك الحق في ذهول وكيف لا وقد كان سلطان العارفين وملجأ العلماء مذهب الأئمة المجتهدين عبد الوهاب الشعرانيّ يجاهد نفسه قبل اتخاذ الشيخ له ومن جملة مجاهدته ﵁ بغير إرشاد من الشيخ **أنه كان يجعل حبلاً في سقف البيت محرراً** على عنقه إذا جلس لئلا يصل إلى الأرض **لو اضطجع فكان يجعله في عنقه من العشاء إلى الفجر فكان على ذلك سنين ولم يكن له علاقة دنيوية** تعوقه عن المجاهدة والوصول إلى المقصود سوى كثرة وجود العلل في أعماله وكانت القناعة من الدنيا باليسير سداه ولحمته وكان يعرضون عليه ألف دينار أو أكثر فكان يردّها ولا يقبلها وكانت المباشرون والتجار يأتون بالذهب والفضة فينشرهما في صحن جامع الغمري فيلتقطهما المجاورون وترك أكل لذيذ الطعام ولبس الخَشِن والمرقعات من شراميط الكيمان نحو سنتين ولم يباشر حرفة ولا وظيفة له معلوم دنيويّ من منذ بلغ وأكل التراب لما فقد الحلال نحو شهرين وكان لا يأكل طعام أمير ولا مباشر ولا تاجر يبيع على الظلمة ولا فقيه لا يسدّ في وظيفته ويأكل معلوماً ولا غيرهم من المتهوّرين في كسبهم ونفر من جميع الناس ونفروا عنه وكان يقيم في المساجد المهجورة والأبراج الخراب مدّة طويلة وأقام في البرج الذي فوق السور من خرابة الأحمديّ مدّة سنة وقال قدس سره وما رأيت أصفى من تلك الأيّام . وكان يطوي ثلاثة أيام أو أكثر ثم يفطر على نحو أوقية من غير زيادة وضعف بشريته وقويت روحانيته

حتّى كان يصعد بالهمّة في الهواء إلى الصاري[١] المنصوب على صحن جامع الغمري فيجلس عليه الليل والناس نائمون ثم إذا نزل من السلم إلى الجامع كان ينزل بجُهْدٍ وتعب لغلبة روحانيّته وطلبها الصعود إلى عالمها فإنّه لا يثقل الإنسان في الأرض إلا كثرة الشهوات وكان لا يأكل قط طعام فقير لا كسب له من المتعبّدين في الزوايا من غير كبير اشتغال خشيةً أن يكون ممّن يأكل بدينه وهو لا يشعر وكان لا يأكل إلا عند أوائل درجة الاضطرار وذلك حين لا تجد أمعاءه شيئاً تشتغل به فيلذغ[٢] بعضها بعضاً وكان إذا افتتح مجلس الذكر بعد العشاء لا يختمه إلا عند طلوع الفجر ثم كان يصلّي الفجر ويذكر إلى ضحوة النهار ثمّ يصلّي الضحى ويدخل الظهر فيصلي الظهر ثم يذكر إلى العصر ومنه إلى المغرب ومن صلاة المغرب إلى العشاء وهكذا فمكث على ذلك نحو سنة وكان كثيراً ما يصلي بربع القرآن بين المغرب والعشاء ثم يتهجّد بباقيه فيختمه قبل الفجر وربّما كان يصلّي بالقرآن كلّه في ركعة وكان نومه غلبة وإذا غلب عليه النوم كان كثيراً ما يضرب أفخاذه بالسوط وينزل ثيابه في الماء البارد في الشتاء حتى لا يأخذه نوم وبالغ في الورع حتى كان لا يأكل من فراغ الحمام لأكلها من زرع الناس ما قد لا تسمح نفوسهم وكان لا يمشي في ظلّ عمارة أحد من الولاة وأعوانهم . وهذه المذكورات نبذة من أنواع مجاهدته ورياضاته فمن أراد الزيادة فليراجع إلى « المنن الكبرى »

(١) الصاري الخشبة

(٢) بمعنى يلدغ .

ثم قال رحمه الله تعالى مع كونه على هذه العبادات وقد كنت قبل اجتماعي بأهل الطريق أتخذ أعمالي كلّها وسائل إلى تحصيل أغراضي فإن حصلت تلك الأغراض ثبت على ذلك وإلا تحوّلت منه فلما اجتمعت بأهل الطريق قالوا لي اجعل أعمالك مقاصد لتحضر فيها مع الله تعالى ولا تتّخذها وسائل فتموت ولا تصل إلى مقصودك فقرّبوا عليّ الطريق فلو لم يكن في الاجتماع بهم إلا هذه الخصلة لكان فيها كفاية . انتهى من « المنن »

وهكذا كان الإمام الغزاليّ مع كونه حجّة الإسلام بعد اجتماعه مع شيخه محمد الباذغاني قدس سرهما يقول ضيّعنا عمرنا في البطالة وترك محلّ التدريس قائلاً هذا محلّ تلاعبنا مع الصبيان .

وقال العلم حجاب يعني لعدم وجدان فيه الإخلاص قبل الاجتماع بأشياخ الطريق وإلا فالعلم كله موصل إلى الله .

وقد نقل القشيريّ رحمه الله فلو أنّ رجلاً جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس كلّهم لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة من شيخ أو إمام أو مؤدّب ناصح . ومن لم يأخذ أدبه من أستاذ يريه عيوب أعماله ورعونات نفسه لا يحل الاقتداء به في تصحيح المعاملات . انتهى .

وكان الشيخ عز الدين مع أنّه لقب بسلطان العلماء يقول ما عرفت الإسلام الكامل إلاّ بعد اجتماعي على الشيخ أبي الحسن الشاذلي ﷺ وأرضاه .

وقال الشعراني ﷺ ولم أتحقق بأن الإنسان لا بدّ له من شيخ إلا حين اجتمعت بهؤلاء المشائخ وكنت قبلُ أقول كما قال غيري وهل ثمّ طريق

توصل حضرة الله تبارك وتعالى غير العمل بما بأيدينا من الشريعة يعني على مصطلح غير القوم حتى وجدت الأمر بخلاف ذلك . انتهى من « المنن »

ولا تظن يا أخي أنّهم كانوا يعملون خلاف ما عملوا من علوم الشريعة أو أنهم ضمّوا تلك العلوم وما عملوا بها ولذا قالوا ما قالوا بل كانوا على حدّ الاستقامة وفق الشريعة المحمّديّة لكنهم لم يعرفوا ما في عباداتهم ورياضاتهم وعلومهم من العلل القادحة في الإخلاص ثمّ بعد ذلك لما اقتدوا بالشيوخ وجدوا أعمالهم مشوبة بشوائب الأغراض والحظوظ وعرفوا أنّ الخلاص للإنسان بالإخلاص ولذا قالوا ما قالوا فافهم .

و لقد قيل في « الإحياء » ما معناه لو سلم له من عمره لحظة واحدة خالصة لوجه الله نجا وذا لعزة الإخلاص ولعسر تنقية الأعمال من شوائب الرياء .

وفي « الإبريز » قال الشيخ ﷺ وأن ترتفع همّتك إلى طريق الفقر وهو طريق التصوّف فاطْرَحْ هَوى نفسك فيما تختاره لنفسها من وُجُوه التعبّدات وأنواع القربات دون أن يأمر بها الشيخ وباعد هواها في ذلك مُبَاعَدَتك للشرّ . يريدُ أنّ فلاح المريدِ فيما يختاره له الشيخ لا فيما يختاره لنفسه وإن كان يختار هو لنفسه هلك .

قلت وكم من مريد سقط من هذا الباب لأنّ المريد قبل الفتح عليه إذا اختارت له نفسه الإكثار من النوافل والصيام والقيام فربّما كان ذلك لشهوة السُمْعَة والرياء فيصيرُ عمله لغير الله عزّ وجلّ فإذا رحمه الله بالشيخ المربّي

وجمعَه به فإنّه يرى تلك العلّة فيه فيُريد نقله عنها فإنْ ساعفه المريد وسبقت له العناية من الله تعالى دَلَّهُ على ما يليق به وانتقل به إلى حالة مَرْضيّة عند الله تعالى وإن لم يساعفه المريد وقال جئناه ليزيدنا وجَعَل ينْقصُنا وخسرت نيّته في شيخه المربّي فهذا قد استحوَذ عليه الشيطان واستحكمت فيه علّة الرياء والخسران نسأل الله تعالى السلامة والعافية بمنّه وكرمه . انتهى .

وفيه أيضاً وقد رأيت بَعْضهم جاء إلى شيخ ﷺ وأراد أن يتخذه وسيلة وكان على غاية الإكثار من العبادة حتى إنّه يقرأ في كل ليلة ختمة من القرآن ويقرأ دَلائل الخيرات في النهار عدّة مرات ويصوم الدهر ولا تلقاه إلاّ أصْفَرَ اللون كأنّه من أهل القبور فلم يزل الشيخ ﷺ ينقله عن درجة إلى درجة ومن حالة إلى حالة حتى رَدّه إلى مقام التوسط ثمّ قال له الشيخ ﷺ ذات يوم كمْ مِنْ تَعْبٍ أراحك منه يا فلان فقال جزاك الله عَنّا خيْراً يا سيدي فإنّما كانت أعمالنا رياء فلغير الله كنا نعبد وأراحنا الله من ذلك ببركتك .

وقال لي الشيخ ﷺ يَوْماً إنّ هذه النوافل إذا لم يفعلها الشخص فإنّها لا يحاسب عليها وإنْ فعَلها بنيّة أن يراه الناس ويمدحوه عليها فإنّه يعاقب عليها في الآخرة ويخلى دار أبيه عليها . قلت لأنّ الرياء معْصية .

وسمعته ﷺ يقول إنّ المحجوبَ لا يَخْلُو من الرياء والسمعة إلاّ إذا كان يرى في كلّ لحظة أنّ أفعاله مخلوقة له تعالى لا يغيب عنه ذلك في حالة الفعل ومَهْما غاب عنه طرفة عين وقع في الرياء والسمعة والعجب . انتهى .

ولقد قال شيخنا ذو الجناحين العسوي قدس سره **لا يخلو الإنسان من الرياء إلاّ إذا وصل إلى مقام يشهَدُ فيه أن لا فاعل ولا محرّك في الوُجود إلاّ الله سبحانه** . انتهى .

قلت وذلك المشهد يَحْصُلُ للسّالك في مُراقبةٍ وحينئذ يضمحلّ كسب العبد لظهور خلق الخالق تعالى على كسبه والله أعلم بالصواب .

ولكن قال جامع القطبتين الشيخ محمّد ذاكر قدس سره في « تبصرة المرشدين » في بيان المراقبات ثم بمراقبة الروح وصفائه بظهوره بالنور الأصفر في عالم المثال عند البعض وبالأحمر كما في « المكتوبات » وكماله وبتجلي الصفات الثبوتية فحينئذ لا يضيف العبد كمالاته إلى نفسه بل إلى الله تعالى فيأمن من العجب ونحوه من المهلكات . انتهى .

فعلى العاقل أن يتدبر في نفسه ويَعْتَبِرَ هل هو مُتَّصفٌ بذلك المشهد أم لا فإن كان متصفاً به فيجب عليه الشكر دائماً وإلاّ فاللاّئق له ترك الدعوى وطلبُ مَنْ يدلّه إلى كَسْب ذلك المقام الأسْنى .

ونقل المحقق محمّد علي الچوخي في « فتاواه » من كتاب « أدل الخيرات » أشياء نافعة ومن جملتها

وينبغي للعاقل أن يصحّح نيّة العبادة المحضة لله تعالى حتى ينخرط في سلك المقرّبين لأنّهم عبدوا الله تعالى خاصّة من غير عوض ولا غرض نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم بجاه النبي ﷺ . انتهى .

وفيه أيضاً في أول الكتاب ما لفظه منها أي من فوائد الصلاة وفضائلها امتثال أمر الله تعالى وهذه الفائدة أعظم الفوائد وهي العبودية المحضة لأنّها أشرف مقامات العبد إلى آخر ما ذكر فيه فراجع .

وعبارة الإمام السنوسي في « شرح أم البراهين » بعد ذكره فضائل الذكر والصلاة ونحوها وليقصد بذلك كله امتثال أمر الله تعالى وطلب رضائه . انتهى .

وكتب عليه العلامة الدسوقي ما لفظه ولا يقصد أن يكون وليّاً لأنّه لا ينبغي بل قال بعضهم من قصد بالذكر أن يكون وليّاً كانت عبدة الأوثان أحسن منه من هذه الحيثيّة لأنّ عبدة الأوثان يقصدون بعباداتهم التقرّب إلى الله تعالى وطلب رضاه وهذا الشخص إنّما يقصد منفعة نفسه لا لاِمتثال أمر مَوْلاه ورضاه انتهى .

وفي كتاب « الجواهر والدرر » ما له بهذا المذكور شَبِيهٌ فراجعْهُ .

وقال الشعراني في « لطائف المنن » وقد سمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول **لا فرق بين عبّاد الأصنام وبين مَنْ يعبد الله تعالى لغرض فاسد فإنّ الأصنام المعنويّة كالأصنام الحسيّة على حدّ سواء لأن كلاًّ من العابدين اتخذ من دون الله تعالى ما لم يأذن به الله** وهم في ذلك على طبقات .

فمنهم من قصَدَ بعلمه وعمله وما يقع على يديه من الخيرات حصول المكانة في قلوب الناس ودوام الصيت وانتشار الجاه .

ومنهم مَنْ يقصد بعلمه وعمله إعلاءَ الدرجات وظهورَ الكرامات والتصْريفَ في الكون والمشي على الماء والطيرانَ في الهواء وكشفَ الغيُوب .

ومنهم مَنْ لم يقصد بعلمه وعمله شيئاً من أمور هذه الدار إنّما يَقْصد بذلك الحورَ الحسان ودُخولَ الجنان وغير ذلك من ثواب الآخرة .

ومنهم مَنْ يقصد بذلك السلامةَ من النار والخوفَ من الحساب والعقاب وما أعده الله تعالى لأهل تلك الدار من النكال والوبال .

ومنهم من يقصد بعلمه وعمله التقربَ إلى الله تعالى والرضاء عنه والمحبة له .

ومنهم مَنْ لا قصد له في علمه وعمله إلاّ علمه باستحقاقِ مَولاه العبادة والتذلّل والخضوع والوقوف عند أمْره ونهيه قد تبرّأ من الاعتماد على حوله وقوّته وعلمه وعمله وقصده وإرادته فأتى بأعماله على وجه الإخلاص وهو خائف من الله تعالى لا يرى أنّه قام بذرَّة واحدة من الأمور الّتي كُلّف بها على الوَجه الذي أمِرَ به . ومن هنا يترقى السالك في مراتب إخلاص الخواص التي كلّ ذرّة منها تعدل عبادة ألف سنة من عبادة أهل تلك الأقسام السابقة . فاعلم ذلك واعمل به والحمد لله رب العالمين . انتهى ٣١٣

قال الشيخ مَوْلانا الجامي في « شرح الفصوص » **واعلم** أنّ عباد الله الذين ليس للشيطان عليهم سلطان هم العارفون الذين يَعْرفُونَ مَداخِلَهُ الواقفون مع الأمر الإلهي لا يبعدون عنه والموحِّدون الذين لا يرون لغير الله وُجُوداً لا يعلمون الأشياء إلاّ مظاهره ومجاليه فتكون عبادتهم وحَركاتهم وسكناتهم

كلها بالله لله من الله إلى الله قال تعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ والذين يعبدون الله من حيث أُلوهيته وذاته المستحق للعبادة لا من حيث أنّه مُنْعِمٌ أو رحيم فإنّ عبد المنعم لا يكون عبد المنتقم وعبد الرحيم لا يكون عبد القهّار ولا لدُخول الجنة ولا للخلاص من النار فإنّه حينئذ عبد حظه وأسيرُ نَفْسِهِ فلا يكون عبد الله لذلك أضافهم الحق إلى نفسه في قوله تعالى ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ .

وفيه أقول

وعشنا زماناً نعبد الحق للهوى	من الجنة الأعلى وحسن ثوابه
فلمّا تجلّى نوره في قلوبنا	عبدْنا رجاء في اللقاء وخطابه
فمزج أنواع العبوديّة للهَوى	سوى من يكن عَبْداً لعزِّ جنابه
ونعبده من غير شيء من الهوى	ولا للنوى من ناره وعقابه

ولا بدّ أن تعلم أنّ هؤلاء محفوظُونَ من الأعمال الشيطانيّة لا من الإلقاءات والخواطر كما قال تعالى ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ الآية . انتهى .

ولقد لقن بعض المأذونين الذكر القلبيّ لبعض من العلماء الذين كان[1] في دائرة بعض من المتصدرين للإرشاد ثم إذا علم ذلك البعض المتصدّر دخوله في عهد ذلك المأذون النقشبنديّ أظهر بين الناس قوته الغضبية وهجر منهما وتكلّم خلفهما بكلام جاف مغضباً عليهما وكتب إلى ذلك المريد مكتوباً بأنّه

(١) هكذا في النسخة التي بيدنا ولعله كانوا

صار من المجرمين المنكرين يعني لخروجه من دائرته ودخوله في طريقة[1] قال رئيسها وإمامها الغوث الأعظم محمّد نقشبند قدس سره **المعرض عن طريقتنا فهو على خطر من دينه** ونمّ على ذلك الملقن نميمات هو عنها بريء وأفشاها في الورى عند الخواص والعوام . وهذا ليس من أخلاق الكاملين بل يجب على كلّ أحد أن يحبّ كل من أطاع الله ولو كان بمصاحبة غيره .

قال الشعراني في « المنن » ومما منّ الله تبارك وتعالى به عليّ محبّتي لكلّ مَنْ كان أكثر طاعة لله تعالى مِنِّي **وترجيح محبّته على محبّتي لنفسي** محبّةً في رَبّي عزّ وجلّ لأنّي أعلم أنّ من كان أكثر طاعة لله تعالى فهو أحبُّ إليه ومن أدب كلّ عبد أن يحبَّ كلّ مَنْ يحبُّه سيّده وهذا خلق غريبٌ لا يثبت فيه إلاّ مَنْ خرج عن حُبّ الرياسة ونَشْرِ الصيت وأمّا مَنْ يحبُّ انفراده بالصيت فلا يكاد يحبُّ أحداً من المطيعين والمتقين خوفاً منهم أن يُطْفِؤُا صيتَهُ وكفى بذلك مَقْتاً من الله تعالى وما يضرّ العبد أن لو كان الناس كلّهم صالحين عالمين عاملين وَرعين زاهدين فإنّ في ذلك الشرف العظيم لدين محمد ﷺ .

فليمتحن مَنْ يدَّعي الإخلاص نفسه بما إذا فارقه تلميذه الذي يزعم أنّه كان يحبّه ويخدمه سنين ولم يُفتح عليه ثم إنّه اجتمع بأحد من الأقران ففتح عليه فإن رأى نفسه تنشرح لذلك فليشكر الله تعالى وإلاّ فليحكم على نفسه بالرياء والنفاق فإنّ المخلص يفرح بهداية الناس بأيّ وجه كان لا سيّما إِنْ قالوا إنما لم يفتح لذلك الفقير على يَدِ فلان لكون فلان ليس له قدم في

---

(١) هكذا في النسخة التي بيدنا ولعله الطريقة

الطريق . فإنّ المرائي يكاد يتميَّز من الغيظ بخلاف المخلص **وفي الحقيقة الهداية بيد الله ليست بيد أحد من العباد وجميع من فتح عليه على يد فقير إنما كان ذلك من باب تعليق الأسباب على المسبّبات** . انتهى .

وقال فيه أيضاً وسمعت أخي سيدي أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول **من علامة المرائي أن لا ينشرح لكثرة المتقين إلاّ إنْ كانوا تلامذةً له فيفرح حين يَسْمَعُ الناس يقولونَ عنه فلانٌ أحْيَا الطريق بعد أستاذه ولم يحيها أحد ممّن أخذ عن شيخه غيره** وانظروا إلى جماعته كلّهُمْ مُتأدِّبُونَ صالحون عليهم سكينةٌ ووقار بخلاف جماعة فلان . فمتى صَغَى بقلبه إلى ذلك فهو مُراء دقّ المطرقة كما أنّه متى انقبض لمدحه ومدح تلامذته دُونَ أقرانه فهو دليل على إخلاصه كما أنّه إذا انقبض لذمِّه وذمِّ تلامذته ونسبتهم إلى الرياء والنفاق فهو دليل على عدم إخلاصه كذلك فاعلم ذلك . انتهى .

وفيه أيضاً وسمعت أخي سيدي الشيخ أفضل الدين رحمه الله يقول من علامة الْمُتَشَيخين بأنفسهم بالدعوى عدم صفاء قلوبهم لبعْضهم بَعْضاً لأنّ كل واحد منهم يعتقد في نفسه أنّه هو الشيخ الحقيقيّ وأنّ أخاه هو المدّعي للمشيخة بغير حق ويُصدّقُهُ أصحابه على ذلك وفي الآخرة يصلح الله تعالى بينهما ويكشف لكلّ واحد منهما أنّه ليس بشيخ ولا شمَّ للطريق رائحة . انتهى .

وكان رحمه الله تعالى يقول **لا ينبغي إخراج هؤلاء المدّعين للصلاح بغَيْرِ حَقٍّ في الاستسقاء** لأنّه رُبّما منع الناس السقيا بحضورهم إلاّ أنْ يَتُوبُوا

ويَرَوْا نفوسهم أحقر الناس وربّما كان هؤلاء يدَّعُونَ المشيخة ولا يعدّون الكبر الذي في نفوسهم مَعْصِيَةً وهو من أكبر المعاصي .

وكان رحمه الله تعالى يقول ما دامت نفوس هؤلاء المدّعين لا تنكبسُ لأنْ يتلمّذُوا لأقرانهم ويأخذُوا عنهم الطريق ولو كانوا غير صادقين فالكبْرُ باقٍ في صُدُورهم لأنّ الصادق لا تأبى نفسه من التلمذ للكاذب ولو صورة بل يُبادر إلى ذلك لاحتمال أن يصلح الله به حال ذلك الكاذب إذا سارقه بتعليم آداب الطريق شيئاً فشيئاً فليتنبّه الفقير لمثل ذلك . انتهى .

ولقد مشى هذا الفقير رحمه الله تعالى إفلاسه مَرَّةً على هذه السياسة إذا لقي بواحِدٍ من المدَّعين فتلمذ له صُورةً ليُسارقه تدريجاً ولاطفه بالكلام ليُنَبّهه على نقصه ويُعَلِّمَهُ قواعد أهل الطريق فاعترف ذلك المدّعي بأنّه لا يَعْرف كيفيّة تلقين النقشبنديّين وكيفيّة استعمال أذكارهم على اللطائف بَلْ وَجَدَهُ جاهلاً بها وبِمَحَالِّها مع أنّه قبل ذلك يدّعي أنّه شيخ نقشبندي مَشْهُورٌ في الأقاليم والحمد لله رب العالمين .

وقال العالم أخونا الحاج حبيب الله هداه الله تعالى إلى ما يَرْضاه إنّي تكلَّمْتُ مع شيخين يزعمان أنهما نقشبنديّان مع عدم مَشْيِهِمَا على مصطلح النقشبنديّة ثم بَعْدَ إظهار الحق لَهُمَا أَقَرَّا واعْترفا ثم قالا ألاَ نرتقي إلى مقام يجوز لنا فيه أن نعلّم الطريقة النقشبنديّة للمُريدين لَوْ جئْنَا لدى الشيخ العسلي قدس سره ليتلمّذا له ويروّضا ويجاهدا عنده انتهى . فإذا أخبر ذلك الأخ ما قالاهُ لهذا الفقير رحم الله إفلاسه قال له لا والله ولو عَبَدَا الله تعالى بالإقامة

عنده ألف سنة لأنّهما قصَدَا بتلك الإقامة والرياضة أن يكونا شيْخَيْنِ نقشبنديّين ومُريدُ هذا الطريق يجبُ أن يكون عَبْداً بلا عِلَّةٍ فما أخسَّ همّتهما سامحَهما الله تعالى وألهمهما رشدَهُمَا آمين .

وأكثر متشيّخة زماننا في ديارنا إذا سألوا إلى أيّة طريقة انْتَسَبْتُمْ قالوا إلى الطريقة النقشبنديّة مع أنّهم لا يستعملُونَ من أصولها وفروعها ولو شيئاً واحداً **فكما لا يصيرُ الحنفي مثلاً شافعيّاً إلاّ باستعماله مذهب الشافعيّ فكذلك لا يصيرُ الشخص نقشبنديّاً إلاّ بالدخُول في طريقتهم واستعمال تلقيناتهم فهذا مما لا يخفى على عاقل .**

وليس في ديارنا الداغستانيّة أحدٌ يدّعي أنّه شيخ طريقة ما من الطرق سوى الطريقة النقشبنديّة أو القادرية وأكثر كلامنا في هذا الكتاب مبنيّ على ردّ دعوى من ينتسب إليهما ولو ظهر فيهم من يقول أنّه شيخ طريقة من الطرق الباقية سواهما **وكان ما يفعله موافقاً بما عليه أرباب تلك الطريقة وعلّم ذكر الأسانيد مبتدئاً من أوّلها إلى منتهاها وكان بيده الإذن الصحيح المقبول فلا كلام بل نصدّقه ونعترفه ونمدّه بقدر طاقتنا ونعينه وإلا فمفتر كذاب** يجب على كل أحد أن ينكره ويعترضه لأنّه ضال مضلّ مفسد متلف .

فحاصل محصول كلامنا في كتابنا هذا ولم نجد كلّ ما يفعل أهل الدعوى مطابقاً ولو بواحدة من الطرق المعلومة لدينا ولذلك أنكرناهم واعترضناهم .

فإن كنتم أيها الإخوان في شك مما قلنا فعليكم الرجوع إلى هذه الكتب الآتية لعلكم تعرفون صدق كلامنا في حقّهم ولا تسيئون بنا ظنونكم .

فأما الطريقة النقشبنديّة فمذكورة في « الرشحات » و« مكتوبات » الإمام الرباني و« النفحات » و« الرسالة القدسيّة » و« التاجية » و« الخادمي » والخطاب » لمحمد پارسا و« مفتاح المعية » وكذا في « الرسالة الخالدية » و« سلسلة الخواجكان » و« سلسلة الذهب » وشرحه « تحفة الأحباب » و« النفائس السانحات » و« الآداب المرضية » للشيخ جمال الدين الغموقي و« سلّم المريد » للشيخ إلياس الزدقاري خليفة الشيخ عبد الرحمن حجيوْ الثغوري و« تحفة الصفاء لأهل الوفاء » و« بهجة السالكين » و« بهجة المسلكين » و« الحدائق الوردية » و« الحديقة الندية » و« جامع أصول الأولياء » و« المتممات » و« البهجة السنيّة » و« ماهيّة التصوّف » و« تبصرة المرشدين » و« مكتوبات » محمود الفعال و« تبصرة الفاصلين عن أصول الواصلين » و« الأنهار الأربعة » و« الدرة المختار » و« الفتوحات الوهبيّة » و« مسيرة الحكم »

وأما القادرية ففي « بهجة الأسرار » و« الغنية » و« قلائد الجواهر » و« فتوحات الغيب » و« نفحات القدس » و« المناقب » و« القوسية » وكذا في « الأنهار الأربعة » ففيه البسط السديد و« الفتوحات الوهبيّة »

وأما الشاذليّة ففي « المفاخر العلية » و« الكواكب الزاهرة » و« المناقب » و« الواردات » وكذا في « الفتوحات الوهبيّة » و« الأنهار الأربعة »

وأما الرفاعيّة ففي « بهجة الرفاع » و« الوصايا » و« المناقب »

وأما الأحمدية ففي « بهجة البدوي » وشرح « متن الغاية » و« الوصايا »

وأما الدسوقية ففي « الوصايا » و« المناقب » **وأمّا الأكبريّة** ففي « الفتوحات المكية » و« الحلية » و« التدبيرات » و« حوض الحيات » و« المناقب » و« الفصوص » **وأما المولوية** ففي « المثنوي » و« السواقب » والمناقب » وفيه ما فيه . **وأمّا الكبروية** ففي « فقرات نجم الدين » و« التأويلات » و« المناقب » **وأما السهروردية** ففي « العوارف » و« تعرّف علم التصوف » وكذا في « بيان الأسرار » . **وأما الخلوتية** ففي « معيار العلوم » وشرحه لعمر الفؤادي و« ترجمة الحال » و« المناقب » وكذا في « ترصيع الجواهر » **وأما الجلوتية** ففي « خطاب الحفني » و« مجالس الأربعين » و« المسألة » و« الجاودات » و« المناقب » **وأما الغزاليّة** ففي « الإحياء » و« الحجة » و« المناقب » **وأما الرومية** ففي « مزكي النفوس » و« المناقب » **وأما السعدية والجشتية والشعبانية والكثنية والخمروية والبرامية والعشاقية والبكرية والعمرية والعثمانية والعلوية والعباسية والزينية والعيسوية المغربية والبحورية والحدادية والغيبيّة والخضرية والشطارية والملاميّة والعيدرسية والمتبولية والسنبليّة** وسائر الأكابر والأولياء فمذكورة في « الكواكب الدريّة » و« نفحات الانس » و« تذكرة الأولياء » و« القاشني » و« طبقات الشعراني » و« نفحات القدسية » و« منقبة الأولياء » و« طبقات القاضي زكريا » و« رسالة القشيري » و« طبقات المشائخ » و« مقامات العارفين » و« كتاب التجلي » و« لطائف الأعلام » و« اصطلاحات الصوفية » و« شمس النوني » و« كشف الواردات » و« درة الموحّدين » و« حقائق الدقائق » و« أسرار السرور » و« محاضرة الأبرار » و« التجلّيات الإلهيّة » و« وصايا قدسية » و« كتاب الأسرى »

و« التمهيد » و« مفتاح الغيب » و« مصباح الأنس » و« إنسان كامل » و« منازل السائرين » و« مدارج السالكين » و« كشف الحقائق » و« حدائق الحدائق » و« خالصة الحقائق » و« الميزان » للشعراني و« التميز » و« مرآة الأصفياء » و« وصايا إلهيّة » و« كشف الأسرار الأزليّة » و« حاوي الأرواح » و« مقامات بدر الدين » و« روضة الواصلين » و« نبذة الحقائق » . وهذه الطرق المذكورة أكثرها مما لم يشتهر بل مما لم تُسْمَعْ في ديارنا الداغستانية وإنما الطريقتان فينا طريقتي النقشبندية والقادرية لكن الطرق المسموعة عند القائل في النواحي الجبلية الطريقة الجستية والسهروردية والعلوية والشاذلية وكلها مذكوة في « الفتوحات الوهبيّة » و« المنحات الكسبيّة » وأربعة منها مذكورة في « الأنهار الأربعة » فمن أراد التفصيل فعليه الرجوع إلى أعيانها .

فهذا آخر ما كنا أردنا أن نكتب في هذه الألوكة فإن يك صواباً فذا من فضل الله وإن يك غيره فمن عذر كسب الفقير والعذر عند كرام الناس مقبول فالمرجوّ ممن اطلع على عذره إصلاحه لمجرد وجه الله تعالى فوالله ثم والله أن لا فرق عندنا في أن يظهر الحق بيدنا أو بيد غيرنا ونحن نصافح ونقبل من أظهر الحق وأبطل الباطل بل نعانقه ونشكره ولا نطيق أن نكافئ من ينصحنا ويَعِظُنا ولو خدمناه مدى الدهر .

فلما صارت البدعة في هذه الطريقة في ديارنا الداغستانية كأنها سنّة وصارت أصولها الموافقة بالسنّة كأنّها بدعة لتطاول زمن العمل بالبدع وفُقْدَانِ من يظهرها من العلماء ولا شكَّ أنّ هذا زمان قرب القيامة بدلالة حديث « لا

تقوم الساعة حتى تصير السنة بدعة » فإذا تُرِكَتْ البدعة يقول الناس تركت السنة وأحدث أبعاض أهالي سلسلة هذه الطريقة النقشبيدية من عند أنفسهم بوهميّاتهم الفاسدة مخترعات وظنوا أنهم على النهج القويم والطريق المستقيم في تحقيق طريقة العزيز العليم بسبب تخيّلهم الهوى والشيطان أنهم الأئمة العظام وأزمَّة الإسلام في دين الملك العلام مع أنّ أمْرَهُمْ معكوسٌ لَدَى ذوي العلم والعرفان من الأنام وبسبب قصور نظرهم في نصوص الأئمة المجتهدين وأيات الجبار بإستنادهم على واهيات الأوهام وسواقط الأعذار ولم نجد من ينبّههم على نقصهم ولو واحداً من العلماء الأبرار ألجأني الغيرة إلى تأليف هذا الكتاب مع علمي عدم أهليّتي لذلك امتثالاً بما قاله الإمام الرباني في بعض مكاتيبه من أنه لا بدّ من ملاحظة جانب الأكابر فإنها ضروريّة فإن تتكلّموا في محدثات المدّعين ومخترعاتهم فله مساغ وطمعاً في ما ورد في الأحاديث الصحيحة « **من أحيا سنة ميتة فله ثواب ألف شهيد** » فلو راينا في واحد شيئاً يخالف ميزان الشريعة يجوز لنا أن ننكره ونردّه نصرة للشريعة الغراء لا لغرض سواها فإن كان صاحب حال صحيح ورددناه فما علينا من ردّه بحكم الشرع . كذا في شرح « تائية السلوك » نقلاً عن إمام الطائفة جنيد البغدادي قدس سره ويدلّ عليه إنكار موسى على الخضر عليهما السلام فيما فعله خلاف شريعته في الظاهر فتدبره .

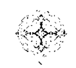
وفي « المنن الكبرى » في ٢٤٢ من الجزء الأول ما حاصله يجب الردّ على مَن خالف كلامه صريح السنة المحمدية أو قواعد علمائها . انتهى .

ونقل الشيخ محي الدين العربي في « الفتوحات المكيّة » إجماع المحققين على أن من شرط الكامل أن لا يكون عنده شطح عن ظاهر الشريعة أبداً . انتهى منه ٢٤٢

وما تكلّمت في حقّ هؤلاء المشائخ طعناً في ولايتهم فكيف وقد قال الله تعالى « أوليائي تحت قبائي لا يعرفهم غيري » وذكر الشعراني في « لواقح الأنوار » لا تجتمع ثلاثة إلاّ وفيهم وليّ لله فأعاذنا الله من ذلك بل نعتقد في جميعهم أنهم أولياء أبرار وصلحاء أخيار ولكنّ الولاية لا تورث العصمة وهي من خصائص النبوّة لا من خصائص الولاية . وقد يخطأ الوليّ والصالح فالواجب على من اطلع على خطأ أخيه أن ينبهه على خطئه ويقيمه عن عوجه كما هو المرجوّ من كلّ أحد في حقّنا

وإنما مرادي من ذكر أصناف المتشيخين المذكورين في هذا الكتاب إعلام أهل الله أنّهم ليسوا من أهل التربية والإرشاد وإن جاز أن يكونوا من المجاذيب الذين يُعْتَقَدُونَ ولا يؤخذ عنهم ولم أقلْ في حقهم قولاً ما سبّاً لهم وعِتاباً بل إنما ذكرتهم تنبيهاً وتحذيراً لهم ولمن تبعهم ومن هذه الحيثيّة يجوز ذكر أوصاف الناس فلا يدخل ذلك في تعريف الغيبة ويباح ذكر العيوب إجمالاً وتفصيلاً بقصد النصح والتحذير وراجع شرح « سلك العين » من بيت تحذيراً اسمع ولا سباً أروم . .الخ بل قد يجب ذلك على أحد .

ولا أقول قطّ في حق المشائخ الصادقين شيئاً ما فيه رائحة ترك أدبهم تعصّباً بشيخي أو تفاخراً به بل أنا أقَبِّلُ التراب من تحت أقدامهم ولا أميّز



بين أولياء الله بَيْدَ أنه لمّا كان لتقديم تفريد الشيخ حَقٌّ على المريد بل كان الأمر كله مَبْنياً على اعتقاده فيه مَالَ الأمر إلى تصديق مَا يفعله شَيْخِي وتكثير ما يَقُوله ولو وَجَدْنا ولو واحداً قام على نهج الاستقامة في تلك الطريقة النقشبندية مثله فَنَحْنُ في إعَانَتِهِ قائمون وعلى تصديقه مائلون والله يهدي من يشاء وهو يتولّى الصالحين . جعلنا الله تعالى وجميع من ذكرناهم من الذين فَنَوْا فَبَقَوْا ونظروا فتحقّقوا واجتهدوا فغابوا في الوجود ونالوا بالشهود . آمين يا مجيب السائلين ويا أرحم الراحمين .

قد تمّ الكتاب بعون الله سبحانه وتعالى اللهم لا تجعله سبباً لزيادة الوزر على وزري واجعله سبباً للمغفرة بدعاء الإخوان ونافعاً لجميع الأمّة وهادياً لهم إلى الخير والرشاد آمين بحرمة ساداتنا سلسلة الطريقة النقشبيدية العلية قدس الله أسرارهم المجللة ونور ضريحتهم المبجلة آمين .



[هذا ما وجد ملحقا بهذا الكتاب في المخطوط]

قول الشيخ العبودي رحمه الله تعالى الطريقة والسلوك في هذا الزمان متعذرة عند الشريعة وسنة المختار عليه السلام . ولعل السرّ عنده رحمه الله تعالى لكونها متعذراً أحد الأمور الثلاثة كثرة الفسق والعصيان أو عدم إطاقة استعمال الطريقة النقشبندية أو صعوبة استعمالها . كما قال بكلّ واحد منها أبعاض من متشيخي ديارنا .

فإن كانت العلة للتعذر كثرة الفسق والعصيان أو المخالفة والطغيان فليست حجة مقبولة لما قاله رحمه الله تعالى **لأنّ معنى الإرشاد عند أهل الإرشاد إرشاد الضالّ إلى السداد** بل إنما وضع الإرشاد لأجل المعوج الضالّ لا للمستقيم الهادي المهتدي ولم يحكموا بوجوب اتخاذ الشيخ إلا على من ليس له قلب سليم كما هو مقرّر في كتبهم ولا معنى للإرشاد لمن كان في الرشاد كذا قاله العالم الرباني والعارف الصمداني الأمير سيف الله الحسيني النزبكري قدس سره .

ولا شك أن الأخلاق المذمومات هي التي تجر صاحبها إلى ارتكاب الفسق والعصيان وهي داء والطريقة دواءٌ فمِنْ أين يتعذر إنزال الدواء على موضع الداء مع أنه أي الإنزال واجب . وهكذا الأخلاق المذمومات نجاسات معنوية والطريقة كالماء فناسب أن يستعمل الماء على موضع النجاسة فافهم وراجع « المتممات » و« ابن حجر » من كتاب السير و« الرملي » منه و« الفتاى

العمرية » وغيرها والبسط في « الدرة البيضاء » و« الجوهرة النفيسة » فمن أراد التحقيق فعليه الرجوع إليهما .

ولا يخفى أن هذا وما يأتي مقبول عند الشريعة وسنّة المختار عليه السلام فكيف يكون تعليم الطريقة متعذراً عندهما مع أنها إنما وضعت لتكميلها حاشا ذلك وكلا بل الشرع والسنة يقبلانها فكيف لا لأنّ بها تجرّ إليهما تدريجاً وتكملهما تكميلاً راجع « البهجة » من مناقب الشيخ الإمام الرباني قدس سره لتأخذ منه مضمون ما قُلْتُهُ .

وإن كانت العلة له[1] أن قاعدة النقشبندية تلقين الذكر القلبي واستعماله ولا يطيق ذلك مَنْ في زماننا لأنّهم لا يفرغون له من الحرف والصنائع صيفاً وشتاءً

فتلك أيضاً مما لا يعبأ بها ولا تقوم حجة لهذا القائل رحمه الله تعالى **فإن مبنى الطريقة النقشبندية على الخلوة في الجلوة ولا شك أن أربابها عرشيُّون فرشيُّون وكائنون بائنون** لأنّ استعمال الذكر القلبيّ يجوز عند كل **وفي كل موضع حتى في الخلاء ومحل النجاسة** وفي كل حالة وفي كلّ وقت . كذا في كتب النقشبندية فقد صار ذلك مما لا مانع له في كلّ وقت من كل حال فكيف تكون متعذرة

وإن كان العلة له أن الذكر القلبيّ صعبٌ بالنسبة إلى الذكر اللساني ولأجله صار متعذراً كما قال كذلك بعض آخر من مشائخ ديارنا في تقريره فذلك قول ساقط وحكم بلا علم بل هو دليل على عدم الذوق للقائل به لأنّ الذكر القلبيّ

(١) أي للتعذر .

عندهم تفكّر اللفظ الله في القلب أي تخيّل جريانه فيه فأيّ صعوبة لذلك التخيل بل هو أسهل الأمور وألذّها لمن ذاقها وعرفها راجع تفسير الفاتحة و« الفتاوى العمرية »

قوله رحمه الله تعالى كما قال تعالى ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا﴾ وفي تفسير السلمي في تفسير تلك الآية قال بعضهم الحكمة العلم اللدني **وقيل** الحكمة إشارة لما لا علّة لها . **وقيل الحكمة** إشهاد الحق على جميع الأحوال . وقيل الحكمة تجريد السرّ لورود الإلهام والوسواس .

وقال أبو عثمان الحكمة هي النور المفرق بين الإلهام والوسواس . وقيل الحكمة أن يحكم عليك خاطر الحق ولا تحكم عليك شهوتك . **وقيل** إنها نبويّة وقيل الحكمة هي الخشية . **وقيل** إنها سرعة الجواب مع إصابة الصواب . انتهى مع اختصار من سورة البقرة .

فبناء على ما ذكروا في تفسير الحكمة في هذه الآية لا يخفى على من له أدنى إدراك أنّ هذه الآية لا تقوم بها حجة على تعذر الطريقة وإن كان للقائل معنى آخر هنا يستدل به على ما قاله فلأي شيء يمنع به إعطاء الحكمة لاهل هذا الزمان بل هم لإعطائها أهلٌ كما مرّ آنفاً حتى يدلّ على كون أهل الزمان أهلاً لها ما قال صاحب « تصديق المعارف » في تفسير قوله تعالى ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ الآية اعلم أنّ سبيل الربّ ما يوصل إلى الربّ لا ما يصل إلى الدنيا والآخرة وذلك هي الطريقة المعروفة عند الصوفية والحكمة المذكورة هنا هي فطنة الشيخ

المربى وفهمُه لكلِّ ما يصلح لكلّ أحد من المريدين فإنّ طباعهم مختلفة متبائنة بوناً عظيماً **فمنهم** مَن يصلح له كثرة الصوم وقلّة الصلاة **ومنهم** من يصلح له كثرة الصلاة وقلّة الصوم **ومنهم** من يصلح له القيام والصيام معاً **ومنهم** من لا يصلح له كثرة ذلك إنما يصلح له كثرة الزهد عن الدنيا **ومنهم** من لا يصلح له الكسب **ومنهم** من يصلح له الخدمة **ومنهم** من يصلح له العُنْفُ والشدّة في المجاهدة على النفس **ومنهم** من يصلح له التَرفيه والتسهيل هذا .

وأما الموعظة الحسنة هي استعمالهم في أعمال الطريقة بالمدارات بالرفق والشفقة الكاملة عليهم مع إعلامهم بأنه لا يريد[١] إلا علوّ مقاماتهم وارتفاع درجاتهم وإيصالهم إلى نعيم لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر بقلب بشر . انتهى .

فبناءً على هذه المذكورات ليس للقول بالتعذر مجالٌ بل مضمونها يدلّ على عدم جواز منعهم من تعليم الطريقة بل اللائق أن يسلكهم ويداريهم فافهم .

قوله رحمه الله وقد ورد في صحيح السند « لا تضعوا الحكمة في غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها من أهلها فتظلموهم » فلو سلّمنا أنّ المراد لا تضعوا الطريقة في غير أهلها . الخ فلا نسلّم عدم أهليّة من في زماننا لوضعها لما مرّ أنّ الإرشاد إنما وضع للمعوج الضالّ لا للمستقيم الهادي مع

---

(١) الشيخ .

كون ذلك المراد بعيداً وغير ظاهر من معنى الحديث بل الظاهر منه مضمون ما في المحاضرات لا تنطقوا بالحكمة عند غير أهلها فافهم وقد مرتْ معاني الحكمة فتدبّر هل يليق هنا ولو واحدة من معانيها ولو سلمنا عدم أهليتهم أليس[١] فيهم ولو واحداً من الأربعين من يستحق لإعطاء[٢] الطريقة له والحال أنّ هذا القائل رحمه الله تعالى لم يجد ولو واحداً من الناس يصلح أن يعلّمه إياها . والحكم بالتعذّر قولٌ برأي ليس له دليل عقلي ولا نقليّ بل هو مخالف لما قاله الأئمة من علماء الحقيقة ولما قال الإمام الرباني في « المكتوبات » إنّ[٣] تعليم الطريقة بعد الاستخارة والتوجهات أياً من كان مناسبٌ بل لازم ولما في « البهجة » و« المتممات » فراجعها .

قوله رحمه الله تعالى غير أنها على ضربين

اتباعيّة فهي لأهل الخواص الحذاق فجميع المنكرات والمكروهات بل البسط والزينة[٤] في الملابس ورخص الفروع لهذه الطريقة كالمحرمات الصريحة كما أنّ السنة والمندوبات لهم كالفرائض الموقتة .

فهذا قول منه رحمه الله تعالى قولٌ صادقٌ لكنهم قالوا ما لا يدرك كله لا يترك كله ومن لا يستطيع أن يقف في صف القتال فلا يجوز منعه من أن يقف في صفّ النعال . ولا يجوز أن توزن أعمال الضعفاء بأعمال الأقوياء من

---

(١) وفي نسخة ألا يكون .

(٢) وفي نسخة لتلقين .

(٣) وفي نسخة ولكن تعليم .

(٤) وفي نسخة والترفيه في المباح .

خواص أولياء الله تعالى بل اللائق بالشيخ أن يرفق بالضعفاء ويرخّص لهم ولا يطردهم من الطريقة بل يعلّمهم الطريقة ويرغبهم في الاجتناب عن المحرمات والمكروهات فلعلهم ببركة الطريقة يقدرون على أعمال الأقوياء . كذا قال الإمام الرباني في بعض مكاتيبه راجع « الدرر المكنونات » و« البهجة السنية » و« لطائف المنن » وقد قالوا إن تلقين الذكر لأهل الدنيا من ذوي المناصب والأشراف والمكاسب ثابت من السلف ومجتهدي الطرق على طريق التبرك والمحسوبيّة لا بإرادة السلوك والتربية قبل ترك الدنيا والمناصب وتبسطهم في الملابس والمفارش وتلبسهم بالمخالفات وذلك أمرٌ حسن وسياسة حميدة من أهل الإرشاد لأنّه لو قيل لهم اتركوا الدنيا واخرجوا من كل المظالم وصححوا التوبة في أوّل الأمر وإلاّ فلا ألقنكم الذكر ولا يكون لكم قبول ينتج الهداية لنفروا واستصعبوا وربما يحصل لهم اليأس .

وهذه السياية موروثة من فعل الرسول عليه الصلاة والسلام مع الأشراف والرؤساء والكبار فإنه أدخل بعضهم في الإسلام بشرط سقوط الصبح وبعضهم بشرط غير ذلك راجع « المتممات » و« قلائد الجواهر » و« البهجة » و« مكتوبات » الإمام الرباني و« لطائف المنن » و« تنبيه المغترين » و« فتاوى » ابن حجر و« الأنوار القدسية » و« درر الغواص » وكتاب « الجواهر والدرر »

ففي هذه الكتب صرائح بأنه لا يجوز للشيخ أن يطرد الضعفاء من الدخول في الطريقة فمن أراد أن يتبع أصحاب تلك التأليفات فعليه اتباعهم ومن أراد أن يتمسّك بقول هذا البعض الذي يحكم بتعذّر تعليم الطريقة لأهل زماننا

فليتمسك به ولا شك أنّ **تلكم الأئمة أعرف طريقاً وأعلم شرعاً** وأتقن في التفسير والحديث فليتدبره العاقل .

قوله رحمه الله تعالى وأقل ورد هذه الطريقة هو خمسة آلاف بلفظ الجلالة على القلب بتلقين عارف مرشد صحيح المقام والإذن من عارف مع استكمال سير الشيخ وتمسك السنة واتباع النبي عليه السلام في جميع الأقوال والأفعال والامتثال به عليه السلام في جميع المأمورات والمنهيات ولا نهاية لأكثرها .

فهذه الكلام منه رحمه الله تعالى هو عين ما قلناه فلا غبار فيه فجزاه الله عنا خير الجزاء آمين .

قوله رحمه الله تعالى **والثاني** منها شرعية فهي لأهل العوام وأبناء المعاملة والهوى فيرخص لهم المناهي والمكروهات ورخص الفروع مما أباحه الفقهاء رضي الله عنهم .

وأقل ورد هذه الطائفة مائة ذكر جهري وصلاة كذلك ووحده . .الخ والاستغفار كذلك . وأدنى الكمال خمسمائة ذكر جهري بلفظ (لا إله إلا الله) والمذكورات مائة مرة وألف ذكر جهري بهذا اللفظ وخمسمائة صلاة أو مائة وألف في يوم الجمعة وليلتها والبواقي مائة مرة والإشراق والضحى والأوابين ولو أربع ركعات وصلاة الوتر ولو خمس ركعات والرواتب وصلاة التسبيح في كل جمعة ليلاً ونهاراً

والأكثر عشرون ألف ذكر جهري بهذا اللفظ فمن شاء الخفي فليراع الأدب وليجتنب من المكروهات كالمحرّمات ومن أراد الجهري فليجتنب عن المحرمات . عبودي رحمه الله تعالى . انتهى .

فالعجب كلّ العجب كيف يكون ورد من يرخص له في زعم هذا القائل من العوام أكثر مما[1] لا يرخص لهم ولو للمباحات الشرعيّة وليته كان رخص لهم لتقليل هذه الأوراد كما رخص لهم لارتكاب المنهيات والمكروهات .

ولقد جرّبنا أن الذكر الخفي القلبيّ بخمسة آلاف مدّته خمسة دقائق .

وجربنا أيضاً أن الثلاثين ألف ذكر قلبي بلفظة الجلالة يتمّ فيما بين العصر والمغرب في حالة البسط بعد أن يقدّم عليه ثلاث مائة استغفارٍ وبعد الرابطة بقدر ربع ساعة .

وجربنا أيضاً مراراً أن الذكر الخفيّ القلبيّ بلا إله إلا الله ألف مرة بحبس النفس مع رعاية شروطه وأركانه مدّته قدر ذكره المذكور باللسان مائة مرة فما أخف ذكر أهل الذوق والطريق وما أقلّ زمنه مع كونه أفضل من ذكر اللسان بسبعين مرة كما ورد في الحديث وراجع فتاوى ابن حجر من الخاتمة ومع كونه أنفع وأفيد في تصقيل القلب وحصول النتيجة كما في « المتممات »

ولقد صار كلام هذا القائل سامحه الله تعالى سبباً لنزول الناس من الأفضل إلى المفضول بل صار سبباً لانقطاع أهل الله عن طريق قال رئيسها

---

(١) وفي نسخة ممن .

محمد نقشبند قدس سره المعرض عن طريقتنا فهو على خطر من دينه مع أنه يفهم مما قاله عدم جواز الذكر اللساني لمن لا يجتنب من المحرمات والذكر القلبيّ إلا للخواص والحذاق وذا مما لم يقله أحد من الأئمة ومع أنهم لم يطردوا العاصي من تعليمهم إياه الطريقة حتى إن منهم من خرج من موضع الفسق والشرب فجعله الشيخ وقتئذ شيخ الأبدال . ومنهم من جعله الشيخ بدلاً من الأبدال مع كونه نصرانياً محضاً[١] لا يعلم الإسلام قبل ذلك فكيف بالطريق فإذا كان الكافر المجرد يقبل التصرف فقبول التصرف في المسلم الذي أبوه مسلم يعلم بالطريق الأولى راجع « قلائد الجواهر » و« الآداب المرضية » و« أنيس الجليس » وأيّ فرق بين اللسان والقلب لتعذّر الذكر بأحدهما وجوازه بالآخر للعوام وأهل المعاملة مع أنهما جارحتان من جوارح الإنسان ومع أنّ الذكر القلبي مما لا مانع له في كلّ وقت وفي كل حال وفي كل موضع كما مرّ .

فإن قال قائل إن الفرق في أنّ الذكر القلبي بتلقين مرشد عارف ولذا لا يرخص له والذكر اللساني يجوز له أن يستعمله بنفسه من غير تلقين ولذلك رخص له بالمناهي والمكروهات .

قلنا إن تلقين الذكر اللساني متواتر مشهور يخبره الثقات من هذا البعض المذكور رحمه الله تعالى ولذلك يعلم عدم كون مراده ما ذكر . ولا فرق في ذمّ ارتكاب المنهيّات والمكروهات بين العوام والخواص والرخص عند

(١) وفي نسخة كافراً

العوام هي رخصٌ عند الخواص لكن بشدة اعتناء أهل الطريق يعدّون الرخص كالحرام ولا يرتكبونها إلا عند الضرورة ومع هذا يسامحونه للضعفاء ولا يزنون أعمالهم بأعمال الأقوياء فافهم .

ثمّ إنّ تقسيم الطريقة إلى اتباعية وشرعية مما لا يُدْرك سرّه ولم نصادف من قسّمها إلى ذينك القسمين فالاتباع شرع والشرع اتباع وما خالف الاتباع فليس بشرع فافهم .

ولقد أخبرنا واحدٌ من العلماء الثقات أن بعضاً من شيوخ هذا الزمان قال له إنما نعطي الشريعة لا الطريقة .

وقال واحد من مريديه إنّه قال له لو جاز إعطاء الطريقة لأعطيتها لكنّه لا يجوز أن يعطى لأحد إلا الشريعة . وهكذا وعظ واحد منهم على المنبر وقال عين ما مرّ .

وأنا سمعت واحداً منهم يقول مثله فلعلّهم أخذوا ما قالوه من هذا التقرير المذكور وقد اشتهر منهم تسميتهم ذكر اللسان الذي يلقنونه بأنفسهم شريعة .

فنقول[1] والله أعلم إن الأباء والأمهات قد علّموا الشريعة أولادهم قبل بلوغهم وهم الآن على الشرع يصلّون ويصومون ويزكون ويحجّون ويشهدون بأن الله واحد لا شريك له . والخ والخ والخ أي فمن لم يعرف الشرع وأحكامه فهو عاص . فلما تعذر تكميل الشرع وضعت الطريقة لأجله فوجب

(١) جوابهم .

أخذها من أهلها **لأنّ ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب وصاروا قطاع طريق الله من حيث لا يشعرون .**

فالحاصل أنّ هؤلاء طردوا الناس عن الشرع الواجب فافهم . ولا شك أن تعليم أمور الشرع ليس مختصّاً بواحد بل هو عامّ يجب على كلّ واحد أن يقوم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشروطهما وأن التلقين أمر الطريقة مختص بأهله لا يجوز لأحد أن يباشره إلا إن كان مأذوناً من أهله فإن كان الملقّن أهلاً له فليلقّن الذكر الذي في طريقة شيخه بلا تحريف ولا تبديل بما أرادوه وإلا فالتشيّخ على الناس قائلاً بأنه إنما يعطي الشريعة وتلقين ما أراده من الأذكار فذا مما يخاف عليه من الطرد والعياذ بالله تعالى وقد اشتهر تسمية سائر الطرق التي فيها الأذكار اللسانية طريقة . فبناء على ما قاله هؤلاء يجب أن تسمّونها بالشريعة لا بالطريقة فافهم وميّز الحقَّ من الباطل والمحق من المبطل .

وقد أشكل الخلق بأمثال هذه التمويهات الحق الذي يجب أن يتمسك به ووقعوا حيارى متردّدين لا يعرفون أن يفرقوا بين أقوال أهل الإرشاد وبين أقوال من يدّعي الإرشاد ونحن بحمد الله تعالى لم نترك شيئاً خفيّاً من خفايا الطرائق إلا أوضحناه ولا واحداً من أصناف المدّعين إلا أظهرناه ولا قولاً ما من أقوالهم إلا رددناه في كتابنا « الدرة البيضاء » و« الجوهرة النفيسة » فمن أراد أن يدرك الحق اليقين فليراجع إليهما وقد تكلمنا فيهما بكلام من لا يخاف لومة لائم محضاً لوجه الله وغيرة بهذا الطريقة المحمديّة . ومن لم يرجع

عن مألوفاتهم القبلية من متشيخي هذا الزمان ومريدهم بعد ما نظر إلى ذينك الكتابين فلا شكّ أنّ داءه عُضَال وعلى عين بصيرته رين والله ولي التوفيق .

من هذا الكاتب المفلس الناصب نفسه عرضة لسهام هذا الخلق حسن القحيّ رحم الله إفلاسه آمين يا مجيب .

هـذا الحليم حسـن قد حسّـن الحججا ... وردّ منـكـرات الديـن والـبـدعـا

بالصـدق قـد نطقـا والحق قد لـفـظا ... والـحقد والاعتسـاف والهـوى بعّـدا

صـارت أحاديثـه فـي نظم أقوالـهـم ... كـقطر صـار فـي الأصـداف درّاً لهـم

هـذا التأليـف لـه كبحـر مـن زئبق ... لازم عـلـى ذوقهـا بالسـوق والقلـق

مثل نجم الهـدى لـلاهـتـداء لـنـا ... ما دام شمس الضحى في وسط هذا السماء

لـه درة نظمـت فـي سـرد هذا الفتـى ... ولـؤلـؤ عـلـقت فـي سـلكه يـا فتى

سـداه من ذهب لحـمتـه جـوهـر ... كـيـف الإلهـام لـه يـا رب ذي القدر

وللإلـه الـكـريـم دَرُّ هـذا العـليم ... وسـعى هـذا العارف إلـى نعيـم العليم

لنيـل مثـل هـذا فليعمل العامـلـون ... ونـظـم مثـل هـذا فليصنـع الصانعون

تبـتْ يـدا طاعـن الا يغير بالحسـد ... وشـلّ رجـلا رجـال قصدهـم حقده

تقريظ الفقير غازي محمد العوري
ولد محمد علي بن أمير خان العوري

وأوصيكم بالدعاء لي ولوالدي . بسم الله الرحمن الرحيم والهادي إلى الصراط المستقيم .

هذا الكتاب « الدرة البيضاء في رد البدع والأهواء » قد جاء بحمد الله سبحانه وتعالى سبكاً عجيباً وسار بمنه تعالى سفراً مطوياً فلذلك زال الزيغ عن أفئدة المنكرين سوى من هو رئيس الحاسدين . فللّه درّ مؤلفه ما أحسن تصنيفه ما أحسن تصنيفه . فقلت في حقه بالشوق الظاهر من البحر الوافر .

يجازي الله قوماً منكرينا ... لهذا الكنز بالنار الحريق
وأصبح دعوى كل الحاسدين ... كأصوات البهائم والنعيق
لما استنشق الحبر القحي ... مياها عذبها مثل الرحيق
مشائخه جبال راسيات ... لإهداء الخلائق للطريق
كأن كتابه بحر محيط ... بعيد قعره للمستفيق
فوائده نصوص وافرات ... فرائده جواهر للوميق
كتابته هداية للأنام ... وعطر فاح كالمسك العبيق
فيا لله من فرد عليّ ... حليم سالكٍ حسّر وثيقٍ
فهذا للفقير أبي حميد ... عوريّ عاطل طاش عويق



تقريظ العالم العارف أدرة العرادي الهدلي رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم وبه توفيق ما أقول وهو السميع العليم .

الحمد لله على الإنعام ... أزكى الصلاة أفضل السلام

على محمد خير الأنام ... وآله وصحبه الكرام

وبعد فالدرّة ثم الجوهرة ... كلتاهما من الكنوز الفاخرة

وفيهما من العلوم الباهرة ... للمفسدين في السلوك زاجرة

عن محدثات هذا العصر رادعة ... وعن محرفات قوم مانعة

ومنهما تمييز شيخ كامل ... عمن تشيخوا بدعوى باطل

لله درّ الحسن المُحْيي لنا ... مندرسات علمهم في وقتنا

أهدى الورى لأوضح الطريق ... أبدى لهم مراتب الفريق

وفّقْ له اللّهمّ للإفادة ... لمن أراد الفوز بالسعادة

بحملهم لأصلح المصالح ... وهَدْيهم بأبلغ النصائح

لكنّما الجهال في غرورهم ... أيضاً وأهل العلم في قصورهم

لا يحفظون حرمة الشريعة ... ولن يبالوا فتنة الطريقة

كم بدعة فيها لا يعبؤون ... وخِدْعَةٍ بها هم يرتضون

بل كلّ مُنْكَرٍ بلا اعتبار ... ولا نصيحة ولا إنكار

لأجله المعروف أضحى باطلاً ... وصار وجه الحق أيضاً عاطلاً

لو لم يسامحوا فيما ذكرته ... ولم يداهنوا لمن أشرْتُهُ

ما كان أَهْلُ وَقْتِنَا في فِتْنَةٍ ... والكلّ كان سالماً عن محنة

لمثلهم هذا من الفضيحة ... وينبغي لهم بَذْلُ النصيحة

لله والـكـتـاب والأئـمـة ولـلـرسـول ثـالـثـاً والأمّـة
مـن كـان منكـم مخلصاً لله وعـامـلاً بـالـعـلـم غـيـر لاه
كُنْ عن جميع المنكرات ناه على عباد الله غيـر بـاه
وبالمعروف آمراً للناس وعـن مساويهم فكن كالناسي
من بعد أخذه لأجل الدين بالأخوط الأتـمّ والمتين
هـذا الذي ذكرتـه نصيحتي كذا لكلّ سامع وصيَّتي
تذكـرة لتذكـرون حَسْرَتي علـى هبات أهل الدين إخوتي
وحاجتي إلى دعـاء صالح بـلا تكاسُلٍ ولا تسامح
وفّقْ لنا اللّهـمّ للإنابة ولجميع الخير والإصابة
مع كـلّ مَـنْ بدعـوةٍ أوْصَاني أيضاً ومن فيها فلا يَنْسَاني
وإنّـنـي أُدُورة العـرادي فـارحمه ربي أنت اعتمادي
بهاء المرء علم فاغتنمْهُ ومـا في العلم فاعمل وانتشرْه
ورأس المال إخلاص فَقِفْهُ وعن خلقٍ ذميم فَاجْتَنِبْهُ
ودع شيئاً يُـريبُك فـرّ منه إلى ما لا يريبُك فاتّخذه
فـقل حَقّاً يقيناً وامتثلْه ودع قولاً ضعيفاً لا تُشِعْه
ونفسُكْ عن هواها فَامْتَنِعْهُ فمن ينطق به جَهْلاً يُهِنْهُ
وبالمعروف فَأمُرْ وَاتَّبِعْهُ وَعَنْ أَمْرٍ كَرِيهٍ فانْهَ عَنْهُ
وهـذا مـا أمَرْتُكْ فأتَمِرْه وآخر ما نصحتك فاحتفظه
كَفَـاكْ بما وَعظْتُكْ فاتّعظْهُ وهـذا أدورَةٌ فَلْتَسْتَمِعْهُ
ويوصي بالدُعا فلا تدعْه وقل فَارْحَمْ واغفر وامتثلْه

من خط خطه



نعمت الرسالة هذه رسالة عن فهم حقائق معانيها ودقائق رموزها ووفّقه الله تعالى للعمل والتمسك ولو بمعشار أعشار ما فيها

ربّ وفق ويسر يا معين وصلى الله وسلّم على رسوله محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين آمين . اللهم اغفر لمؤلّف هذا الكتاب القحي ولوالديه ولجميع أمة محمد ﷺ ولمن قال آمين آمين آمين .





فهرس

